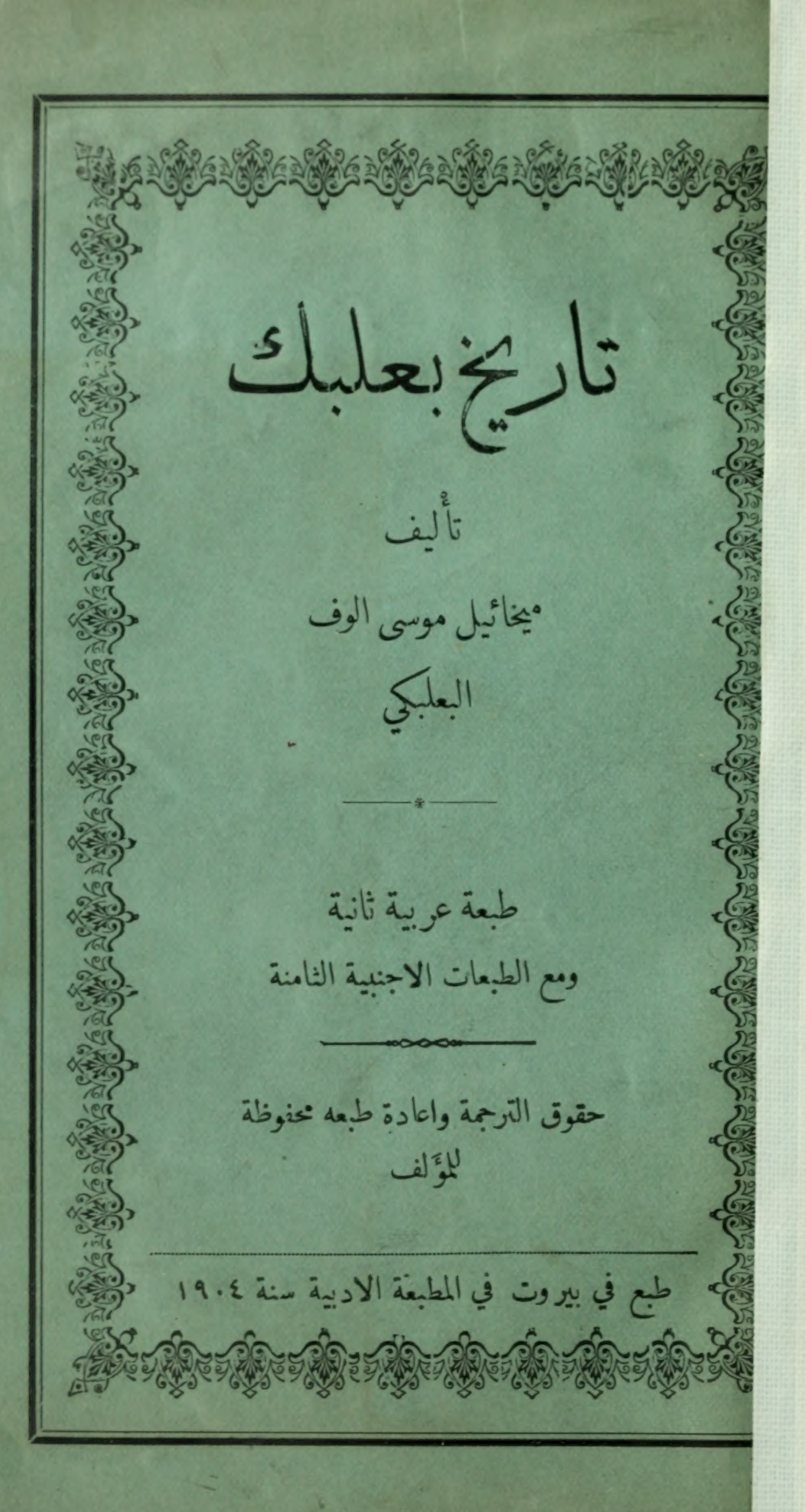




تاريخ بعلبك

تأليف

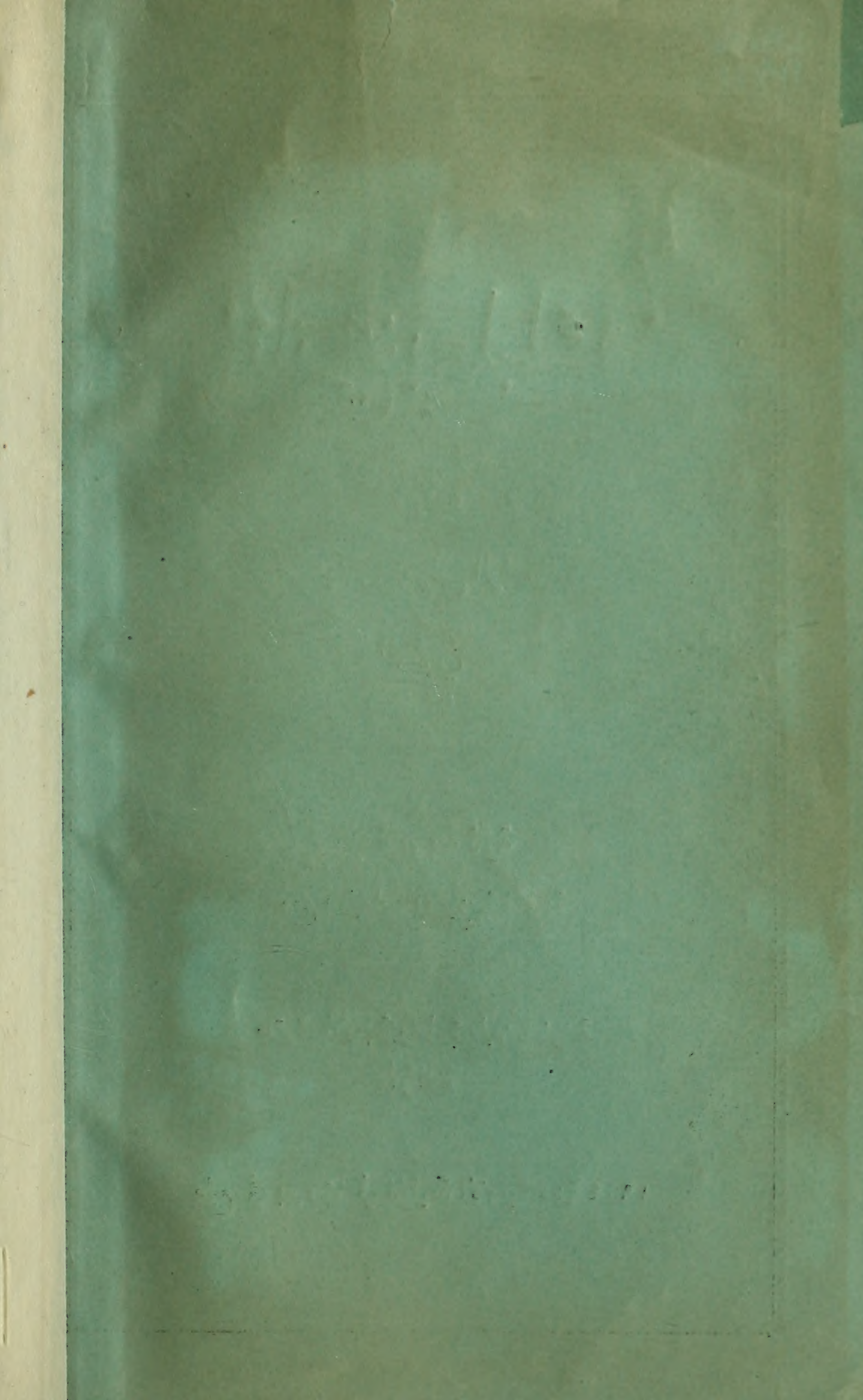
ميخائيل موسى الوف

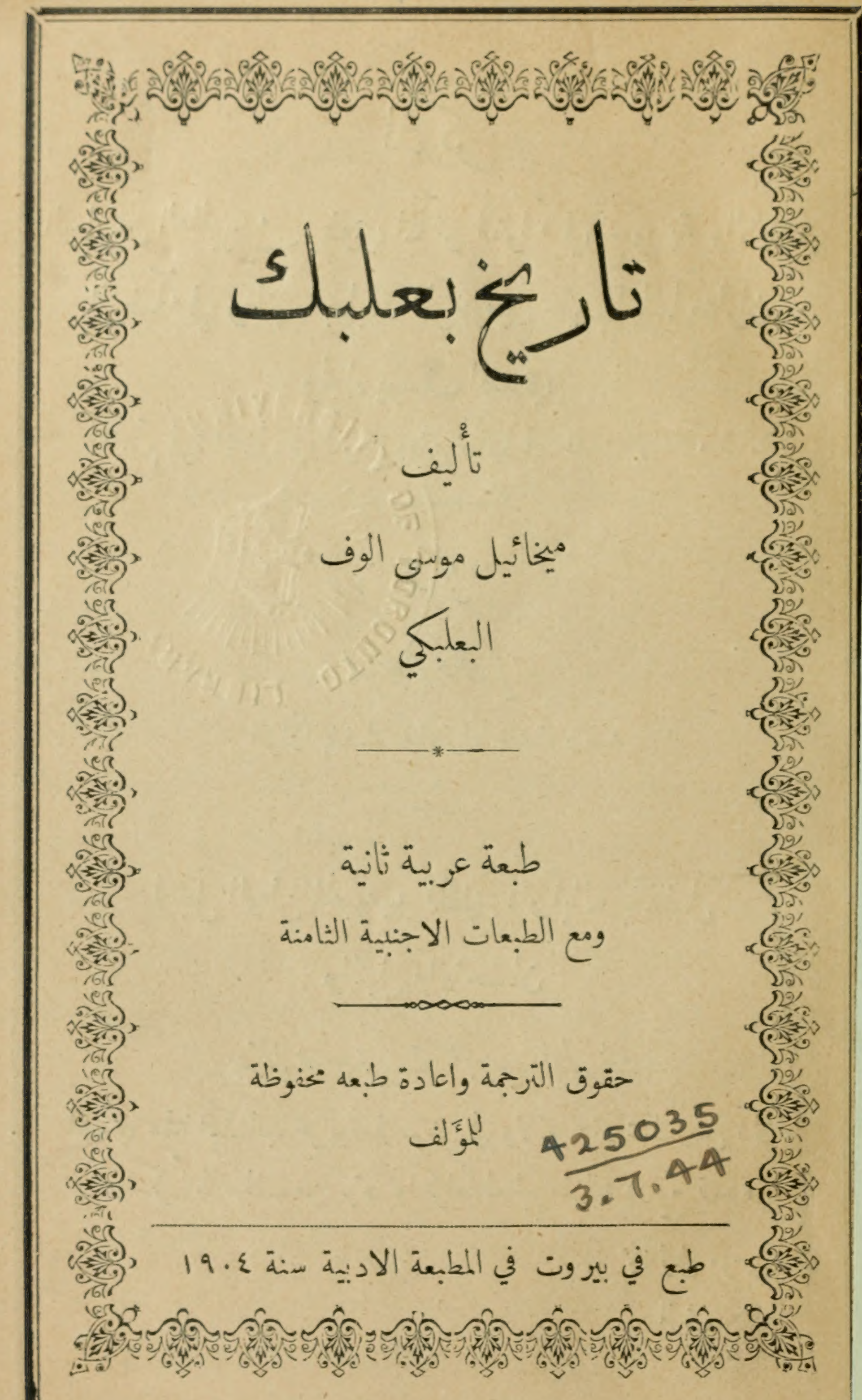
البعلبكي

طبعة عربية ثانية

ومع الطبعات الاجنبية الثامنة

طبع في بيروت في المطبعة الادبية سنة ١٩٠٤





تاريخ بعلبك

تأليف

ميخائيل موسى الوف

البعلبكي

طبعة عربية ثانية

ومع الطبعات الاجنبية الثامنة

طبع في بيروت في المطبعة الادبية سنة ١٩٠٤

لذكر

الوطنيين العظيمين ذوي المآثر الغرآء في سورية والايادي البيضآء في وطنهما بعلبك المرحومين حبيب باشا مطران ونجله يوسف افندي

اقدّم ثمرة ابحاثي في تاريخ وطنٍ تفانيا في خدمته واعلآء شانه

لذكر

المرحوم والدي

اقرارًا بفضله واعترافًا بحنوّه وحبه

لرجل الوطن المحبوب المقتفي اثر ابائه بالفضل والنبل والاحسان

عزتلو رشيد بك حبيب مطران

اهدي هذا الكتاب عربونًا لرسوخي في ولائه واداءً لمفترض آلائه وشكرًا لما سلف من برّه واكرامًا لعظيم منزلته ورفيع قدره

ميخائيل موسى

الوف

مقدمة

كلما امتدت الحضارة وتمهدت الطرق وزاد الناس علماً والصلات اتساعاً ازداد جمهور المتقاطرين الى زيارة بعلبك

كيف لا وهنالك هيكل يفضل باتساع بنائه واستحكام انشائه وضخامة احجاره وعلو اعمدته واتقان نقوشه على اكثر ولعله على جميع ما ترك الاسلاف للاخلاف

وكأنما ملوك الرومان لما استتب لهم فتح الممالك واذلال الشعوب المعروفة في عهدهم قصدوا في انشاء هيكل بعلبك العجيب ان يقولوا للمشتري واخوانه من الهتهم : قد شدنا لتكريمكم ما لم يخطر انشاؤه بخيلة الشعراء الذين حلَّقوا بتصوراتهم الى سماء معاليكم وللملوك اقرانهم نفاخر بهيكل بعلبك اهرام مصر وما بنى اليونان مما يعدونه من عجائب المسكونة السبع . وأنَّى يفاخرنا من بعدُ ملكٌ ببناءٍ يبنيه مثل هذا . وكانهم يقولون ايضاً للمعترفين بوحدانية الله جل جلاله ان بذخ سليمان على قوته وغنائه واقتدار احبار رومة على تفنن المهندسين الايطاليين وحضارة الاسلام على كرم الخلفاء الفاطميين لن يشد للاله الحق مثلما شدنا لاصنام

او كأنما ارادوا في جرّ هذه الاثقال الضخمة ورفع تلك الاعمدة العجيبة واتقان نقوشها البديعة على كثرتها ان يحيّروا البنّائين والمهندسين والحفّارين اذ لا يفقهون كيف تمَّت هذه الاعمال العظيمة للرومان مع جهلهم علم الميكانيك والبخار والكهرباء . والعجب كل العجب عند المؤرخين فان هؤلاء حصّلوا من كتابات الاولين ما كشفوا به غوامض ادنى

الاعمال واقل الاثار القديمة اهمية ً . اما هيكل بعلبك العظيم على ما اقتضى بناؤه من مئات الوف من الرجال في خلال مئات من السنين فلا الرومان ولا من قبلهم من الفينيقيين واليونان ولا من بعدهم من العرب الفاتحين ذكروا في ما وصل الينا من كتاباتهم خبرًا عن تاريخه او اثرًا عن طرق بنيانه حتى تضاربت الظنون وتشعبت اقوال العلماء في نسبة الهيكل . فمن قائل انه فينيقي البناء وآخر انه يوناني محض والثالث ان هذه دمغة الرومان وأسلوبهم في البناء وما زالوا يكتبون الفصول ويخوضون باب الجدال عفوًا اذ لا يزيح الريب الا الاثبات وهذا مفقود في التاريخ الموجود

وقد اتاح الحظ لبعلبك ان زارها في العاشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٨٩٨ جلالة غيليوم الثاني امبراطور الالمانيين فأَبت نفسه العليَّة على انشغافها بالعلم والفنون الاَّ ان تحوّل امته نحو التنقيب عن حقيقة امر بعلبك فتظهر للعالم تاريخها وتترك للبشر رسوم هياكلها كما كانت من قبل وعلى ما هي الان حفظاً لها من صدمات الدهر وغارة الايام . فوجَّه من اجل ذلك بعد استئذان الدولة العلية العثمانية ايَّدها الله من خيرة مهندسي حكومته بعثةً يرأسها عالم مشهور في العاديات فاخذت في التنظيف والحفر والتنقيب حتى اتت على ترتيب العمل الجلل بان كشفت ما هنالك للرومان والاوثان وما تمَّ بعده على يد البيزنطيين ودين المسيح ثمَّ ما زاده من البناء غزاة الاسلام وقد تم لها ذلك من شهر ايلول سنة ١٩٠٠ الى شهر اذار من ١٩٠٤

على ان ذكر البعثة هذه يقضي على ذمتي بان أُسدي اعضاءها الكرام الشكر الفايق لما لقيته عندهم من الملاطفة والمساعدة والاعتماد على بعض معلومات هذا العاجز وارائه تلطيفاً منهم وتنشيطاً لما علموه من تفانيَّ منذ الصغر في البحث عن اثار بعلبك . وقد كنت في ما نشرته سابقاً في كتبي الفرنسية والانكليزية والالمانية متمسكاً بامتن الادلة وأصح الاقوال عن

تاريخ هذه المدينة · فلما اتمت البعثة الالمانية مهمتها وجدت انني اخطأت في احوال واصبت في احوال فصححت وا كملت واعتمدت على القول الفصل في ما استفدته من ابحاث علماء البعثة وعلاقتي معهم

ثم اني كنت قد ضمَّنت الطبعة الثانية من كتابي خارطتين توضحان ما كانت عليه الهيا كل من قبل وما صارت اليه في وقتنا الحاضر وهما كانتا من ادق الرسوم التي وضعت لهذا العهد · غير ان اعضاء البعثة وضعوا خارطة تفوق ما سبق دقةً واحكاماً وفيها اشياء كثيرة من مكتشفاتهم فتفضلوا بان خولوني جمع خرائطهم وضمها الى واحدة ونشرها في كتابي هذا اتماماً للفائدة وتنويراً للاذهان

اما ما تكرمت به الجمعيات الجغرافية البارسية والاميركانية والالمانية والبلجيكية والاسكوتلاندية والمجلات العلمية من اجنبية ووطنية من شهادات الاستحسان والتنشيط ومقالات الحظوة والترغيب فاني اعده احسن مكافأة للسنين الطوال التي قضيتها في جمع اشتات حوادث بعلبك وتاليف تاريخها بين الاثار ونقله من رموز النقوش والاحجار · وقد اقتبس منه كثيرون من المؤلفين مثل موري ومايْر وتروتنيون فذكروا انهم نقلوا عنه شأن اهل النصفة من الكتاب ليت جميع الكتَّاب ذوي نصفة

ميخائيل موسى

الوف

الفصل الاول

في

الحالة الحاضرة

بَعْلَبَكُّ والعامة تلفظها بَعَلْبَكْ مدينة مشهورة في سورية شمالي سهل البقاع على سفح الجبل الشرقي (انتيليبنان) في عرض ٣٤° و١٠ً شمالاً وطول ٣٦° و١١ً شرقاً من كرينويش . علوها عن سطح البحر ١١٧٠ متراً . كانت في ما مرَّ مدينة عظيمة على غاية النجاح لوقوعها بين صور وتدمر والهند فكانت محطاً لقوافل تجارها . وهي احدى مدن كاليسيريا الرومانية (سورية المجوفة قديماً او البقاع الان) على مسافة واحد وثلاثين ميلاً من دمشق الى الشمال الغربي وبينها و بين طرابلس اثنان وثلاثون ميلاً والى تدمر ماية وتسعة اميال جغرافية

اما الان فهي قصبة قضاء سمّي باسمها من الصنف الاول تابع ولاية دمشق ومحط آلاي لعساكر الرديف . فيها ادارة بريد وبرق وموقف للسكة الحديدية بين رياق وحماة . وعدد سكانها يناهز الخمسة آلاف نفس . النصف شيعة (متاولة) والربع من السنة والاخير مسيحيون منهم ١٠٠٠ نفس روم كاثوليك وماية نفس موارنة وخمسون روم ارثوذكس . ولها اسقف للروم الكاثوليك ورئيس اساقفة للموارنة يقيم في قرية عرمون من اعمال كسروان

وفي بعلبك جامعان للسنّة احدهما يدعى بالحنبلي جدّد بناءهُ السلطان قلاوون في سنة ٦٨٢ هجرية والآخر جُدّد بناؤُه ايضاً في سنة ١٣٢١ (١٩٠٣ م) وفي هذا مأذنة بنيت في ايام الملك الصالح ابي الفدا اسماعيل

سنة ٦٣٨ . وهذا الجامع بقرب الهيكل المستدير . وللشيعة جامع رث البناء عمره الامير يونس الحرفوش سنة ٩٦٢ للهجرة . وفي بعلبك جامع كبير بحالة الخراب نذكره في باب الآثار القديمة

وللمسلمين ستة مساجد وسبعة مزارات للاولياء منها مزار النبي نعام شمالي البلدة ومزار الشيخ عبدالله اليونيني على قمة الرابية فوق بعلبك . وبمدخل البلدة مقابل اللوكندة الجديدة مسجد السيدة خولة ابنة الحسين بن علي بن ابي طالب رضي عنهم . قيل انه لما سُبيَ اهل البيت بعد موقعة كربلا واتى بهم الامويون الى دمشق مرّوا ببعلبك فماتت خولة ودفنت فيها . وفي دار المسجد شجرة سرو قديمة العهد . وقد جدد بناءه اسحق روحي افندي نائب بعلبك سنة ١٨٩١ م

وللمسيحيين الكاثوليك والروم والموارنة ثلاث كنائس وللاولين مزار النبي الياس خارج البلدة بين اثار المقلع القديم الذي اخذت منه الحجارة العظيمة لبناء القلعة تقصده النصارى في عيده . ولهم ايضاً مزار القديس جرجس وهو في محلتهم

ولبعلبك اربع مدارس لتثقيف الاحداث منها ثنتان للمسلمين الواحدة رشدية ولها معلمان و٥٠ تلميذاً . وللثانية معلم واحد و٣٠ تلميذاً . وواحدة للروم الكاثوليك فيها ثلاثة معلمين ونحو ماية تلميذ واخرى للاميركان فيها ٣٠ تلميذاً ومعلم واحد . وللاناث ثلاث مدارس الاولى للفتيات المسلمات على نفقة الحكومة السنية وفيها ٥٠ طالبة ومعلمتان . والثانية للراهبات اليسوعيات عندهن ٨٠ تلميذة وثلاث معلمات . والاخيرة للمرسلين الانكليز ولها ثلاث معلمات و٤٠ تلميذة وفيها قسم داخلي

وللبلدة سوق تشتمل على ١٧٠ دكاناً وصيدلية واحدة و٥ خانات وثلاثة محال للقهوة واربعة عشر طاحوناً وحمام واحد وفيها ثلاث نُزُل (لوكندات) متقنة لقبول الغرباء وهي «اللوكندة الجديدة» لصاحبها انطون

عربيد " ونزل بلميرا " لمديره بركلي ميميكاكي وهو مبني على اسس مرسح المدينة القديم وسناتي على ذكر اثاره في الفصل السادس والثالث " نزل فيكتوريا " لصاحبهِ اسكندر كزباج

واكثر اهل بعلبك زراع وفيها بساتين حسنة تحيط بها ونبعها المسمى « براس العين » من اجمل المتنزَّهات في سورية فهو روضة انيقة وجنة فيحآء تخال مياهه اللطيفة يقلبها الهوآء كاللؤلوء المنور بالشمس و يبعد هذا المتنزَّه عن البلدة مسافة عشر دقايق الى الجنوب الشرقي و بينهما طريق عجلات خيَّم عليه شجر الصفصاف وقاية للمارّين من سهام الحر. وفي راس العين جامع جميل متهدم ينتهي بناؤُه لزمن الظاهر بيبرس البندقداري في سنة ٦٧٦ هجرية — ١٢٧٧ م . وكان هناك اثار مدرسة قديمة لم تبقِ منها يد الجهل غير حجر عليه كتابة عربية نقل اليها من الجامع وسياتي ذكر الكتابة في بابها

والى مسافة ساعة ونصف شرقي البلد ينبوع مآءٍ غزير جيد يدعى « اللجوج » جلبت مياهه قديماً الى المدينة والهياكل . والمياه التي كانت تسقى القسم العالي من المدينة جلبت الى مكان على رابية الشيخ عبدالله بقرب الشير واُصعدت في عمود كان يدعى بعمود الراهب وكان مبنياً من ثماني عشرة قطعة منقوبة و ينتهي بتاج محفور به حوض لقبول المياه وتوزيعها وقد تهدَّم ذلك العمود وفقد . بيدَ انني رايت منه بضع قطع في محلة المسيحيين منذ سنين ولكن اصحابها كسروها ليبنوا منها بناءهم

وقد ذكر هذا العمود الرحالتان جيرارد وسوته لما زارا بعلبك في ١٧٠٥ نوصفا موقعه وطريقة بنائه وقد نشر حديثهما العلامة بردريزه وفسر خطاءً ان ذلك العمود هو عمود ايعات مع ان هذا في السهل غربي بعلبك[1]

Les dossiers de P. J. Mariette sur Baalbeck et Palmyre publiés et annotés par Paul Perdrizet. صحيفة ١١

واما القناة التي كانت تاتي بالمياه للهيا كل ولذلك العمود فلا تزال اثارها باقية الى اليوم. وقد كشفت البعثة الالمانية قسماً منها شرقي البلدة ووجدت حوضها الذي كانت تتوزع منه المياه في الحي العالي المعروف بحي بيت صُلح

وبالرابية ايضاً بئر ماء واسع عميق على شكل تنور تدعوه الاهالي « تنور الكفار » وله حكاية خرافية

يرى في جهات البلدة الاربع بنايات قديمة وكلها عربية وكان حواليها ترب للمسلمين تدعى شرقيتها « قبة سطحا » في مقبرة للشيعة وقد جعلها الامراء بنو الحرفوش مدفناً لهم. والشمالية « قبة السعادين » وراء القشلة العسكرية الى الغرب ولها باب عربي جميل انشئت لمدفن المقر الاشرف عز الدين تنكزبُغا سنة ٨١٢ هجرية. والغربية « قبة دورس » على ثلث ساعة من البلدة مجاورة الطريق وهي مؤلفة من ثمانية اعمدة من الحجر المحبب (الكرانيت) بلا قواعد ولا تيجان وهذا البناء عربي جابت اعمدته من انقاض الهياكل وبني في سنة ٦٤١ هجرية. والجنوبية تدعى « قبة الامجد » وهي مسجد بناه الامير الاسفهبلار الكبير صارم الدين ابو سعيد خطلخ في زمن الملك الامجد بهرام شاه سنة ٥٩٦ وجعله زاوية للشيخ عبدالله اليونيني وهو على قمة الاكمة المنسوبة له. وقد بني هذا المسجد من انقاض بناء قديم كان هناك واظنه البناء الذي شاده زينودورس حاكم تراخونيتس (حوران) ذكراً لبنيه ولامراته لوزانيا. ولم يزل هناك عمد مضلعة بارزة في جدران المسجد وتيجان قورنثية الشكل ونقوش قديمة. وكان بقرب هذا البناء كتابة يونانية حفرت بامر زينودورس المذكور وقد نسخها المسيو دوسولسي قبل اندثارها ونسختها في الفصل السابع

تقسم بعلبك الان الى ست احياء وهي غفرة والريش وصلح للمسلمين من السنة والشيعة والفوقا والتحتا والبرانية للمسيحيين. ومعظم بناء البلدة

غير حسن واصلحه محلة المسيحيين . وقد كان يحيط بالمدينة اسوار رومانية لا يبعد انها كانت تقرب من قبة دورس من الغرب ممتدة الى المقالع القديمة ومنها صعوداً حتى قمة الشيخ عبدالله ثم محاذية النهر شرقاً الى راس العين ملتفة من فوق هذا النبع وممتدة منه شمالاً الى الشراوني حيث كانت المقابر القديمة ومنها غرباً الى القشلة التي بناها ابرهيم باشا المصري حيث لم يزل قسم منها عامراً وفيه الباب الشمالي يضمه برجان بنيا بحجارة ضخمة ومن البرج المتصل هناك بالاسوار العربية الباقية لا يبعد ان كانت السور الرومانية تمتد من هناك غرباً مارة بالبساتين الى قبة دورس حيث ابتدأنا . وهكذا كانت الهياكل تبعد من السور بضع مئات من الامتار شمالاً وغرباً وشرقاً وليس كما توهم بعضهم انها كانت مكونة جزءاً منه . فان ما شوهد من أُسس البيوت القديمة في البساتين يثبت رأينا . وكذلك في البستان شرقي راس العين وجدت اثار حائط عريض نظن انها اثار السور الروماني ووجدت ايضاً أُسس أَبنية وقنيّ وآنية خزفية مما يدل على ان تلك الجهة كانت مأهولة

اما الاسوار العربية فلم تزل اثارها قائمة واعمرها ما بُنيت عليه التكنة ولم يكن محيطها اكثر من اربعة كيلو مترات لان المدينة اصبحت بلدةً في القرون المتوسطة وكانت القلعة تتم جزءًا من هذه الاسوار وكان لها اربعة ابواب وهي « باب دمشق » لم يزل عامراً في داخل بيتٍ على طريق راس العين « وباب نحلة » في الجهة الشرقية « والباب الشمالي » وهو روماني وقد ذكرناه « والبوابة » في محلة المسيحيين . وقد اتلف الجهلة البابين الاولين وقسماً كبيراً من هذه الاسوار حديثاً . وقد شوهد في الاسوار المذكورة بضع كتابات تأبينية نقلها العرب من اماكنها الاصلية ليبنوا بها اسوارهم

الفصل الثاني

في

قضاء بعلبك وغلاله وطرقه وما فيه من مجاري المياه

لقضاء بعلبك تسع وستون قرية لها مزارع مساحة ارضها نيف ومليون دونم · يحده قبلة قضا البقاع والزبداني وشرقاً الجبل الشرقي الفاصل بينه وبين قضائي وادي العجم والنبك وشمالاً قضاء حمص ومديرية الهرمل التابعة لبنان وغرباً جبال لبنان وقضا البقاع · وعدد سكانه يبلغ الثلاثة وثلاثين الفاً نصفهم شيعة وسنة من المسلمين والاخر مسيحي بين روم كاثوليك وارثوذكس وموارنة

غلاله : ان اكثر اراضي هذه البلاد خصبة جيدة التربة الا ما كان في سفح الجبال · وغلالها الحنطة والشعير والذره والحمص والفول والعدس والكرسنة يصرف ثلثاها خارجه · وفيها كثير من انواع الفاكهة والتوت للحرير · وفي الجبال المحيطة بناحيتي سهول القضاء الشرقية والغربية غابات متسعة غضة فيها السنديان والبطم واللذاب والمحلب والنجاص البري والدلب والملول يربى فيها عدد وافر من المعز والغنم ويستخرج منها كل سنة مبلغ وافر من الفحم والقطران ما يسد حاجة القضاء وزحلة والشام

طرقه : ان اكثرها مهملة لكنها سهلة مبسوطة واعمها طريق العربات بين بعلبك وزحلة واشتوره حيث تتصل هناك بطريق الشام · وطريق للعجلات بين القصبة وحمص لم ينته بناؤها بعد · وطريق للقوافل تتصل بدمشق مارة بالزبداني وطريق من بعلبك الى بشرّة في الجبل ومنها الى العاقورة · وطريق تخترق الجبل الشرقي جامعة بينها وبين يبرود · على ان

هاته الاخيرات تضيق بالثلج ايام الشتاء فيتعذر السير فيها. واما الترامواي البخاري بين بيروت والشام فيمس حدود القضاء من القبلة. ويخترق الخط العريض القضاء من قبليه الى شماله وله ثلاث محطات فيه : بعلبك واللبوة والراس

مجاري المياه : ان الوجه الشرقي من القضاء اغزر ماء من الغربي اما جداوله فكثيرة تسقي اراضيه. ومنها نبع « الليطاني » مصدره قرب حوش برده حيث ينبع بهدوء ثم يعظم الى ان يعد من انهر سورية الكبرى ومصبه في البحر المتوسط قرب صور بعد مسير ١٨٠ كيلو مترًا. ثم منها "نهر يحفوفا" الذي يخرج من قرية معربون في الجبل الشرقي وتجتمع اليه مياه سرغايا ونبع غيضة النبي شيت فيسقي كثيرًا من القرى المار بها في الجبل الشرقي وسفحه ويصب في الليطاني. ومن شمالي القضا يسيل « العاصي » المسمى بالأرنط قديمًا. يؤكد بعضهم بان نبعه « العلاق » (قرب مزرعة وردين) غربي بعلبك يسيل في ايام الشتاء حتى اللبوة ويسير مع مياهها حتى الزرقاء (اخر حدود القضاء) حيث النبع الغزير. وهناك يتابع سفح الجبل ويسير متلاطمًا الى ارض حمص فيهدأ لاستسهاله الارض ثم تتكون منه بحيرة قَدَس وهي بحيرة قادش الحثية ومنها يعود الى مسيره الاول حتى يصب في بحر الروم قرب السويدية بعد مسيرة ٢٦٧ كيلومترًا

قراه : نشرح في هذا الفصل لفائدة القراء اهمّ ما في القضاء من قرى ومسالك فيكون دليلاً للمسافر جعل الله الحق لنا دليلاً

الخطة الاولى

من

بعلبك الى الارز

ثماني ساعات وربع

بين خضراء البساتين ويانع الاوراق من شمال غرب القصبة يرى المسافر اسوارًا يذكر باقيها تجد ماضيها وثكنة بناها ابرهيم باشا المصري وهي واسعة الارجاء تفضض ارضها المياه . ثم يقع نظره على سهل كاليسيريا الناعم الذي يكفيه قليل من العناية لياتي بجزيل عائدة وعلى خمسة واربعين دقيقة من البساتين يصل الى قرية « ايعات » وفيها الف نفس وماؤُها من بئر . وبعد بيوتها بثلاث دقائق ينقسم الطريق فيؤدي الايمن الى « عمود ايعات » لمسير ٤٥ دقيقة و٥ دقايق من الطريق المسلوك . وهذا العمود مركب من ستة عشر حجرًا فوق قاعدة درجية مربعة على قمته تاج قورنثي علو الكل عشرون مترًا . وهو قائم في السهل وحده ولا اثر اخر حوله . ويقال ان هذا العمود من بناء الملكة هيلانة ام قسطنطين الكبير اذ كانت تشيد في كل مرحلة من طريقها الى القدس اثرًا ليوقد على قمته نارًا ترى من مكان الاثر الاخر افتخارًا واعلانًا بكشف الصليب . ولكن يغلب وجود مثل هذه الاثار تخليدًا لذكر انتصارات ومعارك أُثيرت فبنى المنتصر ما يذكّر بنصره للاعقاب

ثم الى ساعة من هذا العمود « دير الاحمر » قرية كبيرة اهلها الف نفس موارنة ولها كنيستان ومدرسة ماؤُها قليل كدر ومن حولها غابات من السنديان

وعلى مسافة ساعة من تلك الاحراج الغضة «المشيتية» مزيرعة للموارنة فيها معبد صغير وعشرة بيوت ثم ياخذ منها صعدًا. مدى ساعة في طريق صخرية فتنكشف له «عيناتا» وهي جامعة بين حقارة البناء وجمال الطبيعة وخفة حال اهلها مع جودة المناخ كائنة على كتف وادٍ تحف به الجبال الشاهقة والاحراج الكثيفة وتنساب فيه المياه يختلج فوقها الصفصاف ويسبح فيها ظل الجوز. واهل المكان يبلغون ٢٠٠ موارنة ولهم فيها معبد صغير

وعلى مسافة خمس دقائق من عيناتا شمالاً نبعها العذب المتفجر بغزارة من لحف صخرة. وما بعده صعود بمعرّجات عسرة الى قمة لبنان الاقرع. فما يفقده من جمال الطبيعة يستعاض عنه بفساحة المنظر وطلاقة المصدر. وبعد مسير ساعة و٤٠ دقيقة من عيناتا ينتهي اخيرًا الى قمة «جبل الارز» وهناك من علو ٧٦٠٠ قدم عن سطح البحر ينبسط للناظر الى الشرق عند الحد الفاصل بين قضا بعلبك ولبنان سهل البقاع بما يروق العين من الانبتة والازهار ضاحكاً عن باذخات الاشجار وفي عرضه بعلبك كالشامة الخضراء في وجنة حمراء حتى يتهيأ للفكر ان الجبلين المحدقين به كذراعي الطبيعة مدتهما لعناق تلك البقعة المخصبة. فانتيلبنان على يمينها شامخ بانفه الى العلاء وقد شيّبت راسه العاديات يسخر من ضعف الزمان والزلازل والانواء وكأنّه يباهي في العظمة والاقتدار لبنان القوي الجبار المعتمّ بالثلوج الدائمة تمنطقه ادواح الغابات وبين أكماته وادي عيناتا المتحلّي بالزمرد الاخضر وقد انسابت في عرضه السواقي متحدبةً كالصوارم ثم تنصب في بحيرة اليمونة التي تخالها في منتهاه كانها صفحة من لجين يموهها النور بالذهب للعين

واذا التفت الى الغرب يقع بصره على «الارز» غاية محجته. هناك اشجار تخالها اقدم من الارض لشدة بسوقها وضخامة عروقها. تحنو عليها الجبال الباذخة المكتسية بالثلوج من كل ناحية ضناً بها ان تغتالها عاديات

الليل وقوة السيل . وامام الارز بشرّه وكثير من القرى التي تذكر برنّات اجراسها الوديان العميقة بعظمة الله وقدرته . والبحر يبدو من بعدها كمرج اخضر فيقف هناك الفكر عن الامتداد لتمجيد المبدع والجسم عن المسير لاخذ الراحة

ثم ياخذ بالنزول على طريق عرجاء صعبة كالاولى تنتهي بعد ساعة و٢٠ دقيقة الى نبع قديشا (المقدس) الذي تجري اليه سواقي ومياه تلك النواحي . وعلى مسافة خمس دقائق من هذا النبع الى الشمال الشرقي يدخل « الارز »

« ارز لبنان من الاشجار الاكثر ارتفاعاً في المملكة النباتية يبلغ طول ساقه اكثر من ماية قدم ومحيطها من ٢٤ الى ٣٠ قدماً واغصانه تمتد امتداداً عرضياً واوراقه قصيرة مخرزية لا تصفرّ . اثماره بيضاوية الشكل سمراء اللون مخططة على شكل ظريف وخشبه قطراني زكي الرائحة لا يقرضه سوس ولا تبليه رطوبة ولذلك كانت تعمل منه قديماً العمد وتقام به سقوف المعابد

« وقد وصفه بلين المؤرخ الروماني بالاعتبار والخلود ومما يدل على صلابته بقاء سقف هيكل ديانا الارزي مدة اربعماية سنة وثبات اخشاب من ارز نوميذيا في هيكل ابلون مدة ١١٧٨ سنة

« وقد ردد ذكره الكتاب المقدس ووصفه بالارتفاع والامتداد وجودته لبناء الديار والمراكب وحفر التماثيل وجعله رمز المجد والعظمة والرفعة والدوام

« وقد بنى منه داود قصره واستخدمه سليمان لبناء هيكل الرب . وكان في ذلك الحين يغطي لبنان بغاباته فارسل لقطعه ثلاثين الف رجل كان يرسلها مناوبةً كل شهر عشرة الاف (ملوك اول . ص ٥) وعمل له حيرام ملك صور اطوافاً في مينا تلك المدينة وجرها على سفنه الى يافا . وكان

خشب الهيكل الثاني الذي بني في ايام زربابل من الارز. قال يوسيفوس ان هيرودس استعمل خشب الارز لسقف الهيكل الذي بناه. وقيل بان صليب المسيح كان من خشب الارز والشربين وذلك دلالة على ما لهذا الخشب من الكرامة. ومما يقال ان سقف قبة كنيسة القيامة في القدس وكنيسة العذراء في بيت لحم كان من الارز [1]»

ونرجح بان سقوف هياكل بعلبك كانت ايضاً من خشب الارز لاتساع مدى السقوف ومناسبة جذوع الارز لها لطولها وشدة صلابتها. ولم يبق في لبنان سوى خمس غابات اعظمها واشهرها الغابة التي فوق بشرة التي نحن الآن بصددها

هذه الغابة واقعة وسط بقعة فسيحة تحيط بها الجبال الشاهقة بينها وبين البحر نحو ١٥ ميلاً وترتفع عن سطحه ستة الاف قدم. ومحيطها يقرب من نصف ميل وقد سوّرت بجدار حجري لحفظها وفيها نحو اربعماية شجرة ضمن مرج اخضر اقدمها ثنتا عشرة شجرة منها ثنتان محيط الواحدة منهما نحو اربعين قدماً. والباقون من ٢٠ الى ٣٠ قدماً. ولا يقل محيط اصغرها عن عشرة او خمس عشرة قدم. يلفُّ بعضها بعضاً حتى تكاد تغلب الشمس بظلها الكثيف. ولم يدخل الارز رجل لم تدهشه باسقات اشجاره وتقادم اعماره وعزة ادواره والمتبصر به يخال انه يشاركه بمجده ويذكر للناس عظم مهده واثر تقدسه تؤلّه غابرات الازمان وتعليه بتصوراتهم قوات الاديان. وبين هذه المستغربات ينبّه المتقاطر من الناس الى معبد صغير يعلن قوة الله وضعف انسانه ويؤيد اجلال اللبنانيين او بالحري مسيحيي المشرق لهذا الارز العظيم اذ يدعونه « ارز الرب »

والى بعلبك من الارز طريق اخرى. اذ ينقلب المسافر الى عيناتا فيسلك واديها ساعةً للغرب الى « اليمُّونة » المحتوية على مائتي نفس من

(١) عن دائرة المعارف بتصرف. اطلب ارز

شيعة وموارنة · وهي على شاطىء بحيرة بيضية الشكل يبلغ طولها الف متر وعرضها خمسماية تنصبُّ اليها مياه عيون كثيرة متفرقة في تلك الاكام ومنها نبع الاربعين وقد سمّي هكذا لتجس مياهه غالبًا في عيد الاربعين شهيدًا من لحف صخرة غربي القرية فينصبُّ شلالاً متكسرًا على الصخور يدير عدة ارحية ثم يسترسل الى البحيرة كسواقي سائر الاعين · وليس لهذه البحيرة من منفذ الا هاويةً في اسفل قرارها · وفي اواخر الصيف ينضب ماؤها لانقطاع الينابيع · ويعتقد الكثيرون من اللبنانيين ان لمائها علاقة مع نبع افقا الذي منه نهر ابرهيم (او نهر ادونيس القديم) وهو في الجهة الاخرى من الجبل لان ما يطرأ على البحيرة من التقلبات من غزارة ونضوب يطرأ عليه

وعلى ضفاف البحيرة غربي القرية اثار هيكل لعشتروت او الزهرة يثبت ذلك ما جاء في الخرافات الفينيقية وهو ان عشتروت تقمصت سمكة فرارًا من تيفون قاتل ادونيس وذهبوا الى ان ابنتها درقن او درقتا قد غرقت في بحيرة افقا فانقذها السمك · واكدوا ان عشتروت هذه هي نفس ايزيس المصرية التي سكنت لبنان وجأت الى بحيرة افقا [1] وهم يريدون دون ريب بهذه البحيرة بحيرة اليمّونة لشخوص بعض اثار الهيكل الذي ذكرناه على ضفافها ولاعتقاد اللبنانيين منذ القدم ان مياه افقا من بحيرة اليمونة واخيرًا لعدم وجود بحيرة حقيقية في افقا وجوارها

وعلى ساعتين ونصف من شرقي اليمونة مزرعة « بتدعى » واقعة على راس اكمة في كنف الجبل يصعد اليها في طريق كثير التعاريج بين غابات ظليلة · وقبيل هذه المزرعة ببضع دقائق حجر كبير على جانب الطريق نقشت عليه كلمات يونانية نسختها في الفصل السابع · وسكان

---

(١) تاريخ لبنان للاب مرتين اليسوعي · الترجمة العربية · الجزء الثاني - صحيفة ٢٤٣ و ٢٤٤

بتدعى موارنة لا يتجاوز عددهم المائة يستقون من الصهاريج . والى الغرب منها دير للقديس نهرا

وعلى ٤٠ دقيقة منها يشرف على خرابات دير قديم تبعثرت احجاره يعرف حتى الان « بدير اليانط » وفي ساعة يصل الى ايعات مارًّا بقرب عمودها المذكور آنفًا . ثم بعلبك

الخطة الثانية

من

بعلبك الى زحله

ثلاث ساعات وربع على العربة

بين البلدتين طريق عجلات طوله ثلاثون كيلو مترًا . ففي خمس عشرة دقيقة الى غربي بعلبك قبة دورس وعلى ثلاث دقائق للجنوب الغربي حيال الطريق « قرية دورس » معظم سكانها موارنة يستقون من الصهاريج وفي ٣٠ دقيقة منها قرية « نجدلون » في قلب السهل وهي على ٢٠ دقيقة من يمين الطريق . وعلى مسافة ساعة « طاليا » عن يساره قريةٌ لا ماء فيها وسكانها روم ارثوذكس يبلغ عددهم خمسمائة نفس . وينحرف الطريق غربًا على مسافة ٢٠ دقيقة جسر نهر الليطاني حيث يتجسم قليلاً بما ينصب فيه من السواقي والاعين . ثم ياخذ الطريق صعودًا مدة ١٥ دقيقة الى قرب « بيت شاما » الواقعة على ميمنة الطريق فوق وادٍ تخرج منه عينا ماء لسدّ حاجة الاهالي ولسقي بعض الاراضي . ثم « بدنايل » على خمس دقائق من بيت شاما وعشرٍ من يمين الطريق وهي قرية حسنة في بطن

واد تحف به الاشجار والبساتين وفيها ٦٠٠ نفس كلهم شيعة وعلى ٥ دقائق الى اليمين « قصر نبا » على هضبة مشهورة بعنبها وهناك آثار حصن قديم يظن انه كان هيكلاً رومانيا . وعلى عشر دقائق ايضاً « تمنين الفوقا » وهي بين رواب واقعة عن يمين الطريق تعلوها في الجبل خرب تدعى « حصن بنبش » . وشمالي الطريق في السهل « تمنين التحتا » . وفي القريتين مياه غزيرة جيدة تسقي بعض اراضيها . وفي ٥ دقائق منها الحد الفاصل بين قضا بعلبك والبقاع . وهناك على بعد ١٥ دقيقة من يمين الطريق قرية « نيحا » واقعة في ما يلي الجبل عدد اهلها ٥٠٠ نفس وفيها اثار هيكل قديم حوّل بعدئذ الى حصن منيع . وقد عثرت البعثة الالمانية في كنيسة هذه القرية على صنم جوبيتر بعلبك فحملته الى هذه المدينة ونقبت في خرابات حصن نيحا في الجبل على بعد ٤٠ دقيقة من القرية الى الغرب ووضعت رسوم هيكل فخيم كان هناك لعبادة جوبيتر الشمسي يضاهي بهندسته ووضعه الهيكل الصغير في بعلبك

وفي خمس وعشرين دقيقة منها « ابلح » وهي مبنية على جانب الطريق الايسر وفيها بساتين جميلة يسقيها نبعان غزيران نخرجهما في القرية واهلها نيف والف نفس روم كاثوليك . وقبالة ابلح في الجبل على بعد ٢٠ دقيقة منها « النبي ايلا » (الياس) مزار يؤمه الشيعة من اطراف البلاد للتبرك . ثم خمس عشرة دقيقة من ابلح قرية « الفرزل » واقعة على ربع ساعة من يمين الطريق وهي في لحف الجبل تحفها الروابي والهضاب جيدة الماء غزيرته يربو اهلها على الالف وخمساية نفس من الروم الكاثوليك وفيها كنيسة للسيدة يقصدها الزوار في عيدها الواقع في ١٥ آب . وهذه القرية قديمة قيل انها مار يمنانسيس المذكورة في تواريخ المسيحيين الاولين واليها تنسب كرسي الاسقفية اما الاساقفة فيقيمون في زحلة لاهميتها وكثرة عدد اهلها . وفوق هذه القرية للغرب الشمالي مغائر قديمة تدعى

" مغر الحبيس " بعضها ذات نقوش . وعلى بعد نصف ساعة منها في الجبل اثار هيكل قديم وامامه عمود على شكل المسلات المصرية متوج باكليل من الغار

وعلى ٢٥ دقيقة منها " كرك نوح " قرية عن يمين الطريق يبلغ عدد سكانها الاربعمائة . ثلاثة ارباعهم من الروم الكاثوليك والربع الآخر شيعة فيها معبد قديم يزعم اهلها انه قبر نوح و يقولون ان نوحاً عليه السلام سكن بعد الطوفان مع اولاده سهل البقاع و بعلبك ومات في الكرك ودفن فيها . وطول قبره يبلغ الاربعين ذراعاً لان نوحاً كان على زعمهم طويل القامة جداً . وذهب البعض الى ان قال ليس في القبر الا ساقيه وانه كان اذا مشى وصل بساقيه الجبلين . وقد زار هذا القبر بيبرس البندقداري بعد اعتلائه العرش سنة ١٢٥٨ مسيحية فرممه ومن الكتابات الرومانية التي وجدت عليه يعلم انه كان حصناً بناه الرومان

وهذه القرية تكاد تتصل " بالمعلقة " قصبة قضاء البقاع . وسكان هذه القصبة الفان معظمهم مسيحيون من روم كاثوليك وارثوذكس وموارنة وقليل من المسلمين وتاتيها مياه زحلة فتسقي بساتينها الواسعة الجميلة . وفي المعلقة اربع كنايس ومعبد للبروتستان وعدة محال للقهوة . وفيها ايضاً محطة السكة الحديدية المارة من بيروت للشام وهي متصلة بزحلة اتصالاً تاماً لا يفصلها عنها سوى سلسلة صخور صغيرة غرباً وغياض كثيفة جنوباً

اما " زحلة " فهي من اعمال لبنان فيها عشرون الفاً من السكان معظمهم روم كاثوليك وقليل من الموارنة والروم الارثوذكس وهم قوم اشداء . والبلدة مبنية على كتفي وادٍ جميل يدعون القسم الجنوبي منها " الضيعة " وهو الاكثر سكاناً والشمالي القاطع . و ينساب في اسفل الوادي نهر البردوني الغزير الجيد متكسراً على الحصى البيضاء . والبردوني نهر منبعه قرية قعفرين في لحف جبل صنين على بعد ساعة ونصف من زحلة .

و بعد ان يسقي اهل البلدة واراضي المعلقة يصب في الليطاني

و بناء زحلة حسن اما طرقاتها فكثير منها ضيق غير منتظم وشوارعها قذرة . يقصدها صيفاً كثيرٌ من المتنزهين لبارد مائها وطيب هوائها ولتوسطها بين بيروت والشام . وهي مركز قائمقامية لا يزيد نطاقها عن زحلة والاحواش المتصلة بها واراضيها ضيقة لا تستعمل لزرع الحبوب غير ان كرومها كثيرة خصبة وعنبها لذيذ مشهور ولاهلها تجارة واسعة بالاغنام والصوف . واليها يصدر جانب من غلال البقاع و بعلبك لقربها من قضائي المتن وكسروان ولكثرة تردد اهالي القضائين اليها

في زحلة تسع كنايس للروم الكاثوليك منها كنيسة سيدة النجاة الكاتدرائية وهي حسنة الداخل وكنيستان للموارنة وثنتان للروم الارثوذكس احداها كاتدرائية ومعبد للبروتستان . وفي طرفها الغربي دير مار الياس للروم الكاثوليك وللآباء اليسوعيين دير اخر في قسم الضيعة . وفيها مدرسة داخلية يديرها آباء الرهبنة الباسيلية البلدية وهي من المدارس الاحسن اتقاناً في سورية وتدعى بالكلية الشرقية . وفي زحلة ايضاً مدرستان للذكور الواحدة بادارة الآباء اليسوعيين والاخرى للروم الكاثوليك في دارهم الاسقفية ولهولاء مدارس اخرى ابتدائية في نفس البلدة . وللمرسلين الاميركان مكتب الذكور . وللبنات مدرسة في الدار الاسقفية للكاثوليك واخرى يديرها راهبات قلبي يسوع ومريم ومدرسة متقنة للانكليز

وليس لزحلة تاريخ ولا وعت اثاراً فهي حديثة نزح اليها الناس ليتقوا بصخورها ومنعة موقعها شر الظلمة من آل حرفوش . ولم تذكر الا في القرن الثامن عشر في حوادث امراء لبنان . وكانت وقتئذ من اعمر القرى في الجبل لا يقل اهلها عن الخمسة الى السبعة الاف نفس . وهم من مناشىء ثلثة اهمها البعلبكيون وهم النازحون من نفس بعلبك . والراسيون وهم من راس بعلبك — قرية كبيرة فيها كاسترى . والثالث من الفرزل

وهي لبعلبك ايضاً وقد اتاها بعض الجبليين والى الان اهلها حزبان بعلبكي وراسي . ويعرفون بشدة الباس وصعوبة المراس حتى ذهبت الامثال بقوتهم غير ان انقسامهم وتشتت كلمتهم اضرّا بهم كثيرًا

الخطة الثالثة

من

بعلبك الى الزبداني

سبع ساعات

لا يكاد يودّع الرجل البلدة حتى يرى ما يجدّد له ذكر عظائم الاقدمين الحجر المسمى بالتقليد « حجر الحبلى » في جنوبي البلدة . فياخذ في لحف الجبل الى ان تنكشف له في ٢٥ دقيقة عن يساره قرية « دورس » المذكورة آنفاً . وفي خمسين دقيقة يهبط وادياً صغيرًا خالياً من الانبتة والاشجار ينحدر من احدى جهتيه نبع صغير عذب الى قرية « الطيبة » وفيها مايتا نفس روم كاثوليك وعلى ٣٠ دقيقة منها يرى غير واصل قرية بريتال عن يمين طريقه تظلل اشجار هضباتها سير اهلها حين يختتون لانهم أُولو باسٍ على الليل . فيها ثمانماية نفس شيعة بينهم نفر قليل من المسيحيين . وقد احرقها اهل زحلة سنة ١٨٥٥ اخذًا بدم قتيل منهم . ويذهب بعض الكتبة الى انها بيروتاي المذكورة في سفر صموئيل الثاني ص ٨ عدد ٨

ثم لثمانٍ وعشرين دقيقة « حورتعلا » على شفير وادٍ عميق اقرع يستجمع سيول الشتاء سكانها ٣٠٠ نفس شيعة . ثم يصعد الطريق تدريجاً نحو ساعة ونيف الى « النبي شيت » سكانها نحو ٨٠٠ نفس شيعة .

وفي وسطها بناء يزعمون انه مدفن شيت بن آدم فسموا القرية باسمه وهو مزار يقصده الشيعة من انحاء البلاد

ومن النبي شيت يصعد جنوباً الى قمة الهضبة ثم يهبط على عشر دقائق منها في مسالك وعر الى بطن واد يخترطه نهر يحفوفا فيشاهد مزرعة « جنتا » بين الاشجار الغضة · وهناك الحد الفاصل بين قضا بعلبك والزبداني · ومن ثم يجاري مجرى النهر صعوداً نصف ساعة الى « يحفوفا » وهي في حضن الجبل فيها البساتين الكثيرة ومحطة لسكة حديد بيروت والشام · ويطرد الصعود مجارياً مجرى النهر بين الاحراج الكثيفة الى ٢٠ دقيقة فيطأ جسر الرمانة حيث يتشعب منه ثلاث طرق مختلفة تؤدي كلها الى بعلبك · ولثمان وعشرين دقيقة قرية « سرغايا » في لحف جبل اجرد غير ان للقرية بساتين نضرة يسقيها نبع غزير يلتقي باقيه بنهر يحفوفا واهل القرية يبلغون ستماية نفس من الشيعة وعلى مسير ساعة الى الجنوب الغربي مزرعة « عين حور » وفي ٢٥ دقيقة الى يساره يتشعب صعداً طريق اخر الى « بلودان » قرية جميلة على قنة الجبل يبلغ ارتفاعها ١٤٧٧ متراً عن سطح البحر · وعلى ثلاثين دقيقة منها « الزبداني » قرية كبيرة وقصبة قضاء تشكل حديثاً باسمها تعلو عن سطح البحر ١٢١٣ متراً · وهي كثيرة البساتين والغياض تكثر فيها الاشجار المثمرة كالتفاح والنجاص والسفرجل فتصدره الى جهات مختلفة · ماؤها غزير يروي اراضيها الواسعة الخصبة · وبقربها نبع بردى المشهور و يبلغ عدد اهلها نحو الثلاثة الاف نفس ثلثاهم مسلمون والثلث الاخر روم ارثوذكس وكاثوليك

ومن الزبداني الى الشام سبع ساعات يماشي فيها المسافر الوادي الجميل ونهر بردى المتسلسل فيه ثم يدخل الصحراء و بعدها طريق العجلات حتى دمشق

الخطة الرابعة

من

بعلبك الى نبع العاصي

ثمان ساعات

يسير المسافر من بعلبك في سفح لبنان الشرقي نحو ساعة ونيف الى " نحلة " قرية كأن بيوتها منحوتة فيحسبها هاوية الى واديها العميق المخصب المزدان بالبساتين النضرة والماء فيه ثجّاج فجّاج من ابهج مسارح النظر . ويبلغ سكان القرية ٢٥٠ نفساً من الشيعة .وفيها اثار هيكل قديم مبني بالحجارة الكبيرة لم يبق منه سوي دكّته كدكة الهيكل الصغير في بعلبك وبعض الاثر من جدرانه . والى الجنوب الشرقي من نحلة " نبع اللجوج " الصافي الغزير . كان هذا النبع يسقي قديماً القسم العالي من بعلبك وقلعتها فيسيل اليها بقناة رومانية مبنية بحجارة مربعة مطلية بالشيد ومسقوفة بالواح حجرية بحيث يكاد الرجل ان يمشي في القناة مستوياً

وعلى مسير ٥٤ دقيقة من وادي نحلة في موطيء الجبل يفضي الى " يونين " قرية كبيرة في بطن وادٍ خصيب تجري فيه ينابيع غزيرة فتسقي بساتينه الكثيرة النضرة ويبلغ عدد اهلها الفاً ومائتي نفس شيعة

وعلى مسافة ثلاثين دقيقة من يونين نبع " اهلا " يجد المسافر ويوعز اليه . فهذا النبع البارد المنبثق من قلب صخرة يسقي على بعد بضع دقائق الى الغرب بعض اراضي " رسم الحدث " مزرعة صغيرة وقد ظن كوندر ان اسم رسم الحدث قد يكون حدّاً من حدود الاراضي المقدسة

وعلى مسافة ساعة من جنوب النبع مرتفع ينفرج منه للنظر سهل بعلبك وقد لاحت قراه بين خضرة المروج وسلاسل الجبال كأنها قيود حياة واصابع صراط الى الفلاح · والى الشمال يرى لبنان الشرقي وخيط الافق يقطعه فوق البرية المتصلة بتدمر · اما لبنان الغربي فيراه كأنه ينقطع وهو لا ينقطع تكسوه نضارة الغابات لباساً لا تمزقه الرياح · ثم تجلي للعين في السهل البعيد بحيرة حمص يظللها الغمام واقرب منها قاموع الهرمل والقرى المنبثة في السهل وفي سفح الجبال

ثم ياخذ الطريق انحداراً شيئاً فشيئاً نحو ساعة حتى " اللبوة " وهي من اعذب قرى بعلبك ماء واكثرها خيراً واشجاراً واغزرها انهاراً تنبثق من نبع عظيم مصوت في شرقيها فتسقي اراضيها وغيرها من القرى الى ان تختفي في ثجاج العاصي · ولهذا ابرموا بان نبع اللبوة هو المخرج الاصلي لهذا النهر الواسع · قيل ان زينب ملكة تدمر الشهيرة اخذت قسماً من مياه هذه القرية واجرتها في قناة عظيمة الى تدمر · ولا يزال النهر الذي يسقي اراضي العين والراس والبقاع يدعى بالقناة الى اليوم

وقد نقل الاهلون قريتهم مؤخراً الى ما وراء النبع للشرق ويرى في قريتهم القديمة خرابات هيكل عظيم حصنه العرب · وحدث في ارض اللبوة وقعة بين الاسلام والصليبيين في ١٧ شوال سنة ٥٦٥ هـ — ١١٧٠ م وتفصيل ذلك ان شهاب الدين محمد بن ايلغازي بن ارتق صاحب قلعة البيره سار بمائتي فارس لخدمة السلطان نور الدين محمود بن زنكي · فلما وصل الى اللبوة خرج للصيد في ارضها مع فرسانه فصادف ثلاثمائة فارس من الفرنج الصليبية يقودهم رئيس فرقة الاسبيتالية (فرسان مالطة) وكانوا قد خرجوا للغارة · فتلاحموا واقتتل الفريقان فانهزم الفرنج وعمهم القتل والاسر فلم ينج منهم احد · ويظن ان اللبوة هي ليبو القديمة الرومانية وقد جاء في كتاب موري " الدليل في سورية وفلسطين " ما يأتي:

ان كلمة اللبوة تقرب من الكلمة العبرانية « لبوا » التي ترجمت في الكتاب المقدس « بالمدخل الى » عند ذكر حماة في سفر العدد ص٣٤ عدد ٨ . مع انه يجب ضبط قراءة السورة هكذا « (٧) وهذا يكون لكم التخم الشمالي من البحر الكبير تخطُّون لكم الى جبل هور (٨) ومن جبل هور تخطُّون الى لبوة حماة »

فعلى هذا النحو تضمُّ حماة كل البلاد التي كانت تلك المدينة قاعدتها وكذلك في سفر حزقيال ص٤٧ عدد ١٥ استعملت الكلمة ذاتها في سياق الحديث عن صَدَد فتُرجمت هكذا « من البحر الكبير على طريق حتلون وانت آتٍ الى صدد » . فهذه السورة كان يجب ان تُعبَّر هكذا « من البحر الكبير على طريق حتلون واللبوة وصَدَد » . فان كان كذلك فاللبوة كانت نقطة مهمة مُعيَّنةً تخم ارض الميعاد وقرب رسم الحدث منها يعضد رأينا هذا . والى هذا العهد اتفق مفسرو الكتاب المقدس على تعيين « مدخل حماة » في سهل البقاع بين جبال لبنان . ولكننا نُفضّل تفسير كلمة « لبوا » باسم مكان ونثبت انه كان في قرية اللبوة » [1]

وحقيقة ان لبنان الشرقي والغربي يكادان يتضامَّان عند اللبوة حيث يتكون مضيق وان قل اتساعه فانه لا يمكن العبور لبلاد حمص وحماة الا من هذه القرية . فاللبوة اذاً مدخل حماة ومن تخوم الارض المقدسة

ومن اللبوة الى نبعها المذكور يستدير الطريق ليحاذي مجرى الجدول المعروف بالقناة ويمتد مسافة ١٥ دقيقة الى حيال « النبي عثمان » ثم عشر دقائق لقرية « العين » وهي غير صغيرة ذات مركز حسن وبساتين غضَّة فيها ٥٠٠ نفس شيعة ونفر قليل من الروم الكاثوليك

ثم يثبطن الطريق تلك الهضاب مسافة عشر دقائق الى اكمة

---

(١) الخطة السابعة والاربعون . صحيفة ٣٧٨
Murray Hand-Booh to Syria and Palestine

تشرف على قرية « الفاكية » يهبط اليها بسلك وعر طوله خمس دقائق وهي كبيرة تحيط بها الصخور والروابي يبلغ عدد سكانها ٨٠٠ نفس ثلثاهم روم كاثوليك والثلث الاخر مسلمون وهي مركز مديرية تابعة قضاء بعلبك وفيها سوق يفي بحاجة القرى المجاورة ويُصنع في هذه القرية سجاد جيد

ثم ياخذ المرء صعوداً الى ان تنبسط له تلك الهضاب مدة عشرين دقيقة الى « راس بعلبك » وهي اكبر قرى القضاء لا يقل عدد انفسها عن الالفين من روم كاثوليك لهم كنيسة واحدة ودير للسيدة شرقي القرية بناه المطران يوسف صقر اسقف حمص الكاثوليكي وسكن فيه · واهل القرية اشدَّاء ذوو باس وقوة لجودة مناخ موقعهم · وكانت القرية من قبل اكثر عمرانًا ولكن اعتساف الحرافشة اكره الكثيرين من اهلها على الجلاء فلجأُوا الى زحلة كما مر بيانه

وفي الراس خرابات كنيستين قديمتين احداهما في وسط القرية والاخرى غربيها · وطول الثانية نحو ٢٠ مترًا وبقربها خرابات اخرى درست تمامًا وربما استُدِلَّ من احجارها على انها كانت قناة ماء رومانية · ويزعم بعض العلماء ان قرية الراس هذه هي « كونا » القديمة المذكورة في كتابات انطونينوس · ولم يزل اهلها يقولون بانها كانت تدعى « القُنَيَّة » وهو تحريف اسمها القديم

ومن القرية شمالاً تشاهد قرية « القاع » على مسافة ساعتين منها وفيها ١٠٠٠ نفس من الروم الكاثوليك · واراضيها تحد بقضاء حمص من الشمال وبالنبك من الشرق مشرفةً على برية تدمر القفراء

وفي الراس النبع المعروف بالحُصَيْب وهو لألاء طيب · ومنه يؤْخذ بين بساتين التين جانب السهل شمالاً بميلة الى الغرب في طريق يفضي في ساعتين الى قرب لبنان الغربي · ثم يغور وينجد مسافة ٢٠ دقيقة الى ان يبلغ مرجةً تحميها الصخور العالية · وهناك « عين الزرقاء » نبع

العاصي حيث تنشق الارض عن ماء عرام يملأ محتضناً كبيراً في ظل اشجار الدلب والتين . ثم يتدفق ضاجاً الى مسيل من اللبوة . والى ثلاثين خطوة يجتمع بنبع اخر ينفجر عن ماء فحضاح فيضطربان و يعلو صوتهما كأنهما بسيرهما متخاصرين يدوخان الارض و يذلان الصخور وهنا نهر العاصي

والى جانب النبع مسالك لأكمة صخرة جهة الشرق لا تبعد خمسماية خطوة وهي منحوتة نحتاً عمودياً يبلغ علوها ٩٠ متراً . وفيها كهف يسمونه « دير مار مارون » قيل انه كان ماوى هذا القديس الناسك او البعض من تلاميذه . وله ثلاث طبقات مؤلفة من غرف كثيرة ومذابح و يصعد من الطبقة الواحدة الى الأخرى بدرج في الصخر منحوت لجميع ما فيها من الغرف . وقد تمنَّع فيه العرب او غيرهم فان فيه مرامٍ للسهام وسرداباً يوصله بالعاصي القوي السير اسفل الوادي المشرف عليه

ثم من هذا الدير الى « قاموع الهرمل » نصف ساعة الى الشمال الشرقي . وهو مبنيٌّ على تلة تشرف على جميع البلاد الواقعة بين مدينة حمص وجبل حرمون . وهو على قاعدة من الرخام الاسود البركاني ذات ثلاث درجات يبلغ علوها متراً و ١٠ سنتيمترات وفوقها طبقتان من البناء . فالاولى ذات افريز يمثل صور حيوانات يعسر تمييزها ما عدا إيّلين على الوجه الشمالي وبعض وقائع صيد . وعلو هذه الطبقة ٧ امتار وعرض كل وجه ٩ . وعلو الثانية ٦ امتار . وفوقها هرَم علوه ٤ امتار ونصف وهو اصغر حجارة مما سواه

ومن دون هذا الطريق بين بعلبك والراس طريق العجلات المنشأ الى حمص يمرُّ « بقنة » في قلب السهل بعد ساعة وربع وعدد سكانها (٣٠٠ نفس شيعة) ثم في ساعة منها مزرعة رسم الحدث تابعة قرية « شعت » وعدد سكانها (٦٠٠ نفس منهم ٥٠٠ شيعة و ١٠٠ سنَّة) ثم اللبوة وقد مر ذكرها . ومنها يمر تحت النبي عثمان والعين والفاكية حتى ينتهي الى الراس

الفصل الثالث

في

تاريخها ومعتقداتها القديمة

اسمها القديم : قيل ان اسمها الاصلي الفينيقي بَعْلَبَكَّا او بعلباح . واغلب الظن « بعلبكى » كما سماها اصحاب التلمود واشارت اليه الكتابات المسمارية (؟) [١] . وتفسير ذلك مدينة البعل نسبةً لهيكل البعل الذي بناه الفينيقيون فيها او انه سرياني « بعل بقعوتو » اي بعل البقاع وعرّبه العرب الى بعلبك ثم ابدلهُ اليونان « بايليو بوليس » مدينة الشمس وذلك ترجمة اسمها الفينيقي فان البعل هو شمس الفينيقيين . ولكن اسمها القديم بعلبكّ قد غلب استعماله عند الوطنيين كغيره من اسماء المدن الفينيقية رغماً عما وضعه اليونان من الاسماء كما قرره اميان مركلين ودلّ عليه قول امرء القيس الذي مرّ بها ايام خضوعها للرومان قبل الفتوح الاسلامي حيث قال

لقد أنكرتني بعلبكُّ واهلها ولابن جريجٍ في قرى حمص أنكرا

وقد اثبته العرب باستيلائهم عليها ولم تزل تدعى به ومهما اختلفت تسميتها فمعناها واحد في السريانية واليونانية والعربية

زمنها السالف وحكاياتها : تعدُّ بعلبك من اقدم مدن الدنيا وقد زعم من تملكها من الامم انها سابقةٌ بوجودها الطوفان . وقد خرق ذلك خاصةً اعتقاد العرب الذين قالوا بولد آدم والاجداد الأُول في البقع

---

(١) تاريخ لبنان للاب مرتين اليسوعي الترجمة العربية ك ٢ : صحيفة ٣٨٩

المجاورة لبعلبك . فسكن آدم دمشق وقُتل هابيل في كورة ابيلين التي سُميت به (وهي سوق وادي بردى) . ثم دفن ادم في الزبداني وتوفي شيث في النبي شيث من بعلبك وأُلحد نوحٌ الكرك قرب زحلة فسميت باسمه كما مرَّ . وغُبِر حام بتراب قرية لم يزل اسمها منه وهي بمحتضن الجبل الشرقي على اربع ساعات من بعلبك . وزعموا ان بعلبك اول مدينة بُنيت في الدنيا اذ قالوا بان قايين بعد ان لُعن بقتله اخيه اتى بعلبك فبنى قلعتها ليحمي نفسه من هجمات اعدائه

وقد ذكر البطريرك اسطفان الدويهي في تاريخ الازمنة ما نصهُ . « قال اصحاب الرواية ان قلعة بعلبك هذه في جبل لبنان هي اقدم من جميع ما بناه البشر في العالم باسره . اعني ان قايين بن آدم عندما اعتراه الارتعاش امر ببنائها في السنة ١٣٣ من كون العالم ولقبها باسم ابنه اخنوخ واسكن فيها الجبابرة والمهترجيَّة ولكثرة فواحشهم ارسل الله طوفان الماء » (!)

وذكر العالم الاب مارتين اليسوعي نقلاً عن كتابة لاحد المرسلين « ان قسماً من المؤلفين كما اثبت الامير ردزيفيل وكذلك جمهور اهل البلاد يعتقدون ان الشيطان اشمودي كان مؤسساً لبعلبك ومهندساً لها وذلك انهم لم يصدقوا مطلقاً ان البشر بلغوا من الصناعة ما يتمكنون به من تشييد مثل هذه البناية الجميلة وان اهل الخبرة والتجربة منهم اتصلوا ببراعتهم ومهاراتهم الى حد ان يستخرجوا من المقالع تلك الحجارة الضخمة العجيبة في كبرها » [1]

وقد وافق بعض العلماء الانكليز الاعتقاد الشرقي بكون بعلبك بنيت قبل الطوفان بحجة واهية « ان المستودنت (وهو البهموت حيوان كالفيل صورةً لكنه اكبر جسماً منه انقرض بالطوفان) التي كانت في ايام قايين

---

(١) تاريخ لبنان : الكتاب الاول : الفصل الثاني : عدد ٤ . وجه ١٥١

انما هي التي نقلت تلك المواد الضخمة المستعملة في بناء هذه المدينة »[١]

« ولما كانت العرب تعتقد بان نمرود كان رجلاً كافراً عاتياً وانه زعيم عبدة الاصنام وقد ملك في لبنان قالوا ان ابرهيم انذر هذا الملك بغضب الله فطرحه في اتون من نار خرج منه سالماً . فقال اذ ذاك لحاشيته اريد الذهاب الى السماء لاري هذا الاله الذي ينذرنا ابرهيم بقوته وامر ببناء برج بابل . ولما صعد قمته راى أن السماء لم تزل بعيدة عنه كما لو كان باقياً على سطح الارض . ولما تهدم البرج في الليلة التابعة عزم لحماقته ان يصعد الى السماء في عجلة يجرُّها اربعة من الطيور . غير ان عجلة نمرود بعد ان تاهت في الفضاء مدة سقطت على جبل بعنف فزعزعته . وبما ان الجبل الذي تدهور عليه كان حرمون فقبر هناك »[٢] . فزعم الشرقيون ان بعلبك كانت البرج الذي بناه نمرود ليصعد منه الى السماء . واخبر دارڤيو بان اليهود في سنة ١٦٦٠ كانوا يعتقدون ذلك اذ قال : يؤكد اليهود بان تحولة لبنان الشرقي هي نتيجة اللعنة التي جلبها نمرود على نفسه لما شرع في بناء برج بابل (بعلبك)[٣]

وفي كتاب مخطوط قديم وجد في بعلبك مذكورٌ ما نصهُ « من بعد الطوفان لما ملك النمرود في لبنان ارسل جبابرة فجددوا بناء قلعة بعلبك وسموها باسمها اكراماً لبعل اله الموابيين وعبدة الشمس »

وكانت العرب تزعم ان ابرهيم اب الاباء ملك في دمشق ونواحيها وذهبوا الى ان مقامه كان في بعلبك وكذلك مقام كل الانبياء . وقال ابو زكريا القزويني « في بعلبك قصر سليمان (عم) وبقلعتها مقام الخليل

---

(١) David Urghart. thi Lebanon. Diary

(٢) تاريخ لبنان للاب مرتين ك ١ : ف ٢ : عدد ٨ وجه ١٨٥

(٣) الجزء الثاني . الفصل السادس والعشرون D'Arvieux. Mémoires

(عم) وبها دير الياس النبي وهناك اخزى ذاك النبي كهنة الاصنام ورای غمامة صغيرة شبه ترس وصعد على فرس من نار ولم تعرف بعد ذلك اخباره » [١]

وقد اضاف الشرقيون الى هذه المستغربات والمذاهب ما قالوه عن اعمال سليمان بن داود من انه بنى فيها قصراً عجيباً قدمه مهراً لبلقيس وانه كان « يتغدى في بعلبك و يتعشى في اصطخر افغانستان » [٢] و بعض مسيحيي المشرق يعتقدون ان القصر الذي بناه سليمان لامراته ابنة فرعون المذكور في سفر الملوك الاول (ص ٧ : ٢) « و بنى بيت وعر لبنان » كان في بعلبك وانها المقصودة في نشيد انشاده (ص ٧ : ٤) « انفك كبرج لبنان الناظر تجاه دمشق »

عصرها الكتابي : ظن بعض الكتبة انها بعل جاد المحكى عنها في سفر يشوع (ص ١١ عد ١٧) لكن الكتاب المقدس يصرح بان هذه كانت في عبر الاردن في سفح حرمون اي جبل الشيخ (يشوع ص١٢ : ٧) مما لا ريب فيه ولكن يغلب الظن على ان بعلبك هي « بعلة » المذكورة في (الملوك الاول ص ٩ : ١٨) بالنص الآتي « و بنى سليمان ... و بعلة وتدمر في البرية في الارض

فالشبه القريب بين اسم بعلة و بعلبك وذكر كونهما في البرية بجوار تدمر يجعلنا ان نعتقد ان الاسمين لمسمى واحد وان بعلبك كانت من مدن المخازن التي بناها سليمان ايثاراً لمركزها التجاري ولتوسطها بين فلسطين وصور وتدمر ووقوعها في آمن طريق لتخوم مملكته البعيدة الممتدة من غزة حتى تفسح على الفرات (ملوك اول ص ٤ : ٢١ و٢٤) . ولا يبعد

---

(١) اثار البلاد الصفحة ١٠٤ (٢) دائرة المعارف . انظر اصطخر

ان يكون قد وجد في اواخر ايامه ان لبعلبك ومعبودها البعل حظوةً في اعين نسائه الغريبات فبنى او جدد بناء هيكلها بفخامة وعظمة تليقان بمجده ذلك يؤيده المتداول تقليدًا بين الاهلين بان سليمان بنى بعلبك وانـه اعطاها لبلقيس مهرًا ومع تعذر القطع احيانـًا بالتقليد لتلوّث الافكار بالاديان التي ربما اثبتت من الخرافات ما لا يصح للعقل قبوله · ففي مثل هذا يجب تحكيم العقل بكل دقة والتقليد حسنٌ متى ايَّدته الادلة العلمية وعزّزه التاريخ

وقد اعترض بعض العلماء بقولهم ان بعلة المقصودة كانت في سبط دان في جنوبي فلسطين مستندين في ذلك الى ما جآء في سفر يشوع (ص١٩ : ٤٠ — ٤٦) حين اقتسم الاسباط الارض · ولم يقم دليل على قولهم · ومن المقرر تكاثر هذا الاسم في سوريه وفلسطين لان البعل كان معبود الفينيقيين والكنعانيين حتى دخول الدين المسيحي · ودليلنا الثابت وجود بعلة اخرى هي قرية يعاريم كانت في سهم يهوذا (يشوع ص١٥ : ٩ و٢٤ و٢٩) وبعلة بير رامة الجنوب في سهم شمعون (يشوع ص ١٩ : ٨) ويزيدنا رسوخًا فيما اعتقدناه ذكر الكتاب موقع « بعلة وتدمر في البريه » معًا وما من بعلةٍ غير بعلبك الواقعة على مسافة ثماني ساعات من مبتدأ برية تدمر والتي هي طريقها

عصرها الفينيقي : ان ما ذكرناه من التقاليد القديمة المحجوبة حقائقها بستار الخرافات وما اوردناه عن زمن نشأة بعلبك لعهد سليمان يثبت اهمية وقِدَم هذه المدينة وتقدمها في الوجود على سواها · وذلك يقرّب للعقل انه بعد موت سليمان وتجزيء مملكته استقلت بعلبك بسلطة دينيه قبضت عليها يد الفينيقيين فجعلوا هيكلها محجًا تتقاطر زوارهم اليه وعظموا في اعين الوطنيين بعلها وهو الشمس حتى طارت شهرته في الافاق

وغلبت على شهرة سواه في المدن السورية المختصة بعبادة بعل . فاصبحت بعلبك مدينتهم المقدسة وقبلة حجيجهم ومطمح دول ايامهم . فازدانت بما استنار فيهم من حب التفاخر وتسلط اليقين بهيا كل كأنها ابراج السماء او خيال العلاء يرحلون اليها بالنفيس والثمين ويقربون فيها الطيب باليقين

غير ان تقلبات الدهور وغِيَر الايام لم تترك لنا دليلاً تاريخياً نحدّث به الناس عما كانت عليه بعلبك في ذلك العصر من العظمة وعن مكانتها من العمران والنجاح وكيف تم لها ان تقرر تلك السلطة الدينية في عقول الشرقيين . ولكن مما يسلّم به العقل تسليماً مطلقاً انه لولا شهرة بعلبك وعظيم اعتبارها عند الوطنيين وبلوغها الشأو الأسمى في اذهانهم وجعلهم اياها مدينتهم المقدسة وتعلق بني المشرق عموماً بعبادة بعلها واكرامه ما ترك الرومان تزيين عاصمتهم رومة العظمى بمثل ما زينوا الهياكل التي شادوها في بعلبك السورية واوصلوا بها الصناعة الى حد الاعجاز في الاتقان ومنتهى التخيل في صور النقوش والزخرف

وقد فصل الاب مرتين اليسوعي عن رأيه بشان عصر بعلبك الفينيقي فاجاد بما نصه « لما كانت بعلبك مستترة في سفوح الجبال عند تخم كثير من الممالك محمية بلبنان الغربي من لصوص البحر و بالشرقي من حبايل ومكايد اهل الشرق كان مركزها من اوفق المراكز التي تجعلها محلاً مخصوصاً بعبادة بعل وتغشي اسرارها بغشاء لا ينفذ اليه البصر . ومن ثم فان هذه المدينة كانت في اول الامر مسجداً للعبادة السورية الفينيقية ومع انها واقعة في احسن محل عند مدخل البقاع الشمالي مشرفة على سهول بهية تشتمل على مسافة اكثر من مئتين واثنين وعشرين كيلومتراً مربعاً وقادرة ان تمد شوكتها ونفوذها وتصل الى اعلى درجة من السعادة وترتبط باحسن العلايق مع جميع المدن القديمة نرى انها لم تكن مطلقاً الا مركزاً دينياً ومعبداً مشهوراً لبعل وقاعدة مملكة كهنوتية يرجح انها كانت صغيرة جداً . ومن

حيث انها كانت تجاري جميع المدن التي تجاورها بالعظمة والاقدام بسبب ما كان لها من الكرامة الدينية استخدمت عطايا الامم وهباتها فرفعت تلك الاثار الجبارية التي لا تزال الى اليوم تقضي العجب من زائريها . ولا بد مدينة بعل فانها كانت كهنوتية محضة والا فلا اقل من انها كانت منقسمة بين كاهن بعل الاكبر و بين ملك اخر مكلف على الخصوص بسياسة الامور المادية . وهذا ما كانت تقتضيه الحالة الدينية لتلك المملكة الصغيرة »[1]

وقد ذكر لوقيان السوري من كتبة القرن الثاني للمسيح وجود هيكل مصري في بعلبك مكرس للشمس . ومكرو بيوس المؤرخ اللاتيني للقرن الخامس للمسيح يخبر عن كهنة مصريين اتوا في الازمنة الاولى وشادوا هيكلاً عظيماً للشمس

ولكن يخال لنا ان هذا الهيكل المصري المزعوم ليس الا اصلاح قام به احد الفراعنة الذين حكموا عدة مرات في سوريه ادواراً طويلة وكانوا يشيدون في جميع انحاء ممالكهم ابنيةً تشهد ليومنا هذا بسعة سلطتهم فلا يبعد ان يكون احدهم جدد بناء هيكل البعل وهو شمس الفينيقيين بعد ان عبثت به وقتئذٍ يد الحدثان

وقد ذكر غيرهم ان قد أُتي بتمثال الشمس الى بعلبك من ايليو بوليس المصريه (المطرية الان) رصيفتها في مصر وكان يشبه تمثال اوزيريس[2] وقد فصل مكرو بيوس كيفية نقله الى بعلبك فقال « ان الاشوريين او السوريين[3] كانوا يكرمون الشمس بما لا مزيد عليه من الابهة والاجلال

---

(١) تاريخ لبنان : الجزء الثاني ف ٤ : عدد ٤ : وجه ٢٩١ (٢) ڤولني Volney : سياحة في سوريه وجه ٢٢٨ (٣) ما كان الكتبة القدماء من اليونان او الرومان يميزون بين اسم اشوري او سوري Assyrii = Syrii فيخلطون بين الكلمتين . انظر ما كتبه بردريزه (Perdrizet) في مجلة الدروس القديمة وما شرحه وود (Wood) في اطلسه عن قلعة بعلبك وجه ٧

في مدينة ايليوبوليس باسم جوبيتر الذي يدعونه زفس · وتمثال هذا الاله حمل من مصر من المدينه التي تسمى ايضا هليوبوليس في ايام ولاية سينيمور الذي يُقَدَّر أنهُ نفس سينوزب · وقد نقله اوبيا رسول ديليبوزد ملك الاشوريين بمعاونة بعض الكهنة المصريين الذين كان زعيمهم بارتميت · وبعد ان مكث هذا الاله مدة طويلة عند الاشُوريين نقل اخيراً الى مدينة هليوبوليس · وكان يعبد على مثال الطقوس الاشورية (او السورية) وليس بحسب الطقوس المصرية ». ثم استنتج مكروبيوس بان الالهة التي يتكلم عنها كانت الشمس وجوبيتر معاً فقال « انه بحسب طقوس عبادة ذلك الاله و بالصفات الحائز عليها التمثال الذي كان ذهبياً بهيئة رجل بغير لحية حاملاً بيده اليمنى سوطاً كانه سائق عربة و بيده اليسرى صاعقة وسنابل القمح · فكل ذلك يدل على اتحاد قوتي جوبيتر والشمس [1] »

وعلق الاب مارتين اليسوعي على كتابة مكروبيوس ايضاحات يزعم فيها انه ما من علاقة لعبادة البعل الشمسي في ايليوبوليس السورية مع مثلها في مصر واشُور فقال « ولعل الباعث على القول بان اصل بعل الهليوبولي انما هو ناتج عن تسمية المدينتين باسم واحد عند اليونان والرومان · وقد اقر مكروبيوس نفسه ان عبادة المشتري الشمس في مدينة هليوبول السورية لم يكن من علاقة بينها و بين الالهة المصرية · فضلاً عن ان الاسماء التي يدعون بها هولاء الاشخاص ليس لها حقيقة في التاريخ · لان الاله الشمي المصري وكذلك الفينيقي او السوري لم يسميا زفس ولا يوبيتر ولا ابلون وانما سميا را و بعل وهما اسمان بينهما اختلاف كثير كما هو بين اسمي المدينة نورا و بعلبك · وبما ان الحكايات المصرية

---

(١) مكروبيوس · في الاعياد الساترنيَّة (Saturnalia) الكتاب الاول : الفصل الثالث والعشرين — انظر ايضاً كتاب وود Wood عن بعلبك وجه ٨

لانتشارها بين اليونان والرومان صارت منبعاً لجميع الحكايات اندفع مكروبيوس كسائر جامعي الخرافات الى الزعم بان اصل بعل الهليو بولي من مصر مع ما يوجد من التناقض العظيم بين الهليو بولين »

« وكان لبعل من حيث هو اله شمسي ومبدأ للحياة والوجود حكايات خاصة به وكان الهاً عمومياً لجميع القبائل الساكنة فينيقية وسورية . وعليه لا يمكن ان تعتبر حكايته مصرية الاصل او اشورية دون اجحاف بجميع الانباء القديمة . فتخمينات مكروبيوس بشانه غير مرضية . ولكن لا يسهل اليوم مع حالة العلم الحاضرة ان نجزم جزماً مطلقاً لمن كان التقدم في حكايات سورية المجوَّفة حيث كان النفوذ الاشوري قوياً وقديماً . واذا سلَّمنا بوجود نفوذ بين اشُّور وسوريه الغربية لا يمكننا ان ننكر مع ذلك ان لاسم وحكاية بعل صفات اولية أخصُّ بفينيقية منها باشور . ومن التحقيق عن عبادة بعل وعشتروث في هليو بول يعلم ان حكايتها برمتها وطنيّه ومسحتها فينيقية خالصة لا اشورية لان فيها من العوائد والاسرار مثل ما عند الفينيقيين . وهيا كل المدينة المرقومة مرتبطة اشد الارتباط بهيا كل اليُمونه وافقا وصور المعروفة بكونها فينيقية من غير رد »[1]

فما علقه الاب مارتين على قول مكروبيوس لا يبيح ان نجزم به قطعياً وننكر تأثير النفوذ المصري في سوريه . فان القطرين كانا ولم يزالا مرتبطين بالعوائد والاخلاق والمشارب كما وأنَّ عبادة الشمس كنت لذلك العهد عمومية ولو دعي هذا الاله باسماء مختلفة كبعلوس الكلداني وابلُّو اليوناني او جوبيتر الروماني . بيد ان كتابة مكروبيوس تفيد بان صنم الشمس لم يُهدَ لها من مصر الاعلى سبيل الاكرام ولم تكن عبادة البعل او الشمس فيها مصرية الاصل او اشورية بل انها فينيقية وطنية وهيكل بعلها وُجد واشتهر قبل اهداء الصنم اليه واما عدم وجود الاسماء التي ذكرها

(١) تاريخ لبنان الجزء الاول . ف ٣ : عد ٦

مكروبيوس في التاريخ الان فلا تنفي صحة ما ذكره المؤرخ اذ يكون قد ضيَّعها القِدَم او حرَّفها الكتاب

ومعَ كل هذا لم نجزم حتى الان باهم نقطة من تاريخ المدينة : متى نشأت بعلبك ؟ نؤكد انها فينيقية النشأة رغماً عن كون الحفريَّات الالمانية قد اثبتت ان ليس في قلعتها شيء من اثار الفينيقيين . وذلك لان اسم المدينة « بعلبك » يفيد كونها فينيقية الاصل وانها ما نُسِبَت للبعل لو لم يكن فيها هيكل عظيم كان مصدر عبادته في سورية ومبعث اوليَّته وليست غير شهرته التي حدت بالرومان لوضع هذه الهيا كل العجيبة الباقية الى اليوم مستخدمين في بنائها مواد الهيكل القديم حتى طمس خبره ولم يبقَ منه اثر

واما اذا لم نرجع بنشأة المدينة الى عهد سليمان او قبله فنقول ان زمن تاسيس مدينة الشمس وبناء هيكل البعل فيها وشهرته في الاقطار الشرقية منتهٍ الى عهد سحيق في القدم وقد ضاع في ظلمات التاريخ كما ضاع تاريخ نشأة المدن القديمة كصور وصيدا وارواد وغيرها

عصرها الروماني : لم يأْت التاريخ على ذكر بعلبك بعد الافتتاح المقدوني ولم يفدنا ما انشأهُ اليونان فيها . بيد ان تملك السلوقيين في الاقطار السورية يبعث على الظن بانهم هم الذين ابدلوا اسمها السرياني او الفينيقي « بعلبك » « بايليو بوليس » اليوناني اي مدينة الشمس

وقد رسخ الرومان عليها هذا الاسم منذ افتتح يوليوس قيصر البلاد السورية في منتصف القرن الاول قبل المسيح . ولا ريب انه لما رأى عظمة هذه المدينة وتعلق الوطنيين بعبادة بعلها صيرها مستعمرة رومانية وامر بان تلقب باسم ابنته العزيزة « جوليا » وذلك يشاهد على بعض النقود التي ضربها فيها . فرسم على الوجه الواحد صورة فلاح يحرث سهلها

دلالة على خصب ارضها وكتب تحت ذلك « مستعمرة جوليا او غسطا ايليو بوليس السعيدة »

واما اوغسطس قيصر فقد وجه اليها فرقة من رجال الحرب واقطعهم اياها . وقد شوهدت نقود من ايام فيلبس العربي عليها هذه الكتابة « مستعمرة ايليو بوليس للفرقة الثامنة المقدونية الاوغسطية » . ووجدت نقود اخرى من ايام اوغسطوس مصكوكة في بيروت تفيد ان قسما من تلك الفرقة وُجّه الى بعلبك . وقد ذكر سترابو المؤرخ بان الفرقة الخامسة والثامنة كان معقوداً لها على بلاد بعلبك و بيروت قررهما عليها الملك اغريبا [1]

وقد كشفت الابحاث الالمانية كتابة منقوشة من ايام اغريبا وجدت بين الانقاض قبلي الهيكل الكبير وهذا نصها [2]

[Regi] Magno Ag [rip] pae Pio Philocaesare et Philoromaeo, patrono col., pub. fac.

ولم يُعْرَف ان كانت هذه الكتابة تُنسب للملك اغريبا الاول الذي توفي سنة ٤٤ بعد المسيح ام لابنه اغريبا الثاني الذي حكم على جنوبي سهل البقاع ثم على اليهودية في سنة ٥٠ مسيحية

و بين الكتابات العديدة التي وجدها الالمان بين انقاض الهياكل كتابة اخرى لها من الاهمية ما لتلك وقد حفرت على قاعدة تمثال قَدَّمهُ رفيقٌ صديقٌ لحاكم المستعمرة في ايام الامبراطور نيرون (٥٤ — ٦٨ ب م) والكتابة تفيد انها كتبت اذ كان نيرون في قيد الحياة وهذا نصُّها [3]

L. Gerellano Sex. f. Fab. Frontoni primopilo

---

(١) وود Wood خرابات بعلبك . كتاب اطلس وجه ٩

(٢) الاستاذ بوخشتين Puchstein . حفريات بعلبك وجه ٢٣

(٣) كذلك وجه ٢٣

leg. X Fret. praef. Neron. Claudi Caesaris Aug. Germanici; L. Valerius T. f. Fab. Celer (centurio) leg. X Fret.

ووجد رجال البعثة الالمانية كتابة قدمها الملك يوليوس سوهام بن مسيجيرام ملك حمص في ايام نيرون وفسباسيان (٥٤ — ٧٩ ب م) (٤)

regi magno C. Julio Sohaemo, regis magni Samsigerami f., Philocaesari et Philorohmaeo, honorat[o ornam.] consularib[us .... patrono coloniae viro quinquenn. L. Vitellius L. f. Fab. Soss[i]a[nus].

فوجود هذه الكتابات ينقض الراي القديم الذاهب الى ان هياكل بعلبك الرومانية بنيت في القرن الثاني للمسيح في زمن الامبراطور انطونيوس بيوس وخلفائه و يؤيد زعمنا السابق في مطبوعاتنا الاولى من هذا التاريخ ان الرومان شرعوا بتشييد هذه الهياكل في بدء التاريخ المسيحي . ودام العمل فيها بلا انقطاع الى منتهى القرن الثالث للمسيح فقد وجدت كتابات غير تلك تنسب لتراجان وادريان وانطونينوس بيوس وسبتيموس سفيروس وكراكلا وغورديانس وغيرهم من قياصرة القرن الاول والثاني والثالث للمسيح

واول سند تاريخي لبناء الهياكل ذكره يوحنا ملالا الانطاكي من كتبة القرن السابع للمسيح حيث قال « ان ايليوس انطونينوس بيوس بنى في ايليو بوليس من فينيقية لبنان هيكلاً عظيماً لجو بيتر يُعدُّ من عجائب المسكونة العظمى » (١٣٨ — ١٦١ ب م) (١)

اما يوليوس كابتولينوس مؤرخ حياة بيوس المذكور فلم يذكر شيئاً عن ايليوبوليس هذه ولا عن هياكلها ولذلك رفض كثيرون من علماء

---

(١) تاريخ يوحنا ملالا . الكتاب الحادي عشر وفي
Chronogr., 366 dans la Patrologie Grecque de Migne, T. XCVII.



ستة اعمدة هيكل الشمس



الآثار واخصهم وود [1] رواية يوحنا ملالا . وقد اثبتت الحفريـات الالمانية اعتقاد وود واظهرت بان بناء هيكل جوبيتر الشمسي يتقدم ملك انطونينوس بيوس بسنين عديدة . ولربما بيوس المذكور هو الذي باشر بناء الهيكل الصغير المنسوب اليوم لباخوس فخلط المؤرخ يوحنا بين هذا وذاك

ومما يذكر ان ايليو بوليس هذه نالت حظوة في عين الامبراطور سبتيموس سفيروس فمنحها امتيازات وحقوق المدن الايطالية (١٩٣ — ٢١١ ب م) [2] وضرب على مسكوكاتهِ البعلبكية صورة هيكل يتقدمه عشرة اعمدة وعلى نقود اخرى من ايامه صورة هيكلين امام الواحد عشرة اعمدة وامام الاخر ستة . وترى نفس هـذه الصورة على نقود ابنه كراكلا (٢١١ — ٢١٧ ب م) ويحيط بجميع ذلك العبارة المعتـادة Col. Hel. I. O. M. H. « مستعمرة ايليو بوليس لجو بيتر الكبير العظيم الايليو بولي » فمما ذكر ومن بعض الكتابات التي وجدها الالمان في حفرياتهم يظن انه كان لسبتيموس سفيروس وابنه كراكلا اليد الطولى باكمال ابنية الهياكل والابهية التي تتقدمها . وكأن كراكلا اراد باهتمامه لذلك ان يكفّر عما اقترفهُ من الجناية على اخيه جيتا وشاء ان يدل على عظيم اعتباره وجزيل اكرامه للمعبود الذي كان رئيس احباره قبل تبوئه العرش القيصري . فزين وزخرف تلك البُهيّ وجعلها كمدخل ينافس بعظمته ورائع هندسته اهم واجمل الابنية التي شادها اليونان والرومان في المعمور . وقد وجد على قاعدتي عمودين في الرواق المقدم كتابةٌ تُثبت ما ذكر

---

(١) خرابات بعلبك . كتاب اطلس وجه ١٠ و ١١

(٢) اوليان . الكتاب الاول Ulpianus. Lib. I de censib.

M (agnis) diis Heliopol (itanis), pro sal (ute) [et] victoriis d (omini) n (ostri) Antonini Pii Fel (icis) Aug (usti) et Julia Aug (ustae) matris d (omini) n (ostri) castr (urum) Senat (us) patr (iae), Aur (elius) Ant (onius) Longinus specul (ator) leg(ionis) I. [Ant] oninianae, capita columnarum dua aerea auro inluminata sua pecunia ex voto L (ibens) a (nimo) s (olvit)

وهذه ترجمتها : الى آلهة ايليو بوليس العظيمة : لسلامة وانتصار سيدنا انطونينوس بيوس اوغسطس السعيد وجوليا اوغسطا ام سيدنا (ام) الجيش (ام) السناتو (ام) الوطن[1] . ان اوريليوس انطونينوس لونجينوس رئيس الفرقة الاولى الانطونية قد ذهَّب تاجي الاعمدة النحاسيين على نفقته وفاءً بنذر قدَّمهُ مختاراً

ولا يجب هنا ان نخلط بين ايليوس انطونينوس بيوس الذي ورد ذكره في كتاب ملالا وبين انطونيوس بيوس الذي هو كراكلا الوارد اسمه في الكتابة مع اسم امه جوليا دومنا ابنة باسيانوس كاهن الشمس في حمص . فطالما كانت مشابهة الاسمين سبباً لخطأ كثيرين من الكتَّاب

وقد تحقق ان ابنية الهياكل وزخرفتها لم تكمل لعهد كراكلا القيصر بان خلفاءه داوموا العمل . وقد وجدت كتابة عليها اسم الامبراطور غورديانس (٢٣٨ ب م) . ونسب بعض المؤرخين للامبراطور فيلبس العربي بناء درج الرواق المقدم فقد شوهـد على مسكوكاته صورة درج يصعد منه الى فسحة فيها هيكل يشبه الهيكل الكبير وحولها عبارة نقود بعلبك Col. Jul. Aug. Fel Hel.

وكانت طريقتهم في البناء ان يشيدوا اولاً الهياكل و ينصبوا العمد

---

(١) تلك هي القاب جوليا دومنا ام كراكلا كانت ترافق دائماً اسمها . ومعنى ذلك ام قيصرنا . محامية الجيش والسناتو وام الوطن

ثم يعمدون الى نقشها وزخرفها وجروا على هذه الطريقة اعواماً طوالاً الى ايام قسطنطين الكبير في اوائل القرن الرابع . فامر هذا القيصر عندما تدين بالنصرانية بتوقيف العمل في هياكل بعلبك وكان من امره ان الدكة العظيمة ذات الحجارة الهائلة المحيطة بالهيكل الكبير لم تكمل وان محالَّ كثيرة في الافاريز ومواقف الاصنام لم تنقش واقساماً كبيرة من جدران الاقبية السفلى لم تنحت بعد

معتقداتها القديمة ودخول النصرانية اليها : لخصنا في ما تقدم معتقد المشرق ببعلبك وجعله اياها مدينته المقدسة وان المعبود الاعظم فيها كان البعل او الشمس . فلما ملك اليونان و بعدهم الرومان سورية شايعوا الاهلين في عبادته واكرامه وسموه بجو بيتر وهو كبير الهتهم ولكنهم عبدوه بالصفة الوطنية اذ جعلوه الهاً شمسياً . وقد شاعت عبادة جو بيتر الشمسي في انحاء المملكة الرومانية كما كانت معززة في سائر الاقطار الشرقية . وقد بث شواعر التعبُّد له رجال الفرق السورية الذين كانت ترسلهم الامبراطرة لحماية اطراف المملكة وكذلك اهل التجارة الذين كانوا يقصدون امصارها البعيدة . فقد وجدت كتابات كثيرة وتماثيل لهذا الاله الشمسي في رومة واثينا ومرسيليا ونيم وغيرها وكلها تصف جو بيتر بما وصفه به مكرو بيوس من حيث الهيئة وتمثله جالساً على قاعدة محمولاً من حيوانين و بيده السوط والصاعقة و باقة القمح التي هي من شعار هذا الاله [1] . وقد وجدت البعثة الالمانية صنمين لجو بيتر بعلبك اخذت احدهما من كنيسة نيحا وكشفت الاخر في خرابات نبع اللجوج وكلاهما يمثله كما ذكر محمولاً من ثورين [2]

---

(١) بردیزه Perdrizet مجلة الدروس القديمة . نيسان — حزيران ١٩٠٢

(٢) راجع ما كتبه المؤلف في مجلة المشرق . السنة السابعة . عد ٣ * وجه ١٠١

هذا وان اكثر الكتابات التي وجدها الالمان في حفرياتهم مفتتحة بعبارة التقدمة لاله بعلبك العظيم جوبيتر الشمسي وهي هذه I. O. M. H. ومثل هذه العبارة على مسكوكات سبتيموس سفيروس وابنه كراكلا مما أزاح الريب وأكّد بان الهيكل الكبير كان مكرساً لجوبيتر الشمسي

وقد رجح بعض علماء الاثار ان هيا كل بعلبك كانت مكرسة لاله لم يكن شمسياً ولكنه ذو ثلثة اقانيم : جوبيتر المشتري والمريخ والزهرة (ڤينس) مستدلين على ذلك من كتابات وجدت في دير القلعة وفي اثينا ذُكرت فيها اسماء هذه الالهة منسوبة لايليوبوليس · ولذلك ظن هؤلاء العلماء بان الهيكل الكبير كان مكرساً لجوبيتر والهيكل الصغير للمريخ واما الهيكل المستدير خارج القلعة فكان للزهرة [1] · فزعمهم كون المعبود الاكبر لم يكن شمسياً خطأٌ واضح وظنهم تكريس الهيكل الصغير للمريخ لم يثبت لان رجال البعثة الالمانية يرجحون انه كان مكرساً لباخوس لما وجدوه على بابه من عرائش العنب وعلى مذابحه ودرجه من صور الراقصات المختصات بهذا الاله فاقتصروا بهذه الادلة على نسبة الهيكل لباخوس

اما معابد البهوين اللذين يتقدمان الهيكل الكبير فلا ريب انها كانت مختصة بعبادة كل الالهة التي كان يكرمها اهالي المملكة الرومانية على اختلاف اجناسهم وعوائدهم اذ يرى في ذينك البهوين عدة معابد مستقلة ومتصلة بعضها ببعض وفيها ما ينيف عن الثلاثماية وخمسين موقفاً للاصنام · ويؤيد ذلك الجملة الافتتاحية في كتابة الرواق المقدم الوارد ذكرها قبلاً Magnis Diis Heliopolitanis « الى الهة ايليوبوليس العظيمة » وشوهد ايضاً على كتابة وجدت في البهو الكبير ذكر الاله القمري خلا ما في

---

(١) فيليب برجه Philippe Berger مجلة جمعية الكتابات والفنون الادبية ١٩٠١ وجه ١٣١ — ١٣٢ وبردريزه مجلة الدروس القديمة · تموز — ايلول ١٩٠١

بعض مواقف الاصنام من علامات مينرفا والزهرة (فينس)

ونرجح ايضاً ان الهيكل المستدير خارج القاعة كان مكرساً للزهرة لما على بعض مواقفه من شعار هذه الالهة ولقيامه على شاطىء نهر المدينة ومعلوم ان هياكل الزهرة في جميع الانحاء كانت قريبة من مجاري المياه ولان وجود هذا الهيكل في بعلبك منصوصٌ عنهُ في التاريخ وليس من دونه هيكلٌ تصح نسبتهُ للزهرة

وقد ظهر من الكتابات العديدة ان رجال الدولة الرومانية ونبلاء المملكة كانوا يتسابقون لاكرام آلهة بعلبك بما يقدمونه من النذور لاجل البناء والزينة ونصب التماثيل املاً باسترضاء الالهة فتكون مهبط الوحي اليهم . وقد اشتهرت في بعلبك مشاورة الالهة حتى ان الامبراطور تراجانوس شاور الهتها قبل حملته الثانية على البرثيين وهم الفرس في اوائل القرن الثاني . ووصف مكروبيوس بعض الحيل التي كانت كهنة الشمس في بعلبك تتخذها لاستنزال الوحي وتبليغه الناس فقال « ان صنم الشمس الذهبي كان يطاف به في الاحتفالات العمومية في ازقة المدينة محمولاً على اكف عظماء البلاد . وكان حاملوه يستعدون لهذه الخدمة المقدسة بحلق شعور رؤوسهم محافظين على الطهارة التامة . وكان يعطي الوحي بتقدم حامليهِ او تأخرهم بغير ارادتهم ولكنهم كمدفوعين بتاثير قوة الالوهية فيهم » (١)

وقد كان لعبادة الزهرة الهة العشق المحل الاسمى في اذهان البعلبكيين فكانوا ياتون هيكلها و يرتكبون المنكرات . وقد روى مؤرخو تلك العصور انهم كانوا يبذلون بناتهم لخدمة تلك الالهة . وذكر اوسابيوس « بان ايليوبوليس الفينيقية عبدت فينس باسم هيدون اي المسرة وان هذه

---

(١) مكروبيوس . في الاعياد الساترنية . الكتاب الاول . الفصل الثالث والعشرين

العبادة كانت مصدر خرافات وترف لايحد » . هذا وما كان يكسبه اهالي
بعلبك من الزائرين كل سنة زادهم تعصباً ودفعهم لمقاومة دخول الدين
المسيحي غاية جهدهم واتصل بهم الحنق على من كان يتنصر منهم الى حد
الهمجية فقطعوا راس القديسة افدوكية في اوائل القرن الثاني للمسيح
ورجموا الشاب جيلاسينوس المتنصر في زمن ديوكلاسيانوس قيصر سنة
٢٩٧ وهو متخص اعلن اعتقاده بالنصرانية اذ كان يمثل في ملعب المدينة
فثار عليه الشعب الحاضر واخرجوه خارج الملعب ورموه بالحجارة ولما تبوأ
قسطنطين الكبير العرش القيصري رفع شان الدين المسيحي في بعلبك
وابطل عبادة الشمس والمشتري ونسخ ثورات شهوات الزهرة وكسر الاصنام
والمنحوتات وامر ببناء ثكنة للعساكر بين الهياكل وبنى فيها كنيسة كما
روى اوسيبوس وابو الفرج [1]. غير انه لم يكد المسيحيون يتمتعون بالراحة
في ايام قسطنطين حتى تسنم يوليانس الجاحد العرش الامبراطوري فاعاد
لبعلبك ما خسرته في ايام قسطنطين فانتقم الوثنيون لمعبوداتهم ومثلوا
بالمسيحيين افبح تمثيل كما سياتي في تراجم قديسيها في الفصل الخامس

ولكن العناية لم تمهل النصرانية ان تفز فلما تولى العرش الروماني
الامبراطور ثيودوسيوس (٣٧٩ — ٣٩٥ب م) ضرب على هذه الاعمال
ومحا رسمها وحول هياكل بعلبك الى كنايس واكمل ما ابتداء به قسطنطين
وقد ورد في الكرونيكون ما ياتي « ان قسطنطين العظيم كان يامر باقفال
الهياكل اليونيَّة فقط ولكن ثيودوسيوس كان يلاشيها . فحول الى كنيسة
هيكل ايليوبوليس هيكل البعل الشمسي العظيم التريليثون الشهير » [2]
ولم تزل اثار هذه الكنيسة في وسط البهو الكبير وامام مدخل هيكل

---

(١) عن ابو الفرج تاريخ الازمنة وعن اوسيبوس Eus eb. vit.Const. iii58
(2) Chronicon Tas-chale 289e olympiade

جوبيتر الشمسي شاهدة بذلك . واما التريليثون فمعناه ذو الثلاثة حجارة نسبة للحجارة الثلاثة الضخمة التي كان الهيكل قائماً عليها

الفصل الرابع
في
عصرها الاسلامي

لم يغفل مؤرخو العرب كما اغفل من قبلهم مؤرخو دولة القياصرة تدوين حوادث بعلبك وتسطير تقلبات الايام عليها . وقد ذكروا انها كانت على عهدهم مدينةً حصينةً زاهرة خصيبة التربة ذات تجارة واسعة النطاق مشهورة بما نسب اليها من صناعة الاحرام والحلويات . وانها كانت امارةً في عهد الاتابكية والايوبيين ونيابةً من بعدهم . وقد وصفها بعض مؤرخيهم بما يحسن نقله

قال ابن شداد في تاريخه وجه ١٧٠

ذكرُ بعلبك وهي مدينة على جبل وبها قلعةٌ محكمة البناء عليها سورٌ مبني بالحجر الصلد سعته عشرون شبراً وبها بئر يسمى بئر الرحمة لا ينبع الماء فيها الا اذا أُغلق بابها وانقطع الماء عنها . وفي حال دخول الماء الى القلعة لا يرى فيها ماء قط . والماء يشقُّ البلد والقلعة ويدخل دورها . وبها من عجائب المباني المصلّى (كذا) وهو الهيكل الذي كان فيه المسمّى ببعل المذكور في الكتاب العزيز . طالعها الميزان والزهرة . طولها ثمان وستون درجة وعشرون دقيقة وعرضها ثلث وثلثون درجة وخمس واربعون دقيقة . متولي ساعة بنائها الزهرة

وقال المقدسي وجه [illegible]

ولا اشرب للخمور من اهل بعلبك ومصر

بعلبك مدينة قديمة فيها مزارع وعجائب معدن الاعناب

واشد هذا الاقليم بردًا بعلبك وما حواليها ومن امثالهم قيل للبرد اين نطلبك قال بالبلقاء . قيل فان لم نجدك قال بعلبك بيتي

وعن ابي ذكريا القزويني من كتابه اثار البلاد وجه ١٠٤

بعلبك مدينة مشهورة بقرب دمشق وهي قديمة كثيرة الاشجار والمياه والخيرات والثمرات ينقل منها الميرة الى جميع بلاد الشام . وبها ابنية واثار عجيبة وقصور على اساطين الرخام لانظير لها . قيل انها كانت مهر بلقيس وبها قصر سليمان بن داود وبقلعتها مقام الخليل وبها دير الياس النبي . قالوا ان ذلك الموضع يسمي بك في قديم الزمان حتى عبد بنو اسرائيل بها صنماً اسمه بعل فاضافوا الصنم الى ذلك الموضع ثم صار المجموع اسماً لمدينة . ثم ذكر رواية الياس النبي وكهنة البعل مما نوهنا به قبلاً

وقال شمس الدين الدمشقي وجه ٣٥ و٣٨

وببعلبك بيت محكم من الحجر طوله خمسون ذراعًا وهو من كل جهة [illegible] ذراعاً وسقفه حجر وفي وسط السقف نسر حجر فارش اجنحته وفي اربع قرانت السقف اربعة اصنام واسماوهم ود وسواع ويغوث ويعوق (؟؟) والباب الذي يسدُّ على هذا البربي باب حجر . وهذه البربي بناوها من العجائب . وبقلعة بعلبك ايضاً بئر فيه ماء قليل لايستعمل الا وقت الاحتياج اليه واذا نزل عليهم عدو زاد ذلك البئر زيادة عظيمة الى ان يكفي من في القلعة واذا راح العدو عنهم رجع الى حاله الاول . وبها من العجائب برجان وبدنه ثلاثة حجارة . ومنها حصن بعلبك وهو مشهور بالشام وبمقطع الحجارة حجر رابع للثلاثة التي بالقلعة متروك الى وقتنا هذا

والى ما يشاء الله مثال للناس يعني ان من ههنا حملنا الاحجار الثلاثة المبنية بالقلعة · و بالحصن ايضاً عُمُد طول كل عمود نحو العشرين ذراعاً وفي الارض منها نحو اربعة اذرع وقطره نحو ذراعين واكثر وعددها نحو من ستين عموداً وكان على رؤوسها عتبات وفوق العتبات البناء المحكم

وعن اليعقوبي وجه ٣٢٥ و٣٢٧

وهي احدى مدن الشام الجليلة وبها بنيان عجيب بالحجارة وبها عين عجيبة يخرج منها نهر عظيم وداخل المدينة الاجنّة والبساتين

واهلها قوم من الفرس وفي اطرافها قوم من اليمن

وقال خليل بن شاهين الظاهري في كتابه زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك

واما مدينة بعلبك فانها مدينة حسنة بها عُمُدٌ قيل ان سليمان عليه السلام امر بعمارتها · وبيعلبكَ جوامع ومدارس واماكن مباركة واسواق وحمّامات وبساتين وانهر مما يطول شرحه · ولها اقليمٌ حسن يشتمل على ثلاثماية وستين قرية وهي ايضاً من معاملة دمشق

وشغل ابن بطوطة بحلواها وما قرب منه الى المعدة عن ذكر قلعتها ووصف غرائب هياكلها حين مرّ بها وهي عامرة تحني اليها بالاستغراب رؤوس اولي العلم والاداب فقال :

ثم وصلنا من جبل لبنان الى مدينة بعلبك وهي حسنة قديمة من اطيب مدن الشام · تحدق بها البساتين الشريفة والجنّات المنيفة وتخترق ارضها الانهار الجارية وتضاهي دمشق في خيراتها المتناهية · وبها من حَبّ الملوك ما ليس في سواها · وبها يُصنع الدبس المنسوب اليها وهو نوع من الرُبّ يصنعونهُ من العنب وله تربة يضعونها فيه فيجمد وتكسر القلة التي يكون بها فيبقى قطعة واحدة وتصنع منه الحلواء ويجعل فيها الفستق واللوز ويسمون حلواهُ بالملبن · وهي كثيرة الالبان وتجلب منها الى دمشق

و بينهما مسافة يوم للمجد · واما الرفاق فيخرجون من بعلبك فيبيتون ببلدة صغيرة تعرف بالزبداني كثيرة الفواكه و يغدون منها الى دمشق · و يصنع ببعلبك الثياب المنسوبة اليها من الاحرام وغيره · و يصنع بها اواني الخشب وملاعق التي لا نظير لها في البلاد وهم يسمّون الصحاف بالدسوت ولربما صنعوا الصحفة وصنعوا صحفةً اخرى تَسَعُ في جوفها واخرى في جوفها الى ان يبلغوا العشرة فيخيل لرائيها انها صحفة واحدة و يصنعون لها غشاءً من جلد و يمسكها الرجل في حزامه واذا حضر طعاماً مع اصحابه اخرج ذلك فيظنُّ رائيها انها ملعقة واحدة ثم يخرج من جوفها تسعاً اه

* * * * *

بعد ان تنصرت الامة الرومانية على عهد قسطنطين وانقسمت دولتهم الى شطرين بعد ثيودوسيوس الكبير دانت بعلبك كغيرها من الامصار الشرقية الى قياصرة القسطنطينية وذهل عنها مؤرخو تلك الدولة كذهول اسلافهم فلم يذكروا لها خبراً غير ما ورد في احاديثهم الكنسية عن بعض اساقفتها مما نذكره في بابه

وما برحت البلاد السورية خاضعةً للدولة الرومانية الشرقيـة حتى قدم المسلمون في الربع الاول من الهجرة لفتح البلاد وقد رافق الحظُّ بواتر سيوفهم · فجزع منهم الاهلون جزعاً شديداً وارسل الامبراطور هرقـل بطريقاً من رجال حربه يدعى كالوس بخمسة الاف رجل لنجدة دمشق فمر ببعلبك وكان الهلع اخذ منها كل مأخذ · فخرج اليـه الرجال والنساء باكين ونادبين حظ بلادهم فسألهم كالوس عن امرهم فقالوا اتسألنا عن الباعث وانت قادم لازالته · فقال أأبكاكم مجيء العرب قالوا كيف لا وهم الذين اجتاحوا البلاد واخذوا عرقة وسخنة وتدمر وحوران و بصرى وقد جاؤوا دمشق · فسالهم عن القائد وعدد الجيش فقالوا انـه خالد بن الوليد وجيشه يبلغ الالف وخمسماية فارس · فسخر من قلة العرب وحلف

لهم انه برجوعه يجيء لهم برأس خالد على رمحه · ولما وصل كالوس الى دمشق دعاه خالد الى البراز واسره ثم عرض عليه الاسلام فما قبل فقتله

وفي سنة ٦٣٤ وقيل سنة ٦٣٥ م فتحها المسلمون لعهد الخليفة عمر بن الخطاب · وذلك انه لما فرغ ابو عبيدة بن الجراح قائد الجيوش الاسلامية من قنسرين والعواصم استشار اصحابه فيما يفعل فقالوا له قد انقضت ايام الصلح بيننا وبين البلاد التي فتحناها فنخاف ان يقووا بلادهم بالاطعمة والرجال فانهم أولو شدةٍ وعديد فالراي ان نرجع اليهم ونقاتلهم · فاستصوب رأيهم ورجع فوجد البلاد كما قالوا وكان قصده حمصاً فوجدها قد تحصنت وقد بعث اليها هرقل بطريقاً من اهل الشدة والباس ومعه جيش عرمرم · فلما راى ذلك اقام على حمص خالداً بن الوليد وسار الى بعلبك فلما قرب منها واذا بقافلة عظيمة معها بضايع للتجارة بكثرة فارسل من يكشف امرها فعاد الرسول واخبره انها قافلة من الروم تحمل حريراً وسكراً لتلك المدينة · فقال ابو عبيدة لقومه ان بعلبك لنا حرب وليس بيننا وبين اهلها عهد فخذوا ما ساقه الله اليكم · فشنَّت رجاله الغارة واخذوا القافلة واسروا رجالها فافتدوا انفسهم بالمال وسار منهم نفرٌ الى المدينة وقصوا الخبر على اهلها وكان ثمَّ بطريق يسمى هربس شديد الباس فخرج بستة الاف فارس وبضعة رجال لملاقاة العرب · واما هولاء فانهم باتوا في احدى القرى وفي ثاني الايام زحفوا على بعلبك فالتقوا بهربس في منتصف الطريق · واشار احد البطارقة على هربس بالصلح واجتناب الحرب فلم يقبل فرجع ذلك البطريق الى المدينة وتبعه جمع كثير · واما هربس فانه صفَّ رجاله ونخاهم وحمل بهم على العرب فالتقاهم ابو عبيدة واصحابه ودارت رحى الحرب فجرح هربس سبعاً ودُحر فعاد بالهزيمة الى المدينة واغلق الابواب · واما ابو عبيدة فانه سار الى المدينة ونزل عليها فوجدها حصينة هائلة وقد ادخل اليها الروم المواشي والاموال · فلما نظر ابو عبيدة الى منعة المدينة

استشار قومه فيما يفعل فاشار عليه معاذ بن جبل بالنزال وقال ان البلد مشحون بالرجال والماشية ولابد انهم يتضايقون ولا يسعهم البلد فاذا طال الحصار طلبوا الانفراج . فاستحسن ابو عبيدة رأيه وباتوا هناك الى الى الصباح يحرسون انفسهم . وفي ثاني الايام كتب ابو عبيدة الى اهل المدينة كتاباً يخيّرهم به اما ان يسلموا او يدفعوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون . فجمع هربس الاعيان واستشارهم فاشار احدهم بالصلح وانقسمت الاراء بينهم فغضب هربس لانه كان يرغب في الانتقام ومزق الكتاب ورد رسول ابي عبيدة بلا جواب . فاخبر الرسول ابا عبيدة ان الاكثرين يرومون الحرب والقتال فحنق وقال لقومه اعلموا ان هذه المدينة في وسط بلادكم فان تركتموها كانت وبالاً عليكم . فزحف العرب الى السور ورماهم الروم بسهام كالجراد واذا بالروم يتساقطون عن الاسوار فسئل من وقع منهم عن السبب فقالوا اننا قوم من الانحاء اتينا نتحصن هنا فلما اشتدت الحرب وتضايق الروم جعلوا يرموننا عن الاسوار . ثم اشتدت الحرب وكثر رمي النبال والحجارة حتى ان العرب لم تقدر على الدنو من الاسوار واضعفت سهام والات المحاصرين الاسلام حتى صدتهم عن المرام فرجعوا الى خيامهم وقرصهم البرد ليلاً . وعند الصباح امر ابو عبيدة ان يشتغل العسكر عن الحرب بتحضير الما كل الحامية . وبينا هم في ذلك هاجمهم جيش الروم ظنًّا بفشل اقعدهم عنهم فاوقع بهم فجأةً . على ان بسالة العرب كانت ارفع من ان تدركها قسي المحار بين فثاروا باسرع من لمح البصر وحملوا عليهم بقلوب لا تُصاد بخوف وطعن لا يُنْزَع بالمطاولة وكان في فرسانهم يومئذٍ عمرو بن معدي كرب الفارس المشهور وقد ابلى بلاءً حسناً . فتقهقر الروم ودُحروا الى المدينة غير انهم أصابوا من الاسلام غنيمة واسرى ورجع العرب الى خيامهم واضرموا نيرانهم . وامر ابو عبيدة ان يفرّق الجيش فرقاً املاً باشغال العدو عن معظم قوته . وفي صباح

اليوم التالي برز هربس بجيوشه وحث قومه على الجلاد ونجاة البلاد وكانوا عدداً لا يحصى . فحملوا على جيوش العرب حملة البلاء فالتفت العرب لبعضها وشددت على الروم فادمت الارض طعناتهم ونفرت المياه بحاتهم والروم تستظهر مع ذلك على العرب حتى كادت تفرقهم الهزيمة لولا ان رجلاً من المسلمين كان قد جرح اثناء المعركة صعد الى رابية لينظر الحرب والبلد معاً . فراى وراء المدينة شرذمتين من العرب ممن فرقهم ابو عبيدة واقفتين ثم ابا عبيدة بين طيات القهقرى فاضرم لهما ناراً اشارة النجدة في اصطلاحهم وراى قائدا الشرذمتين النار ففهما مضايقة اخوانهم فاسرعا برجالهم لنجدة ابي عبيدة . فوصلا وقد كاد الجيش ينهزم واقبلا من وراء الروم وحال رجال الشرذمتين بينهم وبين المدينة . فاشتدت عندئذٍ قلوب المسلمين ووقع الرعب في افئدة الروم ففتكوا بهم فتكاً وانهزم اذ ذاك الرومان وعجزوا عن دخول المدينة فتراموا الى قرية قريبة وقيل الى دير على رابية هنالك . فحذر ابو عبيدة المكيدة ولم يتبعهم ولكنه وضع فرقةً من العرب لحصرهم في تلك القرية فردهم عنها الروم . فسيَّر ابو عبيدة فرقةً كبيرةً بزعامة سعيد بن زيد فحصرت الروم في القرية ولما تضايق هولاء وراى هربس ان الدفاع لا يجديه نفعاً استأمن الى سعيد بن زيد على نفسه ورجاله وطلب اليه ان يرسله الى ابي عبيدة ليعقد معه شروط الصلح . ولما علم ابو عبيدة باستئمان هربس وقدومه شدد الحرب على المدينة حتى تضايق اهلها اشد الضيق ثم وصل اليه سعيد بالبطريق فطلب اليه هربس ان يرفع جنده عن الحصار واعداً اياه بالف اوقية من الذهب والفي اوقية من الفضة والفا ثوب من الديباج على ان ابا عبيدة طلب اليه ان يضاعف الجزية ويزيدها الف سيف وخراج الارض في تلك السنة وجزية ما بعدها وان لا يبنوا كنيسة جديدة ولا يفتحوا حرباً على دولة اسلامية . فقبل هربس بثقلها مشترطاً على ابي عبيدة منع اصحابه من

دخول المدينة وان الذي يخلفه لابرام عقد الصلح يقيم خارج المدينة وان هربس يدخل البلد و يقرر الامر مع الكبراء . فرضي ابو عبيدة وسار البطريق وكلم الروم من السور فلم يقبلوا لثقل الضريبة والشروط فوعدهم هربس بدفع ربع الضريبة من ماله الخاص فقبلوا . فدخل المدينة وجمع الاموال وسيَّرها الى ابي عبيدة فأمَّنهم اذ ذاك ابو عبيدة عن نفوسهم واموالهم وكنائسهم وكتب لهم « هذا كتاب امان لفلان ابن فلان واهل بعلبك رومها وفرسها وعربها على انفسهم واموالهم واولادهم وكنائسهم ودورهم داخل المدينة وخارجها وعلى ارحائهم والروم ان يرعوا سرحهم ما بينهم وهي خمسة عشر ميلاً ولا ينزلوا قرية عامرة فاذا مضى شهر ربيع الاخر وجمادى الاول ساروا الى حيث شاؤا من البلاد التي صالحنا عليها وعلى من اقام منهم الجزية والخراج شهد الله وكفى بالله شهيداً » [1]

واستخلف ابو عبيدة على المدينة رافع بن عبد الله السهمي من سادات قريش مع خمسماية من رجاله واوصاه بالعدل والاستقامة ثم سار الى حمص . فاقام رافع خارج المدينة ثم اخذ اصحابه يشنُّون الغارة على البلاد المجاورة فربح اهلها والعسكر ربحاً عظيماً . فطمع هربس اليهم ان يعطوه عشر ما يربحونه من العرب لما له عليهم من الافضال ولدفعه عنهم ربع الضريبة فاجابوه بعد تردد طويل لما رغب . ثم ازدادت مطامعه حتى سال ربع الربح لدفعه ربع الضريبة . فحنق الشعب منه وثار بهربس وقتله في مكانه و بعث وفداً الى رافع لكي يتولى المدينة فاجابهم الى ذلك متى اذن له القائد العام ابو عبيدة ابن الجراح بخرق العهدة . ثم خابره بذلك واستجيب طلبه فدخل البلد وتولاها في ٢٠ شباط سنة ٦٣٦ وهي السنة الخامسة عشرة للهجرة [2] . فطرا اذ ذاك تغييران مهمان بدخول

(١) نص العهدة عن ابن شداد وجه ٢٧٢

(٢) عن فتوح الشام للواقدي باختصار

العرب اليها : احياؤهم اسمها القديم السرياني بعد تحريفـه ابعلبك · ثم تحصينهم لهيكليها الكبير والصغير حتى اصبحا قلعة منيعة وبهذا الاسم اشتهرا الى الان

* * * * *

ما زالت بعلبك مذ فتحت يتولاها نواب من يلي دمشق من بني أُمية والعباسيين من بعدهم حتى استولى عليها احمد بن طولون والي مصر سنة ٢٦٣ هـ — ٨٧٦ م · وفي سنة ٢٩٠ هجرية نزل عليها القرامطة وملكوها واكثروا القتل منها حتى لم ينجُ الا القليل · وفي سنة ٢٩٠هـ — ٩٠٣ م استردَّ المكتفي بالله الخليفة العباسي بلاد الشام من سلالة بني طولون فعادت بعلبك الى سلطة العباسيين ثم صارت في ايدي نواب المعز صاحب مصر لما ملك دمشق سنة ٣٥٩هـ — ٩٦٩ م وفي سنة ٣٦٣ هجرية خرج الى الشام القائد زاميشاس المعروف عند العرب بالشمشق فنزل على بعلبك فمنعه اهلها فاقام على حصارها الى ان فتحها واستباح اهلها قتلاً وخربها ثم رحل عنها فعاد اليها نواب الخلفاء الفاطميين · وفي سنة ٣٦٤هـ سنة ٨٧٤م اتى هفتكين لبلاد الشام وكان والي بعلبك وقتئذٍ ظالم بن مرهوب العقيلي من قبل المعز العبيدي فخرج اليه ظالم الى ارض جوسيـة فاتت نجدة لهفتكين فرجع ظالم من دون حرب · ثم قدم هفتكين الى بعلبك في السنة المذكورة ففرَّ ظالم واختبأ عند الامير تميم رسلان فدخل هفتكين بعلبك فطرقه العدو من الروم والافرنج في شهر رمضان من تلك السنة فاحرقوا بعلبك وانتشروا في اقليمها و بلاد البقاع يقتلون و ياسرون و يحرقون

وفي سنة ٤١٦ هجرية قصدها صالح بن مرداس الكلابي وتغلب عليها ولما قتل في سنة عشرين صارت الى المتولي على دمشق من قبل المصريين ولم تزل في ايديهم الى ان تغلب عليها مسلم بن قريش لما قصد دمشق وحاصرها وترك فيها عود بن الصيقل واقطعه البقاع · فلما رجع مسلم

الى بلاده خرج عود بن الصيقل الى بعض ضياع بعلبك فكبسه تاج الدولة تتش واخذه اسيرًا وتسلم منه بعلبك وولى فيها مملوكه فخر الدولة كمشتكين الخادم وذلك في سنة ٤٩٦ هـ — ١١٠٠م . وبقي فيها الى ان مات تاج الدولة وولى بعده ولده شمس الملوك دقاق فاقرّهُ عليها . ولما تولى دمشق ظهير الدين اتابك طُغْتِكين اتصل به ان كمشتكين راسل الفرنج وحملهم على الغارات والفساد في بلاد دمشق وانه سيّر اخاه باسي تكين الى دركات السلطان في التوصل الى فساد حاله عند السلطان فسار ونزل على بعلبك وحاصرها حتى تسلمها في الثاني والعشرين من رمضان من سنة ٥٠٣هـ . ولما مات طغتكين وولى بعده ولده تاج الملوك بوري اقطع بعلبك لابنه شهاب الدين محمد . وفي سنة ٥٢٦هـ — سنة ١١٣١م نزل عليها شمس الملوك اسماعيل بن تاج الملوك بوري وكان فيها اخوه شهاب الدين محمد فحصرها وزحف اليها وقاتل اهلها على السور ثم زحف عدة مرات فملكها بعد قتال شديد وبقيت القلعة وقد تحصن فيها اخوه فنصب عليها المجانيق واقام على القتال ولما راى اخوه ذلك طلب منه الامان فأمّنه واقرّهُ على بعلبك ودمشق . ولما قتل شهاب الدين محمد من غلمانه وعماد الدين زنكي يحصره في دمشق ضبط وزيره معين الدين أتز الامور وساس دمشق وارسل الى بعلبك واحضره ولده مجير الدين اتق ابن محمد بن بوري ورتّبه على الملك مكان ابيه فمشى الحال بتمكين معين الدين أَتز وحسن تدبيره . ولما استقرَّ مجير الدين على دمشق اقطع بعلبك لمعين الدين أتز فارسل اليها نائبه وتسلمها . فلما علم زنكى بذلك سار الى بعلبك في ٢٠ ذي الحجة من سنة ٥٣٣هـ — ١١٣٨م وكان معين الدين بها فحصرها عدة اشهر ونصب عليها اربعة عشر منجنيقًا ترمي ليلاً ونهارًا فلما اشرف من بها على الهلاك طلبوا الامان وسلموا اليه البلدة وبقي الحصار على القلعة وكان بها جماعة من الشجعان الاتراك فقاتلهم حتى يئسوا ثم

استأمنوا اليه فأمنّهم فسلموا له القلعة وكل شيء · ثم غدر بهم وصلبهم عن اخرهم واقام نائباً عليهم نجم الدين ايوب بن شاذي جد الدولة الايوبية · ثم عزم على الرجوع لحصار دمشق فاتته رسل صاحبها ببذل الطاعة والخطبة له فعدل عن ذلك · وقال ابن ابي طي الحلبي اتفق ان الامرآء لما نزلوا من بعلبك افسدوا ذخائرها فقبض عليهم زنكي وقتل بعضهم وصلبهم وكان ولي قتلهم صلاح الدين بن محمد بن ايوب الناغبساني فحكي انه أحضر اليه من جملة الامرآء شيخ مليح الشيبة ومعه ولد له امرد كانه القمر · فقال الشيخ لصلاح الدين سالتك بحياة المولى زنكي ألا صلبتني قبل ولدي لئلا اراه يعالج سكرات الموت وبكى · وكان نجم الدين ايوب واقفاً فرحم الشيخ وبكى وسأل صلاح الدين في اطلاقه فقال ما أفعل خوفاً من المولى زنكي · فذهب نجم الدين الى زنكي وساله في اطلاق الشيخ وولده وقصّ عليه ما قاله فاذن في إطلاقه وإطلاق من بقي من الجماعة ووهب نجم الدين نصف بعلبك · وقيل ان نجم الدين ورد على زنكي بعد ان ملك بعلبك وسأله في الامرآء فاطلقهم له وولاه بعلبك وكتب له ثلثها ملكاً فاستقر فيها مع اهله الى ايام نور الدين محمود بن زنكي

وبعد ان قتل عماد الدين زنكي على قلعة جعبر قصدها صاحب دمشق مجير الدين اتق بن محمد بن بوري سنة ٥٤٢ هـ — ١١٤٨م فحصرها واشتدّ صاحب دمشق في القتال وصبر نجم الدين ايوب احسن صبر · فاتفق ان المآء لما شآء الله غار من حصن بعلبك حتى لم يبقَ منه شيء فصار اهل القلعة يستمدون المآء من البلد فلما ملك صاحب دمشق البلد منع من يريد المآء من القلعة فاشتدّ الامر وخاف نجم الدين تخلف اولاد زنكي عن مساعدته فطلب الامان والصلح · فاستخلفه صاحب دمشق على البلد واقرّ له الثلث الذي كان زنكي قد جعله له فيها وانزله عن القلعة وولى عليها الحاجب شجاع الدولة عطا الخادم فاقام فيها الى ان قتله مولاه مجير الدين

في سلخ ذي الحجة من سنة ٥٤٨ فتولى بعده ابن اخيهِ الامير ضحاك بن خليل رئيس وادي التيم . وفي سنة ٥٥٢ هـ — ١١٥٨ م اخذ السلطان نور الدين محمود بن زنكي بعلبك من الامير ضحاك وذلك انهُ لما ملك نور الدين دمشق امتنع ضحّاك ببعلبك ولم يمكن لنور الدين محاصرتها لقربه من الفرنج . ولما اتصل بنجم الدين ايوب فتح دمشق كاتب نور الدين في تسليم بعلبك فانفذ اليهِ وتسلمها منه والحقه باصحابه . وفي ثاني عشر شوال من السنة ذاتها كانت زلزلة عظيمة لم يرَ الناس مثلها فخربت كثيرًا من المدن والقلاع لحماة وحمص وشيذر ودمشق و بعلبك . واما هذه فانهــا اخربتها وهدمت من هياكلها وتحصيناتها واسوارها جانبًا عظيمًا فلما بلغ نور الدين خبرها وكان لم يبلغه خبر غيرها اتى بعلبك ليعمّر ما انهدم من اسوارها وقلعتها فلما وصلها بلغهُ خبر باقي البلاد بخراب اسوارها وخلوها من اهلها فرتّب ببعلبك من يحميها و يعمرها وسار الى حمص وقد وجدت كتابة على باب دمشق من سور بعلبك تذكر تجديد بناء الاسوار من السلطان نور الدين ونسختها في الفصل السابع

وفي سنة ٥٥٦ حُبس في قلعتها أُسرى من الفرنج فوثبوا على حاميتها وقتلوهم وملكوا القلعة . فسار اليهم المسلمون من كل ناحية ودخلوا اليها من نقب دُلّوا عليهِ فملكوها وقتلوا اولئك الاسرى

وفي سنة ٥٧٠ هـ — ١١٧٥ م قصدها السلطان صلاح الدين الايوبي (هو ابن نجم الدين ايوب بن شاذي حاكم بعلبك في زنكى) من حمص فتسلمها في رابع عشر رمضان . قال ابن ابي طي كان بها والٍ من ايام نور الدين محمود بن زنكي يقال له يمن فلما شاهد كثرة عساكر السلطان اضطرب في امره وراسل من بحلب على جناح طائر فلم يرجع منهم خبر فطلب الامان وسلم بعلبك الى السلطان وقد هنأتهُ الشعراء بفتحها . وقال العماد الكاتب بابياتٍ منها

بفتوح عصرك يفخر الاسلامُ ... وبنور نصرك تشرق الايامُ
وبفتح قلعة بعلبكَّ تهذَّبت ... هذي الممالكُ واستقامَ الشامُ
وبكى الحسود دماً وثغر الثغر من ... فرحٍ بنصرك للهدى بسَّامُ
فتحٌ تسنَّى في الصيام كأَنَّنا ... شكرًا لما منح الاله صيامُ
من ذا رأَى في الصوم عيدَ سعادةٍ ... حلت لنا والفطر فيهِ حرامُ
أسدى صلاح الدين والدنيا يدًا ... بنوالها سوق الرجاء تقامُ
فتملَّ فتحك واقصد الفتح الذي ... بحصوله لفتوحك الاتمامُ
دُمْ للعلى حتى يدوم نظامها ... وأَسلم يُعَزُّ بنصرك الاسلامُ

ثم ولى عليها صلاح الدين الامير شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم. وفي سنة ٥٧٢ هـ — ١١٧٦ م ارسل اليها الصليبيون جريدةً من طرابلس تحت قيادة رايموند فغزوا وعاثوا فيها وعادوا غانمين. غير انهُ قد جاء في تاريخ الدولتين ان قد خرج اليهم ابن المقدم فقتل منهم واسر اكثر من مائتي اسير وارسلهم الى صلاح الدين وهو على حصار مصياث. ثم اغار عليها بلدوين الرابع من صيدا فغزا وعاد غانمًا

وفي سنة ٥٧٤ هـ — ١١٧٨ م عصى ابن المقدم على السلطان وذلك ان شمس الدولة توران شاه بن ايوب اخا صلاح كان قد نشأَ في هذه المدينة في ايام حكم ابيهِ وكان يحبها كثيرًا فطلبها من اخيهِ وما كان صلاح الدين ليمنعها عنهُ فاستنزل بن المقدم فعصى فتوجه اليهِ بعسكره وحصره بها بدون قتال. ولما دخل فصل الشتاء رحل عنها الى دمشق وترك عليها عسكرًا يحصرها. فلما طال الحصار سلمها بن المقدم الى السلطان فعوضهُ عنها مكانًا آخر واقطعها لاخيه توران. وفي سنة ٥٧٥ طلب توران شاه الاسكندرية وتنزل عن بعلبك فاجابه صلاح الدين الى ذلك واقطع بعلبك الى ابن اخيه عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن ايوب وكان واليًا على دمشق. وفي سنة ٥٧٨ هجرية توفي فرخشاه وبلغ صلاح الدين

خبره وهو في الجزيرة فارسل لشمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم ان ينوب عنهُ في دمشق واقرَّ بعلبكَّ على الملك الامجد بهرام شاه بن فرخشاه وفي سنة ٥٩٨ هـ — ١٢٠١م سار بهرام شاه مع الملك المنصور صاحب حماه وصاحب حمص وحاربوا الافرنج في حصن الاكراد وطرابلس وغيرهما فانهزم الفرنج · وفي سنة ٦٠٠ هجرية حدثت في بعلبك زلزلة فاضرَّت بها · وفي ٦١٨ هـ — ١١٢١ م سار الانجد بهرام شاه بعسكر بعلبك مع بعض امراء مدن سورية لاعانة الملك الكامل صاحب مصر وتملكوا دمياط من الفرنج · وفي سنة ٦٢٦ هـ — ١٢٢٨ م ارسل الملك الاشرف موسى بن الملك العادل بن ايوب اخاه الملك الصالح اسماعيل بعسكر فنازل بعلبك وبها صاحبها الملك الانجد واستمر الحصار عليهِ الى سنة ٦٢٧ فسلمها بهرام شاه للملك الاشرف لطول الحصار عليه فعوضهُ عنها الزبداني وبعض القرى وسلم البلدة لاخيهِ الملك الصالح اسماعيل · فقدم بهرام شاه الى دمشق واقام بها سنةً اذ قتلهُ فيها احد مماليكه سنة ٦٢٨ هـ وكانت مدة ملكه ببعلبك تسع واربعين سنة وكان اديباً فاضلاً شاعراً

وفي سنة ٦٣٦هـ — ١٢٣٨م قصد الملك الصالح اسماعيل صاحب بعلبك الاستيلاء على دمشق وصار يجهز ما يلزم لاتمام نواياه · وكان بدمشق المغيث فتح الدين عمر بن الملك الصالح ايوب بن الملك العادل · وكان الصالح ايوب بنابلس فبلغه سعي عمه اسماعيل في الباطن · فاستدعى طبيبهُ وموضع ثقتهِ الحكيم سعد الدين الدمشقي وارسلهُ الى بعلبك ومعه قفصٌ من حمام نابلس ليطلعهُ عن نوايا اسماعيل صاحب بعلبك · وحال وصول الحكيم المذكور علم بامره اسماعيل فاستحضره واكرمه وسرق الحمام النابلسية وجعل موضعها حماماً من بعلبك ولم يشعر الطبيب المذكور بذلك فصار الطبيب يكتب لايوب « ان عمك اسماعيل قد جمع العساكر وهو في نية قصد دمشق » ويربط الرسالة بالحمام ويرسله فيطير الحمام قليلاً

ثم يعود الى بعلبك فياخذ الصالح اسماعيل البطاقة و يزوّر عن لسان الحكيم « ان عمك اسماعيل قد جمع العساكر ليعاضدك على اعدائك وهو قادم اليك » و يسرّحه على حمام نابلس فيعتمد الصالح ايوب على بطاقة الحكيم و يترك ما يرد اليه من غيره من الاخبار حتى اكمل اسماعيل تجهيزاته ومعداته فسار في شهر صفر من سنة ٦٣٦ المذكورة ومعه شيركوه صاحب حمص بجموعهما وهاجموا دمشق وحصروا القلعة وبها المغيث عمر فلما بلغ ايوب ذلك ندم على فوات الفرصة ورحل من نابلس بعساكره ليعين ابنه . ولما وصل الى الغور بلغه استيلاء اسماعيل على دمشق فعاد على اعقابه

و بعد ما استولى الملك الصالح ايوب على بلاد مصر ارسل عساكره الى دمشق بقيادة الامير حسام الدين الهذباني فاخذها من الصالح اسماعيل وابقى له بعلبك . ثم ان الخوارزمية وهم طائفة من عساكر الصالح ايوب خرجوا عن طاعته لانه لم ينعم عليهم بما يريدونه بعد اخذ دمشق فانضموا للصالح اسماعيل وانضمّ اليهم الناصر داود صاحب الكرك وحاصروا دمشق فقام حسام الدين الهذباني بحفظها احسن قيام الى ان اتته النجدات فانكسر الصالح اسماعيل وهرب الى حلب وذلك في سنة ٦٤٤هـ—١٢٤٦م وسار حسام الدين الهذباني بعسكره الى بعلبك وبها اولاد الملك الصالح اسماعيل وحاصرها وتسلمها بالامان يوم الاربعا في الثاني والعشرين من ربيع الاخر من تلك السنة واعتقل اولاد الصالح اسماعيل . و بلغ فتح بعلبك للملك الصالح ايوب في مصر فزينت القاهرة ودقت البشائر

ودامت بعلبك في يد سلطان مصر الصالح ايوب الى ان توفي في سنة ٦٤٧ وملك ولده الملك المعظّم تورانشاه . وكان ببعلبك نائباً عن ابيه الامير سعد الدين الحميدي فاقرّهُ فيها . ولما قتل الملك المعظم في محرم سنة ٦٤٨ واستولى على دمشق الملك الناصر صاحب حلب سيّر الى الامير سعد الدين الامير شرف الدين عيسى ابن ابي القاسم فتحدث معه في تسليمها

فأبى وقال في عُنقي يمين للملك الاوحد بن الملك المعظم ولا يمكنني التسليم ان لم يعوضوه عنها. فعوَّضه السلطان قرىً من الاعمال الجزرية وتسلم بعلبك في جمادى الاخر من تلك السنة و بقيت في يد الناصر الى ان ملك السلطان هولاكو التتري البلاد فسيَّر قايد جيوشه كتبغا الى بعلبك فحاصرها. وكان فيها من قبل الملك الناصر الحاجب شجاع الدين ابراهيم. فقال من فيها من الفقهاء لشجاع الدين لا يحلُّ لك العصيان وقد ملك التتر البلاد لانك تقتل خلقاً كثيراً. فاذعن وسلم المدينة و بقيت بعلبك في يد نواب التتر الى ان أُنتزعت البلاد منهم بكسرتهم على عين جالوت في سنة ٦٥٨هـ — ١٢٥٩م وصارت البلاد الى السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري فاستقل نائب دمشق الامير علم الدين سنجر بالشام و بعلبك ولُقّب بالملك المجاهد. وفي سنة ٦٥٩ ارسل الملك الظاهر عسكر مصر مع علاء الدين البندقداري لقتال سنجر صاحب دمشق فانهزم هذا وتحصن في قلعة بعلبك فحاصرها عسكر الملك الظاهر وفتحها وقبض على المجاهد سنجر واعتقله مدة ثم اطلقه. وامر الملك الظاهر بعمارة قلعة بعلبك وتشييد سورها و بناء دورها وقوَّاها بالعَدَد والعِدَد وشحنها بما لم تسمح به نفسٌ احد وولى عليها عز الدين ايبك الاسكندري الصالحي. و بعد وفاته تولاها كمال الدين ابرهيم بن شيت ثم نجم الدين حسن في سنة ٦٧٤هـ — ١٢٧٥. ولما خرج المُلك من ابناء الملك الظاهر الى السلطان قلاون الالفي اقرَّ نجم الدين عليها ولبثت تتناوبها عمال سلاطين مصر من المماليك الى ان استولت الدولة العثمانية على البلاد السورية

وفي يوم الثلاثا الواقع في ٢٧ صفر سنة ٧١٧هـ — ١٠ ايار من سنة ١٣١٨ مسيحية كان بها سيل عظيم اتى من الجهة الشرقية فخرب المدينة واهلك من اهلها عدداً غفيراً وتراكم على السور فدفعه وطفحت المياه على المدينة فاخربت منها ما ينيف على ١٥٠٠ بيت ودخلت الجامع فخربت بعض

جدرانه ورمت المنبر وبلغت الى رؤوس العمد ثم اندفعت على البساتين فاتلفت شيئاً كثيراً . ولم يزل المكان الذي اتت منه المياه يدعى « وادي السيل» الى الان . وقد نشر المرحوم ابرهيم سركيس مقالة في مجلة الجنان عن السيول ذكر فيها حديث شاهد عيان عن سيل بعلبك فقال :

« في سنة ٧١٧ هجرية دخل السيل العظيم الى مدينة بعلبك وكان مهولاً لم يعهد مثله حتى ان الماء دخل الجامع ووجدوا فيه الشيخ علي بن الحريري غريقاً ومعه جماعة . ثم توجه من دمشق الامير بدر الدين بن معبد لروية الحال فقال : انه لما كان بين الظهر والعصر في السابع والعشرين من شهر صفر سنة ٧١٧ ارسل الله سبحانه سحابة عظيمة ذات رعد وبرق ومطر غزير وبَرَدٍ فسالت منه الاودية في شرقي بعلبك المحروسة وحملت ما مرّت عليه من اشجار العنب وغيره وافترقت على البلد فرقتين فرقة على الناحية الشرقية الى جهة القبلة سالت حتى انتهت الى النهر واجتمعت بحيرة عظيمةً على السور حتى كادت تبلغ شرفاته ارتفاعاً . وتزايدت عظمة وافزاعاً فلطف الله وثبت السور وتصرفت مع جريان الماء ولم يحدث بحمد الله تعالى كثير امر . والفرقة الثانية ركبت البلد ما بين باب دمشق وباب نحلة شرقي المدينة الى جهة الشمال واجتمعت هناك على السور وثقلت عليه فخرقت منه ما مساحته بالطول اربعين ذراعاً مع انه محكم البنيان مشيد الاركان وحصل لما يليه صدوع مع ان سمكهُ خمسة اذرع . وطغت المياه فاخذت برجاً ذرعه من كل جانب خمسة عشر ذراعاً حملته وهو على حالهِ لم ينتقض حتى مرَّ فسحةً عظيمةً نحو خمسماية ذراع من الارض . واخذ السيل في البلد الى جهة الغرب جارياً فما مرَّ على شيءٍ في طريقه الا وجعلهُ خاوياً ولا شاخص البناء ولا غيرهُ الا وجعلهُ للارض مساوياً . فاخرب المساكن واذهب الاموال وغرّق الرجال والحريم والاطفال . واثكل الامهات والآباء . وأيّم الازواج ويتّم الابناء . ثم لم يزل حتى دخل الجامع

الاعظم والمدرسة التي تليه (هو الجامع الكبير) · فانجزر به حتى كاد يبلغ العُمُد بتناهيه · فأتلف ما فيه واخرب وغرّق · وازعج القلوب واقلق · وانفجر على الجدار الغربي من الجامع فهدمه واخذ ما مرَّ عليه من البنيان وهذا مشاهد بالعيان · حتى بلغ خندق القلعة المنصورة فخرق من سور البلد الغربي الملاصق لها مقدار خمسة وعشرين ذراعاً · وخرج من البلد فما مرَّ على بستان الا واجابته سراعاً · وما قيل يا ارض ماءك ابلعي · ويا سماء اقلعي · حتى صارت ذوو المساكن على الطرقات · واصحاب الاموال يستحقون الصدقات · وتهدمت المساجد وتعطلت الصلوات · ولقد جرى في هذا اليوم من العجائب ما لا يُعدّ · ومن الغرائب ما لا يُحدّ · حتى اخبرت الثقاة انه نزل من السماء عمودٌ عظيمٌ من نار في اوايل السيل · ورُؤِيَ من الدخان وسُمع من الصرخات في الاكوان · ما يُضعف الحيل ويزيد الويل وقد كُتبت اوراقٌ تتضمن ذكر ما هدم السيل بمدينة بعلبك وما شعثه وأتلفه فمن ذلك الجامع المذكور وما ذكر من السور على الجانبين وكذا الدور والحوانيت والحمّامات والطواحين والاصطبلات وما تلف فيه من الرجال والنساء والاطفال والخيل والمواشي وغير ذلك · وذلك مما امكن ضبطه من المعلومات خارجاً عن الغرباء الذين كانوا في الجوامع والمساجد والطرقات الذين لم يُعلموا · وذلك خارجٌ عن الكروم والبساتين ظاهر المدينة بحكم انه لم يقف عليها احد وهو من رجالٍ ونساءٍ واطفال سوى من مات في الجامع والطريق ١٤٧ نفراً · ومن البيوت ٨٩٥ خراباً و٤٥٠ اختلالاً ومن الحوانيت ١٣١ منها ٥٤ خراباً و٧٧ تشعيثاً · ومن البساتين ٤٤ ومن المساجد والمدارس ١٣ منها الجامع المعمور · ومن الافران ١٧ ومن اقنية الماء ٤ ومن الطواحين ١١ قتل فيها من الناس ٤٧ نفراً · انتهى

وفي ٨٠٣هـ — ١٤٠١م اتاها البلاء الماحق الطاغية تيمورلنك الذي بعد ان صبّ ويلاته العدائية على حلب قصد دمشق فمرَّ على بعلبك ·

فخرج اليه اهلها وانكبُّوا على يديه ورجليه طالبين عفوهَ والسلام ولكنه لم يلتفت اليهم و بعث جنده للحال فنهبوا المدينة واخربوها. وفي سنة ٩٢٢ ه — ١٥١٦ م صارت بعلبك الى ساكن الجنان السلطان سليم الاول العثماني بعد ان فتح سورية ونزع يد سلاطين مصر من المماليك عنها

تاريخ الامرآء بني الحرفوش

ثم دانت بعلبك وقراها لحكم الامرآء بني الحرفوش · وهم عائلة من الشيعة كانوا من البأس والسطوة والفروسية في مكان عظيم · والشائع بين الاهالي عن نسب هذه الاسرة ان الامير حرفوش الخزاعى جد هذه العيلة عُقدت له راية بقيادة فرقة في حملة ابي عبيدة بن الجراح على بعلبك واستوطن بعدئذٍ المدينة وكثر نسلهُ وكانوا من اعظم الاعيان فيها الى ان تيسر لهم الاستقلال في المدينة واقاليمها و بلاد البقاع في اواخر حكم سلاطين مصر من المماليك فسادوا وحكموا ثم ظلموا وعتوا وتسلطوا على الرعية واموالها حتى نفرت الاهالي ولا سيما النصارى منهم فهجروا المدينة الى زحلة حتى عمرت بهم ولذلك ينتسب السواد الاعظم من سكان زحلة الى بعلبك والراس · ومن الاهلين من رحل الى بشرة ودوما الجبل ومنهم من استوطن الشام وصيدا وهكذا اكمل بنو الحرفوش خراب هذه المدينة بعد ان كانت من مدن سورية العظمى · وقد جمعت اشتات حوادثهم من تواريخ متفرقة وعن السنة الثقاة من الاهلين الذين لا يزالون يتناقلون اخبارهم حيث لم يعنَ مؤرخ قبلي بتسطير وتنسيق وقائع ايامهم

اول سند تاريخي لبني الحرفوش ذكره صالح بن يحيي مؤرخ بيروت فقال بان الملك الظاهر برقوق استعان بالامير علاء الدين الحرفوش على تركمان كسروان · وان علاء الدين المذكور قتل في موقعة جرت بين

حاكم دمشق يَلبُغا ونعير امير العرب سنة ١٣٩٣

في سنة ١٥٣٤ استجـار بالحرافشة هاشم العجمي شيخ جبه المنيطرة الهارب من وجه الامير منصور العساف ولكن مجيريه غدروا به وقتلوه فوق كرك نوح وطرحوه في بئر دعي بئر هاشم الى اليوم · وفي سنة ١٦٠٢ دهم الامير موسى الحرفوش (وقيل الامير يونس) جبة بشرّة ونهب بيوتها ومواشيها فجمع يوسف باشا سيفا خمسة الاف مقاتل وزحف بهم على بلاد بعلبك فاحرق قرية الحدث · ثم نزل على بعلبك فنهبها وقتل وشتت اهلها فتحصن الحرافشة مع جماعة من اهل البلد في القلعة وكانوا نحو الف رجل مـا عدا النسآء والاولاد · فشدد يوسف باشا الحصار على القلعة مدة خمسين يوماً ثم ملكها وقتل جماعة من اعدائه واطلق الامـان للباقين وعاد ظافراً

ويُروى عن الامير موسى المذكور وليس للرواية من سند تاريخي انه نبذ طاعة الدولة العليه فارسلت عليه الجيوش ووقفت له بالمرصـاد ولما راى ان لا مناص من التسليم توجه خفية الى الاستانة العليه · وكانت بلدة غزير قصبة كسروان عاصية وقد استفحل امرها · فاستأمن الامير موسى للدولة وتعهد لها بفتح غزير والتنكيل باهلها على ان ينال عفو الدولة و يتولى احكام بعلبك · فأُجيب طلبهُ وعاد الى بعلبك وجمع نحو خمسة عشر الف مقاتل وزحف بهم على غزير · وقد انشده احد الشعراء قبل ذهابه هذين البيتين

غزير طورٌ ونار الحرب موقدةٌ وانت موسى وهذا اليوم ميقاتُ
القِ عصاك ولا تخشَ لما افكوا بامرها وحبالُ القوم حيَّاتُ

وفي سنة ١٦٠٥ التجأَ الامير يونس الحرفوش الى الامير فخر الدين المعني والي جبل لبنان خوفاً من ابن عمه الامير موسى المذكور فاجاره وتولى بلاد بعلبك بمدده وعقد للامير احمد ابن الامير يونس على ابنته·

وفي سنة ١٦٠٦ جمع احمد باشا الحافظ والي دمشق الجنود وحمل على الامير يونس لضغينةٍ بينهما فاستنجد يونس بالامير فخر الدين فنجده برجاله فكفّ حينئذٍ احمد باشا عنه وكان ذلك سبب نفوره من فخر الدين · وفي سنة ١٦١١ تولى نصوح باشا منصب الصدارة فاول طلب انفذه الى الامير فخر الدين هو قتل الامير يونس فتلافى فخر الدين الامر معه · وفي سنة ١٦١٣ جهز الامير يونس رجاله وسار بهم لنجدة الامير فخر الدين اذ كان في حربٍ مع والي دمشق احمد باشا الحافظ فطلب هذا مدد الدولة فانفذ ساكن الجنان السلطان سليم اربعة عشر باشا يقودون خمسين الف مقاتل للتنكيل بآل معن وطردهم · فذُعر الامير يونس وخشي سطوة الدولة فاستكان واستسلم مع رجاله لاحمد باشا فارسله لامتلاك الطريق على جنود الامير فخر الدين الذين قدموا لنجدة قلعة شقيف ارنون · فالتقى بهم ليلاً فوق جسر الخردلة وانتشب بينهم القتال فقبض عسكر الامير يونس على رجلين وانهزم الباقون · ولما راى الامير فخر الدين ضعف حاله ترك لبنان وسافر الى ايطاليا

فبعد ان دانت البلاد للحافظ طلب من الامير يونس الحرفوش ان يسلّمهُ حصن اللبوة وقلعة بعلبك وخرج اليه بالعساكر من دمشق فنال يونس رضاه بخمسين الف غرش · وفي سنة ١٦١٥ اقطع جركس محمد باشا البقاع الى الامير شلهوب الحرفوش لقاء اثني عشر الف غرش وامدّهُ بخمسماية فارس فحاصر ابن عمه الامير حسين بن الامير يونس في قلعة قب الياس حتى سلمها الى شلهوب بالامان · فتوجه الامير يونس الى حلب حيث كان الصدر الاعظم فيها وقرر عليه البقاع و بلاد بعلبك بار بعين الف ذهب واتى بالاوامر الى محمد جركس باشا برفع الامير شلهوب عن البقاع وتسليمها · وفي سنة ١٦١٦ انعمت عليه الدولة بسنجقية حمص

وفي سنة ١٦١٧ عقد الامير علي بن الامير فخر الدين عقد ابنته

فاخرة على الامير احمد بن يونس الحرفوش فاتى وسكن قرية مشغره و بنى
فيها دارًا عظيمة واستقرب اليه مشايخ بلاد بشاره فانف الامير علي بن
الامير فخر الدين من ذلك وطلب من يونس ان يمنع ولده عن سكنى
مشغره فاجابه لما طلب وترك الامير احمد تلك القرية . ولما عاد في تلك
السنة الامير فخر الدين من ايطاليا لسورية ذهب الامير احمد للسلام عليه
واهداهُ عدة خيول كريمة . وفي سنة ١٦١٨ كتب الامير فخر الدين
للامير يونس ان يضبط ما لآل سيفا من المواشي والغلال في القيرانيه
والهرمل فانفذ امره وغنم غنائم وفيرة . وفي سنة ١٦١٩ مرَّ الامير فخر
الدين بعساكره باراضي بعلبك ذاهبًا الى عكار فلما بلغ الامير يونس
ذلك اقام في حصن اللبوة وجلاً فقصده الامير بعشرة فوارس وواجهه
وأمّنهُ ودعاه الى خيمته فلم يلبث ان رجع حالاً الى حصن اللبوة محتجًا
بتقديم الميرة للعسكر ولم يرجع ولا ارسل ما وعد به . وفي السنة ذاتها توفي
الامير احمد زوج ابنة الامير فخر الدين . وفي سنة ١٦٢١ طلب الامير
يونس من الامير فخر الدين ان يأذن لابنه الامير حسين ان يتزوج بامرأة
اخيه احمد المتوفى ودفع له مهرها ثمانية الاف غرش فقبل وعُقد لحسين
عليها . وفي تلك السنة انعمت الدولة على الامير يونس بتولي سنجقية
حمص فارسل ابنه الامير حسين اليها حاكمًا . وفي سنة ١٦٢٢ عُزل
الامير فخر الدين عن صفد وانهزمت رجاله في نابلس وعجلون فكتب الامير
يونس لصديقه كرد حمزة اغا الانكشارية في دمشق يخبره بذلك فارسل
كرد حمزة الكتاب الى فخر الدين غلطًا مع كتبه فلما قرأه فخر الدين
اغتاظ جدًا من الامير يونس اذ وجده مع كل حسناته معه كافرًا بنعمته مع
انه تولى بعلبك بامداده ولما اعتزَّ منع اهل الشوف من الزراعة باراضي
البقاع وضبط للامير علي بن فخر الدين تل النمورة من اراضي قب الياس
وقد نهاه ولده الامير حسين فلم ينتهِ وامعن في اساءته . فنهض الامير فخر

الدين برجاله من بيروت الى قب الياس فدعاه الامير حسين الحرفوش الى وليمة في منزله بالقرية المذكورة فاستجاب دعوته . وبينما كان عنده ابرز فخر الدين صكاً وحكماً سلطانياً بمشترى حارة قب الياس من تركة الامير منصور عساف وقال لحسين ان هذه الحارة ملكنا وقد اسكناك بها مدة طويلة فالآن قد احتجنا اليها وقد قاسمتمونا على الاراضي التي ادخلناكم اليها فاذهب الى والدك . فرحل الامير حسين مغتاظاً وارسل الامير فخر الدين ابنته زوجة الامير حسين الى والدتها في صيدا وامر بضبط غلال آل حرفوش التي في البقاع وجميع مواشيهم ايضاً فبلغت ستماية من البقر والجاموس وامر بهدم حارة قب الياس ثم سار الى جسر المجامع . فلما بلغ الامير يونس ذلك سار مع كرد حمزة الى دمشق والتمسا من واليها مصطفى باشا سنجقية صفد للامير يونس ودفعا له خمسة عشر الف ذهب عن مال صفد وعجلون فانعم عليهما بها . فكتب الامير فخر الدين الى وزير دمشق بلغني ان الامير يونس الحرفوش زاد على سنجقية صفد الف ذهب فانا ازيد على بلاد بعلبك والبقاع الى ماية الف ذهب . وكتب ايضاً الى الدفتردار وكبير الانكشارية بمثل ذلك فلم يعبأ بكتبه احد . فكتب لمدبره بالاستانة الذي نجح في سعيه اذ ارسل اليه فرماناً سلطانياً بسنجقية صفد وعجلون ونابلس . فكتب اذ ذاك مصطفى باشا للامير يونس ان يحضر بعساكره وتركمان بلاد بعلبك . وسار الامير فخر الدين بمعظم جيوشه الى البقاع واتى ابنه الامير علي الى كرك نوح بالف فارس وكان في الكرك ماية رجل من عساكر الامير يونس فتحصنوا في المزار واخذوا يطلقون الرصاص على فرسان الامير فخر الدين فقتلوا منهم نفراً . فامر اذ ذاك الامير جماعته بالهجوم عليهم فهجموا فقتل من جماعة فخر الدين خمسة رجال ومن المحاصرين ثلاثة واربعون رجلاً وهرب الباقون واختبأوا في القرية ففتشوا عنهم واعتقلوهم . ثم امر الامير باحراق القرية

وتوجه الى قرية سرعين مقر فريق من الحرافشة ونهبها واضرم النار فيها وفي قرى بعلبك الشرقية ثم رجع الى قب الياس وارسل الاسرى الى بيروت. ولما بلغ الامراء الحرافشة عَيْث الامير فخر الدين في البلاد تحصنوا في قلعة بعلبك وكتبوا الى الامير يونس يخبرونه بما جرى فارسل اليهم فرسانه لمحافظة البلاد وانضم بمن بقي معه الى عساكر مصطفى باشا وزير دمشق وحضر معه واقعة عنجر سنة ١٦٢٣ التي انجلت عن اسر الوزير وانهزام جيشه امام جنود الامير فخر الدين. فهرب الامير يونس والامير عمر سيفا وكرد حمزة الى بعلبك وابقى يونس في القلعة مائة وعشرة انفار وظل سائرًا الى حصن اللبوة واقام فيه. واما مصطفى باشا فاظهر للامير فخر الدين ان ما حصل من المساوىء كان الباعث عليها كرد حمزة فطيَّب الامير قلبه واطلق له حرّيته فلم يجحد مصطفى باشا جميله وانضم اليه والى الامير احمد الشهابي وساروا معًا الى تمنين. ولما عرف يونس بقدومهم فر من اللبوة باسرته واولاده ومعهم كرد حمزة الى قلعة الحصن. ثم ركب مصطفى باشا والامير فخر الدين ونزلا على بعلبك واذنا لمن معهم من الدروز والبقاعيين والجبليين بنهب غلال الحرافشة. ثم قدم الامير شلهوب الحرفوش وبذل للامير فخر الدين الطاعة فطيَّب خاطره وصرّفه في املاكه. واما الامير يونس فترك ابنه حسينًا في حمص وقصد حماة ومعه كرد حمزة ثم توجها الى حلب ورفعا منها الى الاستانة الشكوى من الامير فخر الدين فارسل الامير قومه الى اللبوة وجبة عسال فنهبوا من معز الحرافشة اثني عشر الف راس

وفي تلك الاثناء ارسل الامير مدلج الحياري مدبره ليستغيث بفخر الدين على اعدائه آل فياض العرب فترك الامير ابنه عليًا والامير احمد الشهابي على بعلبك ليمنعا سكان الامير يونس من الخروج من القلعة ويقطعا الوارد عليهم وسار بالفي فارس وثلثماية راجل الى قرية الراس

ومعه الامير سليمان سيفا والامير شلهوب الحرفوش ومنها توغل في البرية وانجد الامير مدلج وعاد بفرسانه الى بعلبك فلما وصل الى اللبوة ارسل رسولاً يخاطب الذين في حصنها ان يسلموا عن يدٍ وهم صاغرون فاجابوه اننا اتباع من في قلعة بعلبك فان سلّموا سلّمنا فتركهم واتى الى بعلبك وامر سكمانه بحصر القلعة فتقاعسوا لان المحصورين من جنسهم. فحنق الامير وضرب خيامه بقرب خندق القلعة الجنوبي تجاه السور واقام بنفسه على الحصار فلما راى السكمان عظيم همته وشديد بأسه انقادوا لامره فشرع ببناء المتاريس ووضع جسوراً عالية وصناديق مملوءة تراباً وغطى الخنادق بالخشب وجعل ينتقل حتى وصل الى حائط القلعة فاخذ الفعلة ينقبون الحائط وهو لا يفارق المحاصرين اصلاً

وكان الامير يونس وقتئذٍ في معرة النعمان فقبض عليه هناك مراد باشا واعتقله في قلعة سلميا ثم انفذه الى قلعة حلب فلما بلغ ولده الامير حسين ذلك فرّ من حماة ليلاً الى قلعة الحصن وارسل اخاه الامير علي الى الامير شلهوب الحرفوش ليستعطف الامير فخر الدين و يرجوه ان يكتب الى مراد باشا ملتمساً اطلاق والده وتعهّد بدفع اربعين الف غرش للامير. وفي تلك الاثناء قدم قبوجي باشي ومعه خلعة تقرير ايالات الجبل و بعلبك والبقاع على الامير فخر الدين. فخاطب المحاصَرين في القلعة بان يسلّموا فأبوا واقبلت حينئذ الاخبار باعتقال الامير يونس الحرفوش فوهنت عزائمهم وتوجه زعيمهم الى الامير فخر الدين يطلب الامان له ولرفاقه فطيّب قلبه واعطاه وثيقة لاصحابه واخرجهم من القلعة بالامان وضبط ما للامير يونس من الموجودات وادخل اولئك السكمان المسلّمين في خدمته . وكان عدد الذين قُتلوا من رجال الامير فخر الدين في ذلك الحصار اربعين رجلاً و بعد ان استولى الامير فخر الدين على القلعة امر مائة وخمسين رجلاً بهدم بعض تحصيناتها واوعد السكمان بصلاتٍ جزاءً لحسن خدمتهم وارسل

الى المحاصَرين في حصن اللبوة أن يخرجوا منه آمنين فابوا . فحنق منهم واوعز الى عساكره وكانوا اربعة الاف وخمسماية رجل ان يسيروا لحصار اللبوة فورًا . وفي غضون ذلك قدم محمد باشا واليًا على دمشق وكان معه اربعماية فارس فخفَّ الامير لملاقاتهِ الى راس بعلبك واحسن استقبالهُ واتى به الى قرية العين ثم انطلق الوزير منها الى الزبداني وشدَّد الامير الحصار على اللبوة . فسار عندئذٍ الامير علي بن الامير يونس الى قلعة الحصن حيث كان اخوه الامير حسين لياتي بالمال الذي قدماه لمسالمة الامير ثم عاد ومعه ابن عمه الامير سيد احمد ونقد فخر الدين ستة عشر الف غرش ودفع اليه صكًّا بتوقيع الامير حسين بالباقي عليه والتمس منه الصلح ورفع الحصار عن قلعة اللبوة فاجابه الامير الى ملتمسه ونهض بعسكره من بعلبك الى مرج عدوس ثم الى مرجعيون وبقي الامير شلهوب الحرفوش حاكمًا في بعلبك

وبعد ذلك أُخلي سبيل الامير يونس من سجن مراد باشا بتوسط كرد حمزه وسكوت الامير فخر الدين عنه فرجع من حلب الى قرية عسال وقدم هدية ثمينة الى مصطفى باشا والي دمشق ووعده بثلاثين الف غرش اذا قتل الامير شلهوب فلما قبض مصطفى باشا المال ارسل وامسك شلهوبًا وضبط جميع مقتناه وقتله

وفي تلك السنة رغب الامير حسين بن الامير يونس الى الامير علي شهاب في ان يكون شفيعه لدى الامير فخر الدين ليعيد له زوجته ابنة الامير وانه يدفع بقية ما تعهد به في بعلبك فاجابه فخر الدين الى مبتغاه فاقبل الامير علي وولده قاسم بالامير حسين الى صيدا فاكرم فخر الدين وفادتهم واعاد لحسين زوجته بعد ان قبض منه عشرة الاف غرش واخذ صكًّا بكفالة الامير عا بالعشرة الاف الباقية من الاربعين الفًا فعاد الامير حسين بزوجته الى بعلبك

وفي اواخر سنة ١٦٢٣ المذكورة قدم الصدر الاعظم خليل باشا الى حلب فسعى عنده الامير فخر الدين بالامير يونس الحرفوش فقبض عليه وقتله

وفي سنة ١٦٢٤ تولى الامير فخر الدين المعني على ولايات عربستان وانعم عليه السلطان بلقب « سلطان البر » فبداء يطوف بعساكره متفقداً شؤون ولاياته . فلما وصل الى بعلبك فرّ الحرافشة الى المشرق مذعورين فاطلق فخر الدين الامان للرعية فحضروا لديه مسلمين وقدموا له الاقامات وتعهدوا بدفع خمسة وار بعين الف غرش خدمة . ثم امر الامير بترميم القلعة ومكث هناك شهراً الى ان تمّ ترميمها فوضع فيها عسكراً وذخيرة وسار الى قب الياس . وفي سنة ١٦٢٦ توجه الامير حسين بن يونس الحرفوش الى حاصبيا ملتمساً شفاعة الامير علي الشهابي عند الامير فخر الدين فسار الامير علي به الى صيدا فاكرم فخر الدين مثواهم وطيّب قلب الامير حسين فرجع لبلاده مسروراً

وكان من الامير فخر الدين انه لما استوثق لهُ الامر وعنت لسلطته اقاليم سورية اخذ يحشد الجيوش ويهيء الامور للاستقلال فارسلت عليه الدولة العلية جيوشها المظفرة بقيادة احمد باشا الحافظ عدوهُ القديم في سنة ١٦٣٣ . فقدم اليه الاميران حسين ومحمد ابنا الامير يونس طالبين حمايته فاقرّهما على امارتهما في بعلبك واقليمها الواسع ثم ناجز الامير فخر الدين وهزم جيوشه واخذه اسيراً وارسله الى الاستانة حيث لقي عقوبته وهذا كل ما انتهى الينا من اخبار الامير يونس واولاده

وفي سنة ١٦٦٤ كانت زلزلة عظيمة هدمت جانباً كبيراً من القلعة وفي سنة ١٦٧١ استنجد الامير علي الحرفوش والي الشام على ابناء عمه الامراء عمر وشديد ويونس فسيّر معهُ كتيبةً الى بعلبك حيث هزم الامراء المذكورين ونهب ارزاقهم وحرق دورهم وتولى بعلبك . وفي سنة ١٦٨٠

استأجر الامير فارس شهاب بلاد بعلبك من الدولة العلية وقدم اليها بالفي فارس وراجل من الدروز ففر الحرافشة وجمع الامير شديد نحو ستين فارساً ممن يأتمرون بامره واخذ يطوف البلاد متنكراً ٠ ومما يرويه الاهلون انه لما استتبَّ الامر للامير فارس بدأَت عساكره بظلم الرعية واقتراف الفواحش ٠ وفي تلك السنة اعتدى احد رجاله على احدى المحصنات فذهبت امها الى قرية نيحا حيث كان الامير شديد وبيدها اليمنى شاش ناصع البياض وبالاخرى حذاءٌ عتيق وقالت له « ان اخذت بثار ابنتي فهذه رايتك وارته الشاش وان لم تقم به فتلك رايتك » وأرتهُ الحذاء وقصَّت عليه امرها ٠ فدبَّت الحمية في راسه وقام بجماعته الستين قاصداً الامير فارس شهاب وعلم فارسٌ بخروج شديدٍ عليه فلاقاهُ بفرقةٍ من عساكره على مقربة من قرية يونين فتهاجم الفريقان واستقتل فرسان الامير شديد ففتكوا باخصامهم فتكا ذريعاً وطلب الاميرُ شديد الاميرَ فارس فانهزم امامه وتبعه شديد ومعه احد رجاله يوسف السكرية ولاح ليوسف من الامير فارس مقتلٌ فاطلق عليه الرمح فجندلهُ صريعاً ولما استجلى الدروز مصرع اميرهم فروا هاربين تاركين على الحضيض نحو خمسين قتيلا ودفن الامير فارس في محل هناك لم يزل يدعى حتى الان بقلعة فارس ٠ فلما بلغ الامير موسى شهاب ذلك نهض برجاله من حاصبيا ونهض الامير علي نجم من راشيا ثائرين لقتيلهم وبدأُوا يغزون اطراف بلاد بعلبك ٠ فذهب عندئذٍ الامير عمر الحرفوش الى الشوف واستغاث بالامير احمد المعني والتمس منه اقرار الصلح بين الحرافشة والشهابيين فتوجه الامير احمد الى بعلبك واصلح ذات بينهم على ان يؤدي الحرافشة لآل شهاب كل سنة خمسة الاف غرش وجوادين من اطايب الخيل ديةً عن الامير فارس٠

وفي سنة ١٦٨٦ ورد الامر لعلي باشا النكدلي متولي ايالة طرابلس ان

يقتص من الامير شديد الحرفوش بتخريبه قرية راس بعلبك وهدمه حصنها فكتب الى الامير احمد بن معن ان يوافيه بالرجال . فلجأ الامير شديد الى المشايخ الحمادية فاحرق علي باشا قرية العاقورة واربعين قرية من قرى بني حماده . ثم نزل عسكر الباشا على عين الباطية فباغته ليلاً آل حماده والحرافشة وقتلوا منهم خمسة واربعين رجلا وانهزم العسكر وعاد علي باشا الى طرابلس

وكان حاكم بعلبك في سنة ١٧٠٢ الامير حسين الحرفوش وهو الذي التجأ اليه الشيخ يوسف الدحداح وصار له مكانة عظيمة عنده وقيل ان الامير حسين المذكور قُتل بثورة من اهالي بعلبك في جنينة اللطّامة في سنة ١٧٢٤ وخلفه ابن عمه الامير اسماعيل ثم تولى بعده الامير حيدر وهو الذي ارتحل اليه في سنة ١٧٤١ الشيخ منصور الشدياق وكان هذا الامير عاتياً فهجر كثيرون المدينة والبلاد لثقل وطأة الامراء عليهم . وفي سنة ١٧٤٨ أناط اسعد باشا وزير دمشق امور بعلبك وادارتها بالامير ملحم شهاب ليكفي شر ثورات الحرافشة ويصون خراج البلاد . ولكنه ما لبث ان نقم على الامير ملحم لتأخره عن دفع المرتبات الاميرية فحاربه وانضم اليه الامير حيدر الحرفوش . وبعد ذلك سار اسعد باشا الى الحج فانتهز الامير ملحم فرصة غيابه فارسل عسكرًا الى بلاد بعلبك فنهبها وازاح الامير حيدر عن الحكم وولى مكانه اخاه الامير حسين . فلما عاد اسعد باشا من الحج بلغه ما فعل الامير ملحم في بعلبك فاخذ يعبي العساكر للتنكيل به ولكن الايام خانته اذ نقمت عليه الدولة ونفذ الامر السلطاني بضرب عنقه . فبقي الامير حسين متولياً على بعلبك وانسحب الامير حيدر الى بلاد القلمون شرقي بعلبك

وفي سنة ١٧٥١ زارها المهندسان وود ودوكنس الانكليزيان فرسما هيا كلها رسما مدققاً اظهر للعالم الاوربي اهمية خرابات بعلبك ومكانها

من العظمة والفخامة ووضعا تقريرًا مسهبًا عظيم الفائدة عن تاريخ بعلبك القديم وذكرا في بدء كتابهما انهما قدما الى بعلبك باذن سلطاني وكان وقتئذٍ الحاكم في بعلبك ومقاطعتها الامير حسين المذكور انفًا وان اخاه الامير حيدر كان لم يزل في مقدمة عصابةٍ وانه دهم قرية عرسال قبل مرورهما فيها وخربها. وذكرا ايضًا بان المرتب على مقاطعة بعلبك كان وقتئذ مايه كيس وانهما بعد الفراغ من شغلهما في بعلبك وسفرهما منها بزمن يسير تلقيا خبر مقتل الامير حسين وان القاتل اخوه حيدر الذي تولى مكانه

وذكر وود ايضًا انه وجد بعلبك بلدة صغيرة يبلغ عدد اهلها خمسة الاف. ولما زارها ڤولني الكاتب الفرنسي في سنة ١٧٨٤ لم يرَ فيها اكثر من مايتي نفس. وذكر لي المرحوم المطران غريغوريوس عطا في رسالة انه زار بعلبك في اوائل حكم الدولة المصرية في سورية فكان في البلدة سبعة عشر بيتًا من المسيحيين وكان المسلمون من السنة والشيعة قليلين ايضًا. تلك بعلبك التي اسعدها الدهر في ما مضى فبعد ان كانت تعدُّ من السكان ما ينيف عن المايه الف وصلت الى هذه الدرجة من الحطَّة والضعة. ولكنها ما لبثت بعد ان تخلصت من ربقة الحرافشة ورتعت في بحبوحة الامان في ظل الدولة العلية ان اخذت بالتقدم والسعة حتى وصلت الى ما هي عليه الان

وفي سنة ١٧٥٩ ضبط الامير اسماعيل بن الامير شديد الحرفوش مدينة بعلبك واياالتها من قبل والي طرابلس بمقطوع مايه كيس وهي خمسون الف غرش. وفي ليلة الثلاثا لسبع من شهر شعبان سنة ١١١٧ هجرية الموافقة ٣٠ تشرين الاول سنة ١٧٥٩ احدثت في بعلبك زلزلة هائلة فدمرت دورها وابنيتها واسوارها واسقطت اعمدة هياكلها. وذكر المعاصرون ان الهزات الارضية دامت الى ٢٦ تشرين الثاني من تلك السنة وانه

سقط من اعمدة الهيكل الكبير ثلاثة كانت في صف الستة الباقية وسقط عمودان من الهيكل الصغير وهدمت رقبة منارة الجامع الكبير وقتل بفعل الزلزلة رجلان . فانحطت بعلبك على اثر الزلازل والحروب انحطاطاً حال دون استرجاعها ما كانت عليه من العزة والمنعة

وفي تلك السنة توفي الامير ملحم شهاب فنبذ الحرافشة سيادة خلفهِ واخذوا يعتدون على لبنان فاستأذن الامير يوسف بن ملحم وزير دمشق وضرب الحرافشة في سنة ١٧٦٣ ومكّن الامير حيدر الحرفوش من القبض على ازمة الاحكام وبقي سائداً الى ان توفي سنة ١٧٧٤ وكان قد هرم كثيراً فتولى مكانه اخوه الامير مصطفى . فقصد الامير درويش ابن الامير حيدر الامير يوسف الشهابي طالباً مساعدته ليكون حاكماً مكان ابيه فخيَّب طلبه فقصد الشيخ ضاهر العمر فطيَّب خاطره وسأل الامير يوسف فيه فولاَّهُ على قسم من قرى بعلبك

وفي سنة ١٧٧٦ ارسل احمد باشا الجزار قائد عسكره قرامنلا الى بعلبك فاستولى عليها بعد ان طرد منها الامير جهجاه بن الامير مصطفى غير انه عاد فاخلاها لخروج الامير يوسف الشهابي عليه فرجع الامير جهجاه اليها . وفي سنة ١٧٧٨ انضم الامير جهجاه برجاله الى الامير يوسف شهاب وحاربوا عساكر الجزار فهزموها . وفي سنة ١٧٨٢ التجأ الى الامير يوسف الامير محمد الحرفوش وكان قد طرده اخوه الامير مصطفى المذكور فجهز معه خمسة الاف رجال وارسلهم الى بعلبك بزعامة ابناء عمه من آل شهاب فلما بلغوها هرب الامير مصطفى واولاده الى حمص وتولى الامير محمد على بعلبك . ثم توجه الامير مصطفى الى الشام ووعد واليها عبدالله باشا ان ينقده خمسة وعشرين الف غرش فارسل معه عسكراً نظامياً فاتى بعلبك وهرب الامير محمد واسرته واحزابهُ من ابناء عمهِ فاقاموا في نجدل المتين ومات فيها الامير محمد سنة ١٧٨٦ . واما الامير مصطفى فانه صادق

الامير يوسف الشهابي ونقده المرتَّب المعتاد وظل حاكماً في بعلبك الى ان تولى بعد سنة من حكمه درويش باشا بن عثمان باشا الصادق ايالة دمشق فارسل عسكره لكبس الامير مصطفى في بعلبك بسبب مظالمه وطغيانه فقبضوا عليه وعلى احد اخوته وسبوا حريم بني الحرفوش ونهبوا المدينة وساقوا الامير مصطفى واخاه الى دمشق فامر درويش باشا بشنق الامير مصطفى وارسل الى بعلبك حاكماً من عنده يدعى سليم اغا . واما الامير جهجاه بن مصطفى الذي نجا من يد العسكر سار الى عرب الخزاعة ابناء عم بني الحرفوش لان هولا يزعمون بانهم فخذ من افخاذهم فاستعان بهم على استرجاع بعلبك فاعتذروا اليه وامدوه بمال وفير واعطوه فرساً صفراء كريمة الاصل فعاد الى بلاد بعلبك في سنة ١٧٨٦ وعلم ان بطال باشا والي دمشق ارسل حاكما زنجياً بدلاً من سليم اغا يدعى محمد اغا . فذهب الامير جهجاه الى زحلة وجمع فيها مائة مقاتل تأهباً لاسترجاع بعلبك من الزنجي ولما فرغ من تنظيمها تقدم بها الى المدينة وقد نعل الخيل بلباد فدخلوها تحت جنح الليل وقتلوا كل من صادفوه في طريقهم حتى جرت الدماء كالسواقي وانهزم محمد اغا الى دمشق وكان الوزير يومئذ قد همَّ بالخروج الى الحج فلم يتمكن من ارسال عسكر الى بعلبك ولما عاد في سنة ١٧٨٧ ارسل المنلا اسماعيل بالف ومايتي فارس فالتقاه الامير جهجاه واخوه الامير سلطان باهل زحلة وكمنت فرق منهم في مضيق القرية . فلما وصل الفرسان الى المضيق اطلقوا عليهم الرصاص وخرجوا اليهم وتلاحم الفريقان فانهزمت عساكر المنلا وتبعهم رجال الامير الى قرية السلطان ابرهيم واثخنوا فيهم ولم يؤذَ من رجال الامير الا نفر قليل . ورجع الامير جهجاه الى بعلبك وقبض على ازمة الاحكام . وفي شهر تموز من سنة ١٧٨٨ انضم الامير جهجاه برجاله الى الامير يوسف الشهابي لمقاتلة عساكر احمد باشا الجزار ففازوا بها فوزاً مبيناً وعاد جهجاه الى بلاده .

وفي سنة ١٧٨٩ خرج على الامير جهجاه ابن عمه الامير قاسم بن الامير حيدر يريد انتزاع حكومة بعلبك من يده فطلب من الامير بشير الكبير المساعدة فلباه وارسل له عسكرًا الى زحله وامر اهلها ان يتوجهوا مع العسكر وارسل امرًا الى الامراء اللمعيين ان يشدوا برجالهم أزر العسكر المجتمع في زحلة فاطاعوا. فزحف اذ ذاك الامير قاسم بالعسكر الى بعلبك فلاقاه الامير جهجاه برجاله في ارض اللج وانتشب بينهم القتال فدُحر الامير قاسم ومن معه وارتدّ راجعًا الى زحله بعد ان سُلبت خيولهم واسلحتهم وقُبض على الامير مراد شديد اللمعي فأمر جهجاهُ بردّ اسلحته وجوادهِ وأطلقهُ مكرمًا. ولما بلغ الامير بشير انهزام عسكره جرَّد جيشًا اخر بقيادة اخيه الامير حسن ولما وصلوا الى بلاد بعلبك اخلى لهم الامير جهجاه المدينة فدخلوها ولكن ما لبثوا ان خرجوا منها لقلة الزاد فيها. ولما لم ينجح الامير قاسم بامره التجأ الى احمد باشا الجزار فامر الامير بشير ان يسعفه ثانية فوجّه الامير الى بعلبك واصحبهُ بمشايخ الدروز ورجالهم فلما وصلوا الى بعلبك خرج اليهم جهجاه الى ظاهر المدينة فهجم الامير قاسم على الامير جهجاه وهو في وسط معسكره فاصابته رصاصة قبل ان يصل اليه فخرَّ صريعًا. وكان قاسم شجاعًا كريمًا كوالده عادلاً بخلاف غيره من ذويه ولما قُتل الامير قاسم عاد العسكر الشهابي الى حيث اتى دون قتال

وفي سنة ١٧٩٤ قتل الامير جهجاه ابن عمه الامير داود وسمل اعين اخوة الامير عمر. وفي سنة ١٨٠٦ وقعت النفرة بين الامير جهجاه واخيه الامير سلطان فظاهر جمهور الحرافشة سلطانًا لاستبداد جهجاه فيهم فخنق هذا ونزح الى بلاد عكار[1] وبقي هناك الى ان اصلح ذات بينهما الامير

---

(١) كان الامير جهجاه من «القوّالين» في ذلك العصر فارسل يعاتب قومهِ بهذا القصيد الذي عثرنا عليهِ في كتاب خطي غير معروف

ما قال الخزاعي في بيات ِ   يتمعَّن بها من كان واعي

بشير الكبير سنة ١٨٠٧ فتولى جهجاه على بعلبك واعمالها الى ان توفي بعد سنين قليلة وكان بطلاً شجاعاً ومقداماً مذكوراً فحكم بعده اخوه الامير امين. وفي سنة ١٨١٩ كتب نائب دمشق الى الامير امين في طرد المشايخ الكندية من بلاده فهرب هولاء وفي سنة ١٨٢٠ سوّلت للامير نصوح ابن الامير جهجاه نفسه الخروج على عمه امين فاستنجد

ابات من النوى في سوء حال ودمع العين عالخدين ساعي
على امر وقع ما بيه حيلة وحقي راح عند اهلي وضاع
على قوم ربيتهم وبيًا خانوا وراحوا كلهم صاروا سواعي
وفيهم كل صنديدٍ مجرَّب وحق الله بالهوشي سباع
الا يا غاديًا مني وسلم عالكبار وعالصغار وعالتباعي
وسلم لي على الديره واهلها اماره مع شيوخ ومع رضاعي
وتعتَّب عليهم بالملامه وذكّرهم بايام الشناعي
ويوم كان فيه العبد حاكم ولا يعدل بحكمه ولا يراعي
ولا يرحم كبيرًا ولا صغيرًا ولا يقبل دخول ولا شفاعي
وجيته مفرّعًا عظهر ضفرا خفيفة جري مزّينة الطباع
وشفتم همتي فيهم وفعلي وعاد السيف يتلامع لماعي
ووطيت الخشوم مع الشوارب وعادوا يجون ليّ باخضاع
وصرتم ورد بين الناس زهوا وكثرتوا السحوت مع الطماعي
وفيكم ولد حيدر رام ضيمي وافتح لي فتوحًا ذو نزاع
دعيته ميتًا قبلي ببعلبك بحد السيف خليته قطاعي
وريد الحضّ منك بالشهاده وحاضر يا اخوي ان كنت واعي
في ليلة ببعلبك شفت فعلي ونهراتي كنهرات السباع
وعفت الروح عالناموس خايف دعيت لشاشهم من فوق قاع
عندي رمح من بغداد جبته وساقي لحربته سم الافاعي
انا قاصدك يا ربي والهي بجاه البيت واللي ليه ساعي
بجاه المصطفى خير البرايا تقبَّلْ يا الهي لاختضاعي
وتعطيني بشواري عليهم سيفًا مجردًا عاطول باعي
لناخذ حقنا ويًا الطلايب وندعي كل من واعي وداعي

الاميرَ بشير على طرد عمه من بعلبك فانجده بعسكر يرأسه الامير ملحم حيدر شهاب فلما علم امين بذلك فرَّ مع اخيه سلطان الى الهرمل · وعند وصول العسكر المذكور الى بعلبك وافاه الامير نصُوح وخرج معه لطرد عميه من الهرمل ففرَّ الاميران عندما علما بذلك ورجع الامير ملحم الى بلاده وعاد الامير امين الكرَّة على بعلبك ففرَّ الامير نصُوح الى زحلة · وفي تلك السنة بينما كان الامير امين في قرية بدنايل دهمه الامير نصوح باهل زحلة فانهزم الامير امين وانقلب الى بعلبك واذ رأى نصوح ان معاندة عمه لا تجديه نفعاً وان اهل البلاد لا تميل اليه لأن عمهُ احق منه بالحكم اتاه مستسمحاً منه طالباً المغفرة فطيب الامير امين خاطره ولكنه طوى قلبه على الضغينة · وبينما كان الامير نصوح نائماً في قرية مجدلون اوعز الامير امين الى مكباشي درزي عنده فخنقه ولبث الامير امين حاكماً الى ان اتى ابراهيم باشا بن محمد علي باشا المصري الى البلاد السورية وكان الامير امين لم يزل خاضعاً للدولة العلية منكراً لنفوذ المصريين فاوغر ذلك صدر ابراهيم باشا حقداً عليه فحضر بعساكره سنة ١٨٣١ الى بعلبك فاخذها دون ادنى مقاومة وفر الامير امين بعياله من مكان الى اخر فوضع ابراهيم باشا في بعلبك عسكراً وبنى لهم ثكنةً كبيرةً وجعل البلدة كنقطة حربية لجيشه نظراً لموقعها الحربي المهم وحكم بالبلدة الامير جواد الحرفوش

وفي سنة ١٨٣٢ ذهب الامير امين الى بيت الدين مستجيراً بالامير بشير فطيَّب خاطرهُ ووعدهُ صداقة ابرهيم باشا واما رفاقهُ فلم يوافقوه على ذلك وخوفوه شر استئمانه فرجع الى ما كان عليه وكانت عساكر ابراهيم باشا تطاردهُ وما زال منهزماً من مكان الى اخر الى ان لحقته يوماً فرسان الهنادي في عين الوعول شمالي بعلبك وكانوا نحوار بعماية فارس فلم يكن معه سوى ولده الامير قبلان واثني عشر فارساً فوقف

الامير امين مع الحريم وكرَّ قبلان بفرسانهِ على المنادي واخترق بسيفهِ جموعهم واعوانهُ تحمي ظهرهُ فشغل المنادي مدة حتى استوعر الامير امين في الجبل فارتدَّ ابنه اليه ولم يتمكن المنادي من اللحاق به فعادوا على اعقابهم . واما الامير امين فانه سار من هناك الى شعرة الدنادشة واودع حريمه آل دندش ثم طلبا الاستانة العلية حيث أُنزلا في ارفع منزلة ولبثا هناك الى ان زايل ابرهيم باشا سورية

ولما استولى ابرهيم باشا على بعلبك ولَّى عليها الامير جواد الحرفوش ثم عزلهُ وعين عوضه احمد اغا الدزدار فكان ذلك سبب عصيانهِ على الدولة المصرية فاخذ يحرك الفتن عليها ويجول من مكان الى مكان الى ان ادركه يوماً بقرب يبرود مايتا فارس من الاكراد ارسلهم عليه شريف باشا المصري حاكم دمشق وكان مع الامير جواد ابناء عمهِ الامراء محمد وعساف وعيسى وسعدون وثلاثون فارساً فهجم بعضهم على بعض وحمي وطيس الوغى واتى الامراء الحرافشة من ضروب الفروسية ما هو جدير بهم فارتد الاكراد وقُتل منهم احد امرائهم عجاج اغا . وذهب بعد ذلك الامير جواد الى بلاد حمص وقد تفرقت عنه اصحابهُ وبينما كان في محل يدعى الحريشة دهمتهُ كتيبة من المنادي تريد القبض عليه فملكوا عليه جسر التل المنصوب على العاصي الذي لابد له من المرور منه للتماص منهم فهجم حينئذ عليهم هجمة قسورية ففرّق جمعهم بحد الحسام وأفلت منهم بعد ان قتل بضعة فرسان وفرَّ هارباً غير انه لم يأمن الغدر ولما رأى ان العصيان لا يجديه نفعاً وان لامناص له من يد اعدائه استأمن للامير بشير وطلب اليه ان ياخذ لهُ الامان من ابرهيم باشا ولكن هذا كان يكرهه فخانه وسلمه الى شريف باشا حاكم دمشق فاماته شر ميتة

ثم عُزل احمد اغا الدزدار فعين عوضه خليل اغا وردة ثم الامير حمد الحرفوش ولما رجع ابرهيم باشا لبلاده سنة ١٨٤٠ خلف الامير حمد الامير

خنجر وكان عدوًّا لدودًا لابرهيم باشا. وفي السنة المذكورة قدم من حلب الى بعلبك عثمان باشا بثمانية الاف جندي لمحاربة العساكر المصرية وبعد ان احتلّ الشكنة التي بناها ابرهيم باشا ذهب الى البقاع. وفي تلك الاثناء جمع الامير خنجر واخوه الامير سلمان نحو اربعمائة فارس وانضموا للامير علي الّبعي واخذوا يقتفون اثار ابرهيم باشا ويغزون اطراف عسكره وبعد مناوشات عديدة ذهب الامير خنجر واخوه الى زوق مكايل ليجمع رجالاً من الثائرين على الحكومة المصرية. فلما وصل الى المعاملتين قال له بعض رفقائه خذ معك عامية غزير ونحن نذهب وناتي بالرجال اليك وساروا الى الامير عبدالله شهاب حليف ابرهيم باشا واخبروه بما كان فقصده الامير عبدالله باصحابه للقبض عليه ولما رآهم الامير خنجر مقبلين ظنّهم العامية حتى اذا دنوا منه احاطوا به ومنعوه من الهرب وقبضوا عليه وعلى اخيه وعلى ستة انفار متاولة كانوا معهما ورجعوا بهم الى غزير فامر الامير عبدالله بوضعهم في السجن وذاع الخبر في كسروان فانحدر الى غزير نحو مائة رجل من قرى كسروان والفتوح واتفقوا مع عاميّة غزير على تخليص الامير خنجر ومن معه. فارسلوا الى الامير عبدالله ان يطلق سبيلهم فأَبى فهجموا حينئذٍ على السجن وكسروا بابه واخرجوا الاميرين واصحابهما وسلموهم اسلحتهم وانحدروا الى جونية فاجتمع اليهم جماعة واتى الامير خنجر بهم الى المكلّس لهياج المتنية. وفي خلال ذلك نهض عباس باشا وسليمان باشا بالعسكر المصري قاصدين حمانا ولما وصلوا تجاه المكلّس اطلق الامير خنجر وجماعته الرصاص عليهم فارسل اليهم سليمان باشا فرقة الارناؤُط ففرّقت شملهم وفرّ الامير خنجر الى جرد العاقورة. وفي تلك الاثناء كانت فرقة من المعسكر المصري مخيمة في عيناتا من اعمال بعلبك فجمع الشيخ ابو سمرا البكاسيني اربعة الاف رجل وسار بهم الى اليمونة ثم الى عيناتا والتحم القتال بينه وبين العسكر المصري مدة ثلاثة ايام ثم دهمه

العسكر بغتةً وقتل من جماعته ستين نفراً فانهزم الى جبة بشري وجمع رجالاً من نواحيها ورجع الى عيناتا واضرم نار الوغى فانهزم العسكر المصري وقتل منه سبعون نفراً. ثم أمدَّهُ بعدئذٍ عزت باشا سر عسكر الجيش العثماني بنجدة فهجم على العسكر المصري واجلاه عن عيناتا

اما الامير خنجر فانه انضم بعد انهزامه الى عزت باشا فارسله مع عمر بك لمحاربة الامير مسعود شهاب وما برح الامير خنجر مخلصاً الطاعة للدولة العلية ومنجدًا العسكر العثماني الى ان تم اخراج ابرهيم باشا من البلاد السورية فانعمت عليه الدولة بحكم بعلبك والبقاع. وفي سنة ١٨٤١ عاد الامير امين مع ابنه قبلان من الاستانة العلية الى بيروت مصحوباً بامر شاهاني بتولي بعلبك فتوفي الامير امين بوصوله الى بيروت وكان مهاباً مطاعاً سفاكاً للدماء. فذهب ابنه الامير قبلان الى دمشق ليصادق على الامر المعطى لهُ ولابيه ولبث فيها مدة الى ان تم لهُ ذلك. وكان في احد الايام في قصر نزله فرأى الشخاصية (كالجاويشية والانفار العسكرية) يجرون مسرعين نحوه ليبشروه بذلك طمعاً في انعامه فتوهم الامير انهم يرومون القبض عليه فجنَّ من ساعته وامتطى جواده وهرب وبقي مجنوناً الى ان توفي سنة ١٨٦٤ في الثمانين من العمر

وفي السنة المذكورة حدثت الفتن بين الدروز والنصارى فتوجه الامير خنجر واولاد عمه باتباعهم الى زحلة وانجدوا اهلها وحاربوا العريان قائد الدروز في ثعلبايا فهزموه ثم جمع الدروز شملهم وزحفوا على زحلة بثمانية الاف محارب فالتقاهم الامراء واهلها وانتشب القتال بين الفريقين فانهزم الدروز شر انهزام ورجع الامير خنجر الى بعلبك وبقي حاكماً الى سنة ١٨٤٢ حيث انطلق الى الشام الامراء بشير وسعدون وشديد وفدعم واخرجوا امراً بقائمقامية بعلبك للامير حسين بن الامير قبلان واذ كان صغير السن اقاموا لهُ وصياً الامير سعدون. وبعد سنة توفي هذا فاستولى

على اعنة الاحكام الامير حمد المار ذكره سابقاً وبقي حاكماً الى سنة ١٨٤٥ حيث ذهب الامير محمد الى دمشق واخذ امراً بولايته على بعلبك. ثم اتى اليها ومعه محمد اغا بوظو وعساكر من الاكراد يبلغون ٥٠٠ فارس لاعانة الامير محمد على طرد ابن عمه فاتوا الى قرية بر الياس من اعمال البقاع ولما بلغ ذلك الامير حمد جمع جيشاً من اهالي البلاد وذهب بهم لملاقاة الامير محمد واتى قرية تمنين التحتا ولبث فيها ثلاثة ايام حتى بلغهُ أن الامير محمد وبوظو خرجا من بر الياس بجموعهما الى بعلبك ليتملكاها فقابلهم الامير حمد بعساكره عند قرية الدلهمية فهجمت الرجال واشتد القتال وسالت الدماء ونقهقرت فرسان الامير حمد في باديء الامر فأنجدهم حالاً بالمشاة وكانت اذ ذاك ساعة هائلة وتم الفوز للامير حمد وولى عسكر الاكراد هارباً بعد ان ترك نحو ستين قتيلاً في ساحة القتال. وقتل من فريق الامير حمد ثلاثة فقط منهم الشيخ شبلي حيدر ووقع منهم عدة جرحى ورجع الامير حمد ظافراً الى بعلبك ولبث على منصة الاحكام ستة اشهر. غير ان محمداً مازال يسعى في دمشق حتى اخذ امراً ثانياً بحكم بعلبك فهرع الامراء يوسف بن حمد وشديد وخنجر الى الشام ساعين بافساد ما نالهُ محمد فشاءَت حكمة الحكومة السنية تجزئة بعلبك وشرقي البقاع الى مقاطعات صغيرة يتولاها هولاء الامراء

وفي سنة ١٨٥٠ حدثت الامير محمد نفسهُ بالخروج عن طاعة الدولة العلية فعصى وجمع عسكراً من بلاد بعلبك ووادي العجم فارسلت عليه اذ ذاك الدولة عسكراً بقيادة مصطفى باشا فانهزم امامه الامير الى قرية معلولا فتحصن بها مع اخوته الامراء عساف وعيسى وخليل واولاد عمه آل حسن (فخذ من الحرافشة) فحصرتهم العساكر الشاهانية الى ان دخلتها بوسيلة من اهاليها فهرب الامير خليل واولاد عمه وبقي محمد وعيسى وعساف فتحصنوا ضمن كهف هنالك ولبثوا محاصرين فيه لا يذعنون للقوة فهجمت

اذ ذاك العساكر وقتلت عيسى واسرت محمد وعساف . ثم حضر مصطفى باشا قائد العساكر الشاهانية بثلاثة الاف جندي الى بعلبك ودخل المدينة وقد طوّقتها العساكر فاقبل عليه الامرا مسلمين فامر بالقبض عليهم وارسل زعماءهم الامراء حمد وابنه يوسف وخنجر وسلمان فاعور وشديد وسليمان الى الشام ومن هناك نفوا مع الامير محمد وعساف الى جزيرة كريت فاستتبت الراحة وتولى قائمقامية بعلبك تيمور باشا

وكان قد بقي في البلاد فريق من الحرافشة لم تطله يد مصطفى باشا منه الامير محمود ابن الامير حمد المذكور انفاً فعصي واخذ ينهب البلاد الى ان أمَّنَتهُ الدولة فاتى بعلبك مطيعاً . ثم عُزل تيمور باشا واتى عوضه فرحات باشا وهو الذي رمَّم الجامع الحالي للسنَّة وهو جامع قديم جدد بناءه السلطان قلاوون سنة ٦٥٢ هجرية . وفي سنة ١٨٥٢ م قتل الامير محمود في قرية العين واُتهم ابن عمه الامير سلمان اخ الامير خنجر بقتله فجدَّت الحكومة في طلبه ففرَّ وجمع اليهِ بعض الاتباع واخذ يطوف البلاد مخلاً بالراحة العمومية . وفي السنة ذاتها عزل فرحات باشا وعُيّن القومندان صالح زاكي بك وكيلاً للقائمقامية واتى مصحوباً بعسكر شاهاني . وفي مدة وكالته ذهب الامير منصور عم الامير محمود والشيخ احمد حمية الى الشام واخذا امراً بقيادة مايتي خيال بعد ان تعهدا للدولة بالقبض على الامير سلمان قتيلاً او اسيراً فصار الامير سلمان ينهب البلاد وجمع اليه خمسين فارساً يأتمرون بامره . واخذ الامير منصور واحمد حميه يطاردانه الى ان التقيا بهِ يوماً في اراضي قرية طاريا فتناوشوا هناك واسفرت المعركة عن انهزام الامير منصور ومن معه . وعرف القومندان صالح بك بذلك فسير العساكر متتبعاً اثار سلمان ففرَّ هذا الى القرى الشمالية ورجع العسكر الى بعلبك . واذ رأى سلمان ان العصيان لايجديه نفعاً وان الدائرة لا بدَّ ان تدور عليه خضع للدولة العلية في الشام واسترسل الى الطاعة في سنة ١٨٥٤ فتكرمت

عليه بقيادة مايتي خيال وشرفته بلقب «سرهزار» وكان قد تولى القائمقامية وقتئذ مصطفى راشد افندي. وفي السنة ذاتها قتل الامير منصور غدرًا احمد حميه اذ قد ظهر لهُ أنهُ هو قاتل الامير محمود لا الامير سلمان وفي السنة المذكورة هرب الامير محمد المشهور واخوه عساف من منفاهما في جزيرة كريت واتيا بلاد بعلبك ولبثا مستترين الى ان استرضيا الدولة وفي سنة ١٨٥٥ حرق اهالي زحلة قرية بريتال بسبب قتيل لهم

ثم أُبدل مصطفى راشد افندي بمحمد اغا ثم هذا بعبد الرحمن بك ثم بعبد الله بك العظم. وفي ٨ تشرين الثاني سنة ١٨٥٨ كانت موقعة الحديدية وذلك ان محمد الخرفان احد امراء قبيلة الموالي وقع بينه وبين عرب الحديدية عداوة شديدة أُجلت عن انهزامه من وجه اخصامه الذين تتبعوا اثاره حتى قرية القاع على حدود بلاد بعلبك فاستنجد اذ ذاك محمد الخرفان الامير سلمانًا عليهم فلباهُ وجمع الجموع العديدة من جميع بلاد بعلبك وسار بهم لملاقاة العدو الذي سار امامه حتى مقام زين العابدين على مسافة ثلاث ساعات من حماه وابتدأت الموقعة هناك في ٨ تشرين الثاني وهجم بعضهم على بعض واقتتل الفريقان قتالا شديدًا انكسرت على اثره عرب الحديدية وقد قتل منهم نحو ثلاثمائة فانهزموا غير انهم عادوا فلموا شعثهم وقد اشتغلت عساكر سلمان بالنهب والسلب واذا بجموع الاعادي قد فاجأتهم بعزم شديد مستميتين واثخنوا فيهم الضرب والقتل فانهزمت عساكر سلمان شر هزيمة وتبعتهم العربان الى مدينة حماه ورجع سلمان وجيوشهُ الى بعلبك منهزمين وقد قُتل منهم نحو تسعين نفرًا

ثم عُزل عبدالله بك العظم واتى عوضه فارس اغا قدرو وفي ايامه عصي الامير سلمان على الدولة ثانيةً بعد وقايعهِ مع الحديدية فارسلت حسني باشا لكبحه والقبض عليه. ففرَّ الامير وذهب يومًا الى زحلة فنام فيها ليلتين فاعلم اهلها حسني باشا بهِ فاتي وقبض عليه وذلك في ١٥ شباط

سنة ١٨٦٠ واتى بهِ الى بعلبك ومنها ارسله الى الشام فسُجن. فلم يلبث ان جمع اخوهُ الامير اسعد وابن عمهِ الامير محمد المذكور سابقاً جمعاً من اتباعهما وهجما في احدى الليالي عند انبثاق الفجر على بيت القائمقام فارس اغا قدرو يريدان القبض عليه ولكنه اختبأ فلم يجداه فقتلا اربعةً من اتباعه ونهبا جميع ما تملكه يداه من الاسلحة والخيل والنقود وفرا الى قرية نحلة واخذا ينهبان ويقلقان الراحة. واما فارس اغا قدرو فانه سار الى الشام ثم رجع مصحوباً بخمسماية جندي وقائدهم حسن اغا اليازجي اقامهم على توطيد الامن والراحة

وكانت في السنة المذكورة فتنة الدروز والنصارى فتوجه نفر من نصارى بعلبك الى زحلة فنجدوا اخوانهم وحضروا بعض المعارك القليلة الاهمية ثم رجعوا الى بعلبك لحماية عيالهم وجلت نصارى بعلبك جميعها بعيالها الى قرية بشري من اعمال جبل لبنان وقد حافظ عليهم حسني باشا وفارس اغا في مسيرهم ولم يقلقهم مسلمو البلد بل اكرموهم غاية الاكرام فلم يحدث بحمد الله ما يقلق البال الا ان محلتهم نهبها عسكر اليازجي ولما سكن هذا الاضطراب الناشيء عن تلك الفتنة المشومة عُوِض للنصارى ما خسروه بنهب امتعتهم واشيائهم

ثم عزل فارس اغا قدرو واتى عوضهُ محمد راغب افندي وفي ايامه استأمن الامير اسعد للدولة العلية فعينته ماموراً على جمع المسلوب ثم جعلته يوزباشياً على مائتي خيال. واما الامير سلمان فبعد ان اقام في السجن نحو سبعة اشهر هرب منه وامَّ وطنه واختفى ثم شاع خبره فطلب العفو من حسني باشا فأمَّنهُ الا انه عاد فعصي ثالثةً وذلك لانه طُلب من الدولة ليذهب مع جردة الحج الشريف بفرسانه فأبى وخاف حوادث الدهر فعصي. فحضر حسني باشا لجمع القرعة العسكرية (وهي اول قرعة جرت في بلاد بعلبك) فاستأمن اليه الامير سلمان ثم عاد فعصي مع

اخيه الامير اسعد للمرة الرابعة باغراء ذويه واتباعه وذلك سنة ١٨٦٤
وسلب من اهالي يونين خمسة الاف غرش ثم جمع اتباعه واخذوا يطوفون
البلاد سالبين ناهبين فركب حسني باشا بعسكره واقتفى اثرهم فالتقى بهم
في اراضي قرية الشعيبة فامر العساكر الشاهانية فحملت عليهم وردتهم على
اعقابهم فولوا هاربين طالبين النجاة حتى وصلوا الى قرية الفاكية وحسني
باشا يقتصُّ اثارهم . وبينما كانوا في عيون ارغش يتناولون الطعام اذا بالعساكر
المظفرة قد دهمتهم . فجرت بينهم معركة اسفرت عن انهزام العصاة واسر
الامير حسين بن الامير قبلان وياغي بن موسى ياغي الفارس الشهير
وخادمهم المخلص فأُتي بهم الى بعلبك حيث شُنق فيها ياغي بعد اربعة
ايام من يوم المعركة وذلك في سنة ١٨٦٤ . ثم قُبض على الامراء فارس
وتامر وداود وارسلوا مع الامير حسين الى الشام ونفي الجميع الى مدينة
ادرنه مع حريم سائر آل حرفوش . واما الامير سلمان واخوه الامير اسعد
فما زالا فارين حتى سئم ذلك اسعد فاطاع وحده فأُرسل منفياً الى ادرنه
وانحاز الامير سلمان الى يوسف بك كرم الذي كان عاصياً وقتئذ في
جبل لبنان فصار من اكبر انصاره ثم افترق عنه سنة ١٨٦٦ وذهب الى بلاد
حمص فارًّا فوشى بمقرهم المرحوم هولو باشا العابد رجل يسمى حسن درويش
وكان قد رباه الامير سلمان من صغره ففاجأه بالعساكر وقبض عليه وارسله
الى دمشق فسُجن وذلك سنة ١٨٦٦ وتوفي في السجن بعد ثلاثة ايام من
حبسه وجرى ذلك في ايام القائمقام محمد بك اليوسف . وهكذا كان انقراض
حكم هذه العائلة الشهيرة التي مثَّلت دورًا مهماً في تاريخ بعلبك بعد
ان حكمت فيها نحو اربعة قرون وبقي من هذه العائلة بعض افراد ساكنين
في القرى لا اهمية لهم

وتولى بعلبك بعدئذٍ علي باشا وشاكر بك شقيق كامل باشا ونجيب
بك بن بدرخان باشا سنة . وفي ١٧٨١ سُمي صالح باشا قائمقاماً عليها وفي اوائل

سنة ١٨٧٢ عُزل وعُيّن بدلاً منه رسول نفعي افندي وفي اذار من السنة ذاتها عزل هذا ووكل بالقائمقامية ادهم افندي الى ان اتى في شهر ايار آية الله بك نجل صبحي باشا · وفي نيسان سنة ١٨٧٣ تبادل قائمقاما بعلبك والبقاع مركزيهما فاتى قائمقام البقاع عبد الرحمن ناجم افندي الى بعلبك وكان شاعرًا ذا المام بالعربية وعين آية الله قائمقاماً على البقاع · وفي سنة ١٨٧٤ خلفه مصطفى حيدر افندي · وفي سنة ١٨٧٥ عبد الوهاب افندي البغدادي وسنة ١٨٧٦ حليم باشا · وفي اوائل سنة ١٨٧٧ صادق بك شقيق كامل باشا وفي اذار سنة ١٧٧٨ عثمان شوقي افندي · وفي سنة ١٨٧٩ احمد بك شريف · ثم اتاها ثانيةً عثمان شوقي افندي · وفي ٥ شباط سنة ١٨٨٠ خلفه محمود بك اليوسف الذي قام بعدَّة اصلاحات منها انه انشأ طريق العجلات بين بعلبك والمعلقة واصلح المتنزه الشهير المعروف براس العين ومدَّ اليه طريق عربات تصله بالبلد وغرس على جانبيه شجر الصفصاف الى غير ذلك من الاصلاحات التي تركت له ذكرًا حسناً · وفي ايار سنة ١٨٨٣ اقام باعباء القائمقامية احسان بك · وفي تشرين الاول من السنة ذاتها عُزِل وعُيّن وكيلاً لها سليمان خلوصي افندي وفي ٣١ كانون الثاني سنة ١٨٨٤ اتى مصطفى حكمت افندي القناواتي وقد بنى في خلال مدته دارًا جديدة للحكومة · وبايامه انسلخت ست قرى عن قضاء بعلبك والحقت بقضا البقاع · وفي ١٣ تموز سنة ١٨٨٤ عاد اليها صادق بك ثانيةً · وفي تشرين الاول سنة ١٨٨٥ نقل صادق بك الى صيدا وعُيّن لبعلبك جمال بك

وفي نيسان سنة ١٨٨٧ خلفه محمود بك بوظو ولم يلبث ان بُدّل في شهر آب من تلك السنة بحسن تحسين افندي ثم عزل في كانون اول سنة ١٨٨٩ وخلفه عبد القادر افندي وفي شباط سنة ١٨٩٣ عاد لبعلبك حسن تحسين افندي ثانيةً وبقي قائمقاماً فيها الى ان توفي في ٢٧ ايار سنة ١٨٩٤

فعيّن مكانه نوري بك في ايلول من تلك السنة وفي سنة ١٨٩٥ اتى عوضه رضا بك فاقام سنة ورقي الى متصرفية منتشا وفي تشرين الثاني من سنة ١٨٩٦ عين لبعلبك حسين عوني بك . وفي مدته زار بعلبك الامبراطور الالماني جلالة غيليوم الثاني وقرينته الامبراطورة اوغسطا فيكتوريا في ١٠ تشرين الثاني من سنة ١٨٩٨ وكان بمعيته عدد عديد من كبار رجال دولته ووزراء الدولة العلية ومشيريها الفخام فلبث في بعلبك ليلة وسافر في اليوم التالي وعلى اثر زيارته امر بحفر القلعة والتنقيب عن العاديات فيها . وفي سنة ١٨٩٩ تبادل حسين عوني بك وقائمقام جبله شهاب بك المأمورية وفي سنة ١٩٠٠ بُدّل هذا برضا بك الصلح . وفي ٣٠ ايلول من سنة ١٩٠١ هطل في بعلبك سيل عرم خرب سوقها وقوّض عدةً من بيوتها وقتل اربعة انفار وكثيراً من المواشي . وفي سنة ١٩٠٢ نُقل رضا بك الصلح الى متصرفية جبل بركات واتى عوضاً عنه يوسف كامل بك بن بدرخان باشا . وفي بدء سنة ١٩٠٤ نقل الى حيفا وعين لبعلبك مصطفى بك وهو القايمقام الحالي

الفصل الخامس

في

اساقفتها الكاثوليكيين ومن نبغ فيها من القديسين والرجال المشهورين

اساقفتها : لم يأتِ التاريخ الكنسي على اشارة تفيد الزمان الذي فيه اتّخذت بعلبك مقرًّا للاسقفية ولم يحدّث عمن تولاها من الاساقفة في القرون الاول للمسيح غير ان السنكسار اليوناني يذكر انها كانت كرسي اسقفية للبار تاوضوطوس الذي هدى الى الايمان المسيحي القديسة افدوكية البعلبكية في اوايل القرن الثاني للمسيح وذكر التختيكون اسم اسقف لها يدعى انتيموس استشهد في زمن مكسيميانوس قيصر (٣٠٦م) لانه لم يشاء ان يكذب

غير أن اوسابيوس القيصري يخالف ذلك ويقول في تاريخه بان قسطنطين الكبير بنى في بعلبك كنيسةً وجعلها كرسي اسقفية وكان الاسقف الاول فيها لعهده . ففي كل حال تعدُّ بعلبك من اقدم الاسقفيات في العالم

وقد ذكر السنكسار اللاتيني واليوناني من اساقفتها القديس نونوس كرجلٍ مشهور بالفصاحة والخطابة . وقد كان من رهبان دير تابنًّا على عهد الامبراطور مركيانوس في القرن الخامس وانتخب اسقفاً لمدينة الرها بدلاً من اسقفها ايباس المعزول . فلما عُقد المجمع الخلقيدوني المسكوني أُعيد ايباس الى كرسيه ونقل نونوس الى بعلبك فساس رعيته بغيرة

ومحبة وردَّ الى الايمان المسيحي عدداً غفيراً من الوثنيين بتأثير عظاته وقوة حجته . ثم حضر مجمع الاساقفة العام الملتئم في انطاكية بامر البطريرك مكسيميانوس . وهناك أثَّر وعظهُ البليغ عن الدينونة العامة بالحادثة المشهورة بيلاجيا فعادت الى التوبة في سنة ٤٥٣ واكملت حياتها ببر وتقوى حتى كرمتها الكنيسة كقديسة

وذكر التاريخ ايضاً اسقفها يوسف الذي حضر مجمع انطاكية المعقود برياسة البطريرك القديس دومنوس في زمن الامبراطور لاون

وكان في سنة ١٦٧٣ اسقفاً عليها انطونيوس وقد امضى عقيدة ايمان البطريرك الانطاكي ناوفيطوس ضد مذهب كلفينوس

وما يعرف بعد ذلك عن اساقفتها الكاثوليكيين هو ما كان بعد الانشقاق الاخير نأخذه منه شيئاً عن تاريخ طائفة الروم الملكيين :

في سنة ١٦٨٠ كان اسقفها برثانيوس الذي شهد مجمع طرابلس في عهد البطريرك كيرلّس الخامس . وفي سنة ١٧٢٤ سُقّف عليها الخوري مكاريوس البانياسي ولما لم يتفق مع الرعية على العقيدة نفرت منه وتمَّ لها ابعاده بسعي الامير اسماعيل الحرفوش فقام بخدمة الرعية القس مكسيموس الحكيم (الذي صار فيما بعد بطريركاً) . وفي سنة ١٧٥٢ سقَّف البطريرك كيرلّس عليها الخوري موسى البيطار الدمشقي من الرهبنة الخناوية وسمي باسيليوس وتوفي سنة ١٧٦٠ . وبعد سنة سقف عليها الخوري فيلبس من الرهبنة الحناوية لعهد البطريرك مكسيموس الحكيم وتوفي في ٢٢ تموز سنة ١٧٧٧ وفي سنة ١٧٨٥ سُقّف عليها الخوري بناديكتوس التركماني الطبيب الحلبي من الرهبنه المذكورة وتوفي سنة ١٨٠٨ في قرية الخنشاره . وفي سنة ١٨١٠ سُقّف عليها الخوري اكليمنضوس المطران البعلبكي من الرهبنة الحناوية بعهد البطريرك اغابيوس مطر ولكنه رحل عنها الى قاره سنة ١٨١٤ بسبب ضغط بني الحرفوش على آله . وفي سنة ١٨٢٠ هرب الى

زحله ثم الى فرنسا بسبب الاضطهاد الذي كان حاصلاً على الطائفة وهناك دشن في مرسيليا كنيسةً لابناء ملته بنيت بسعي السيد مكسيموس مظلوم ثم رجع الى يبرود في سنة ١٨٢٢ وتوفي فيها في ٣ تموز سنة ١٨٢٧ ودفن في كنيستها • وفي ١١ كانون الاول من السنة ذاتها سام البطريرك اغناطيوس القطان الخوري استفانوس عبيد من الرهبنة الحناوية وسمي اثناسيوس فبنى في بعلبك كنيسة كتدرائيةً للقديسه بربارة في سنة ١٨٣٠ بدلاً من بيت صغير استعمله مسيحيو القصبة مصلىً عوضاً عن كنيسة البربارة التي كانت في الهيكل المستدير والتي هجرها المسيحيون لخرابها بالزلزلة ولانتقال محلتهم الى حيث هي الان وبنى كنيسة في قرية الراس باسم القديس ايليان واقتنى بعض املاك للكرسي وتوفي في سنة ١٨٥٠. فلما علم البطريرك مكسيموس مظلوم الشهير بوفاته سار الى بعلبك ونقل الى كرسيها المطران ملاتيوس فندي الرشيدي من الاكليروس البطريركي وكان اسقفاً على القلاية الاورشليمية وفي سنة ١٨٧٦ سار الاسقف الموما اليه بمعية البطريرك غريغوريوس يوسف الى رومة وحضر الاحتفال بعيد القرن التاسع عشر لاستشهاد هامة الرسل ثم سار معه الى فرنسا وقابل الامبراطور نابليون الثالث وتوفي في ١٠ ايلول سنة ١٨٦٩ في بعلبك. وكان الاسقف ملاتيوس محبوباً ومكرماً من الجميع لأُنسهِ ودعتهِ وقد اشتهر بحسن الصوت ونغمتهِ ولذتهِ حتى اكَّد كثيرون بانه لم يماثلهُ في عصرهِ احدٌ في جودة الصوت وحسن الايقاع والانشاد • وقد اعتنى في مدة اسقفيته بتحسين الدار الاسقفية وبنى داراً اخرى وبعض حوانيت واقتنى خاناً وغيره من الاملاك ومات مخلفاً ذكراً صالحاً

وفي ١٧ تشرين اول سنة ١٨٦٩ سُقِّف على كرسيها الخوري باسيليوس ناصر من الاكليروس البطريركي وبارح حالاً كرسيَّهُ الى رومة مع البطريرك غريغوريوس يوسف لينتظم في سلك اباء المجمع الفاتيكاني

وفي ٥ تموز من سنة ١٨٧٠ آب من رومة الى بعلبك لاعتلال صحته وفي سنة ١٨٧٢ نال البراءة السلطانية والوسام المجيدي. وفي سنة ١٨٧٧ توفي المطران اغابيوس الرياشي اسقف بيروت ففُوّضت اليه ادارة تلك الابرشية فقام بمهامها سنة ونصف. وفي سنة ١٨٨١ زار الاراضي المقدسة الارشيدوق رودلف ولي عهد النمسا فأُنيب المطران باسيليوس عن سائر الملة الملكية بتقديم واجبات التهاني لسموه. وفي ايلول سنة ١٨٨٥ زار البطريرك غريغوريوس بعلبك بينما كان اسقفها مريضاً في دمشق فنعي للبطريرك في السابع والعشرين من ذلك الشهر وقد كان متضلعاً في العلوم متوقد الذهن قوي الذاكرة

وفي ١٤ اذار من سنة ١٨٨٦ سُقف عليها حضرة الارشمندريت اغناطيوس معقد من الرهبنة المخلصية ودعي جرمانوس وفي تلك السنة أُنعم عليه بالوسام المجيدي الثالث. وفي شهر اب من سنة ١٨٩٣ استقال من كرسيه لدواعٍ صحية فاقيل وفوضت اليه اسقفية اللاذقية شرفاً. وفي ٢٩ اذار سنة ١٨٩٦ سقَّف المرحوم البطريرك غريغوريوس على كرسيها حضرة الايكونوموس اغابيوس معلوف من الرهبنة الحناوية. فما كاد يتولى مهام الاسقفية حتى باشر بهمة لا تعرف الكلال تحسين الابرشية بعد ان عبثت بها يد الاهمال فبنى عوضاً عن الكنيسة الصغيرة التي انشاها المطران اثناسيوس كنيسة كاتدرائية تُعدّ من اوسع الكنائس في سورية وشيّد داراً اسقفية وابنية جميلة على الشارع العمومي في القصبة تحسب من محسناتها وجدّد جملة اوقاف للكرسي فضلاً عما بناه من الكنائس في قرى العين والراس والجديدة وايعات والحدث وما انشأه من المدارس في كثير من القرى

وقد اشتهر باخلاصه وصدق عبوديته للعرش العثماني فنال تعطفات الذات العلية حين تشرف بالمثول بين يدي عظمتها في اثناء زيارته الاستانة

بعية المثلث الرحمة البطريرك بطرس الجريجيري في سنة ١٨٩٩ وانعم عليه وقتئذٍ بالوسامين العثماني والمجيدي من الرتبة الثانية · وتوجه بعدئذٍ الى رومة في سنة ١٩٠٠ حيث انهى بحذقه ودرايته المشكل المعلوم بين المأسوف عليه البطريرك والاساقفة مما أناله حظوةً واعتبارًا في عين امام الاحبار البابا لاون الثالث عشر · وعاد بعد ذلك الى ابرشيته لاكمال مشروعاته الخيرية وفقه الله لما فيه تجده وخير شعبهِ ورعيتهِ

قديسوها

«القديسة اودكسيًّا» : ولدت في بعلبك في اواخر القرن الاول للمسيح من والدين وثنيين وفحصت مليًّا حقايق الديانة المسيحية فاعتنقت الايمان بعد ان ارتشدت باقوال وتعاليم اسقف المدينة القديس ثاوضوطوس وقبلت العماد في السنة المائة والواحدة · وفي ذلك الحين اشهر الامبراطور تراجانوس اوامره الصارمة باضطهاد المسيحيين فقبض عليها والي المدينة فينجانسيوس وامر بقطع رأسها

وروى السنكسار اللاتيني ترجمة حياتها بانها كانت سامرية وسكنت بعلبك واشتهرت بالخلاعة ثم اهتدت وتابت على يد مسيحي يدعى جرمانوس وعمدها الاسقف ثاوضوطوس المذكور انفًا وثبتت في ايمانها المسيحي فاضطهدها والي المدينة اوريليانس وخلفه يوجينس ففعلت بهم العجائب الباهرة ثم اتى فينجانسوس فقتلها سرًّا في اليوم الاول من شهر اذار في السنة الرابعة عشرة من القرن الثاني · وتعيد لها الكنيسة في ذلك اليوم

« القديس كيرللس الشماس والعذارى الشهيدات» : كان القديس

كيرلاس شماساً انجيلياً في هذه المدينة على عهد قسطنطين الكبير . فحطم بموجب امره القيصري اصنام الوثنيين وقفل معابدهم واكتسب بغيرته وارشاده عدداً وافراً منهم الى الايمان بالمسيح . فلما ملك يوليانس العاصي الوثني امر باضطهاد المسيحيين فثار شعب المدينة حنقاً على القديس كيرلاس لما فعله باوثانهم وقتلوه واتصل بهم الرجز والبغض الى ان فتحوا جوفه واخرجوا كبده واكلوه نيئاً . ولم يكتفوا بذلك بل هجموا على دير للعذارى بقرب بعلبك فاخذوهنَّ الى ساحة المدينة وعروهنَّ من ملابسهنَّ وعذبوهنَّ العذابات المبرحة ثم قطعوا رؤوسهنَّ واخرجوا احشاءهنَّ الطاهرة وخلطوها بدقيق الشعير وطرحوها غذاء للخنازير . وتعيد الكنيسة لاستشهادهنَّ في ٥ انيسان

رجالها النابغون

«كالينيكوس البعلبكي» : لم يذكر التاريخ السنة التي ولد فيها هذا الفيلسوف ولكن الراجح انه ولد في القرن السادس للمسيح . وقد خدم في دار القياصرة وكان من اجل المهندسين والكيماويين قدراً . وقد اخترع النار اليونانية المشهورة وهي حرّاقات مركبة من النفط والكبريت والقطران وغيرها من المواد المتفجرة فكانت اذا استقرت على الماء لا تطفى واذا اصابت مركباً احرقته او جيشاً اضرّت به . وقد اكثر اليونانيون من استعمالها في الدفاع عن بلادهم والقسطنطينية فنجحوا ولم يبيحوا بسر صناعتها لاحد حتى فقدت ولم تعرف المواد التي تركبت منها

«المؤذن البعلبكي» (لم نعلم ما اسمه وهذا لا يمنع من ايراد طرف من خبره) كان المؤذن البعلبكي شهيراً بحسن الصوت ونغمته ولذته ولذلك اصطفاه مروان اخر خلفاء بني أُمية لنفسه وجعله من خواصه . فلما زال امر مروان قبض

على ذويه وفيهم عبد الحميد الكاتب البليغ المشهور والمؤذن البعلبكي وسلاَّم الحادي وأُتي بهم الى ابي جعفر المنصور الخليفة الثاني من العباسيين فهمَّ بقتلهم جميعاً . فقال سلاّم استبقِ يا امير المومنين فاني أُحسن الحداء قال وما بلغ من حدائك . قال تعمد الى إبلٍ فتظمئُها ثلاثة ايام ثم توردها الماء فاذا بدت تشرب . فعت صوتي بالحداء فترفع رؤوسها وتدع الشرب ثم لا تشرب حتى اسكت . فامر الخليفة بابلٍ ففعل ذلك الامر كما قال فاستبقاه واجازه . فقال البعلبكي استبقِ يا اميرالمومنين فاني مؤذن منقطع النظير. فقال وما بلغ من اذانك . فقال تأمر جاريةً فتقدم طستاً وتأخذ بيدها ابريقاً وتصبُّ الماء على يديك فابتدئُ اذ ذاك بالاذان فتدهش و يذهب عقلها اذا سمعت اذاني حتى تلقي الابريق من يدها وهي لا تشعر فامر المنصور الجارية ففعلت ذلك واخذ البعلبكيُّ بالاذان فكان حالها كما وصف فاستبقاه ووهبهُ الجارية . فقال عبدالحميد استبقِ يا امير المومنين فاني فرد الدهر بالكتابة والبلاغة . فقال ما اعرفني بك انت الذي فعل الافاعيل وعمل بنا الدواهي ثم امر فقُطعت يداهُ ورجلاهُ وضرب رأسه

«قسطا بن لوقا» :هو الحاسب الفيلسوف . كان طبيباً حاذقاً نبيلاً منجماً عالماً بالهندسة والحساب توفى سنة ٩٠٨م وكان نسطورياً . وقد ذكر له ابن ابي أُصيبعة في كتابه عيون الانباء في طبقات الاطباء ما ينيف عن الثانية وثلاثين تاليفاً وهي : كتاب في اوجاع النقرس . كتاب في الروايح وعللها . كتاب في الاغذا كتاب جامع في الدخول الى علم الطب . كتاب في الاستقصّات . كتاب في السهر . كتاب في النبيذ . كتاب في العطش كتاب في القوة والضعف . كتاب في الاغذية كتاب في النبض ومعرفة الحميّات والبحرانات . كتاب في علة موت الفجأة . كتاب في الحذر وانواعه كتاب ايام البحران . كتاب في الاخلاط الاربعة . كتاب في الكبد .

رسالة في اسباب الريح · كتاب مراتب قراءة الكتب الطبية · كتاب في تدبير الابدان · كتاب في رفع ضرر السموم · كتاب في المدخل الى علم الهندسة · كتاب اداب الفلاسفة · كتاب الفرق بين النفس والروح · كتاب في الحيوان الناطق · كتاب في الجزء الذي لا يتجزاء · كتاب في شكل الكرة والاسطوانة · كتاب في الهيئة وتركيب الافلاك · كتاب في حساب التلاقي على جهة الجبر والمقابلة · كتاب في العمل بالكرة النجومية كتاب في عمل الآلة التي ترسم عليها الجوامع ويعمل منها النتايج كتاب في المرايا المحرقة · كتاب في الاوزان والمكاييل · كتاب في السياسة · كتاب في الارسطون · كتاب المدخل الى المنطق · شرح مذهب اليونانيين · كتاب في سلوك كتاب اقليدس · كتاب المدخل الى علم النجوم · كتاب الفردوس في التاريخ وغير ذلك مما هو مذكور في عيون الانباء

« الشيخ بهاء الدين محمود بن محمد » : خطيب مدينة بعلبك وشيخ البلاد الشامية عاش في القرن الثامن للهجرة وذكر عنه صالح بن يحيي مؤلف تاريخ بيروت بانه اشتهر بحسن الخط وكتابة المنسوب الفايق وقلم الطومار وقد كتب عليه عدة من امراء بني الغرب التنوخيين[١]

« شهاب الدين احمد بن الصلاح البعلبكي » : الطبيب المشهور ذكره صالح بن يحيي مؤرخ بيروت وانه صنف للامير ناصر الدين الحسين ابن سعد الدين خضر امير الغرب التنوخي (٧٦٨ ه الموافقة ١٢٦٩ م — ٧٥١ ه الموافقة ١٣٥٠ م) مختصراً في حفظ الصحة سماه تعديل الاسباب الضرورية[٢]

---

(١) المشرق ١ ص ٨٥٢

(٢) المشرق ١ ص ٨٥٢

وقد ولد في بعلبك جماعة من مشاهير العلماء والفقهاء منهم « الامام الاوزاعي » امام اهل الشام في عصره · واسمه ابو عمر عبد الرحمن بن يحمد الاوزاعي · ولد ببعلبك سنة ٨٨ للهجرة ونشأ بالبقاع وتوفي في بيروت سنة ١٥٧ وضريحه مشهور فيها · ومنهم « تقي الدين المقريزي » المؤرخ المشهور ولد في بعلبك سنة ٧٦٠ هجرية — ١٣٥٨ م واستوطن مصر وتوفي سنة ٨٤٥ هـ — ١٤٤١ م

ونبغ منها « علاء الدين بن معبد » وهو الذي سوَّى الاقطاعات في سوريه في زمن الناصر محمد بن قلاون سنة ٧١٣ هجرية · وكان من اولاد التجار ببعلبك فترقى الى ان صار امير طبلخاناة وعُهد اليهِ روك البلاد

آل مطران

هم اسرة كبيرة كاثوليكية المذهب قديمة النسب هاجرت من زمن بعيد من حوران الى الشام ثم توطنت بعلبك ولم تزل فيها من اربعمائة سنة · وقد اشتهر منها رجال شهد لهم بالنبل والفضل منهم العالم الشهير والخطيب المصقع « الخوري يواكيم المطران » وهو يوسف بن موسى المطران ولد سنة ١٦٩٦ في بعلبك ودخل الرهبنة الحناوية في ٧ حزيران سنة ١٧٣١ وسمي يواكيم واخذ العلم عن العلامة الشماس عبد الله زاخر وخدم الانفس في حلب وحمص وبعلبك وبعُدت شهرته بمواعظهِ البليغة الزاجرة ومعارفه الغزيرة وله عدة مصنفات منها كتاب الايصاغوجي في المنطق وكتاب الايضاحات المنطقية وهو كبير الحجم · وكتاب التكميل · وكتاب منارة الاقداس في تفسير القداس وهو مطول · وكتاب مواعظ على احاد واعياد السنة كلها وفصول الانجيل وغير ذلك من المؤلفات · وكان رحمهُ الله غزير المادة حسن البيان واسع الاطلاع متوقد الذهن خطيباً بليغاً تقياً ورعاً · توفي في عكا سنة ١٧٧٢

ومنهم « اكليمنضوس المطران » اسقف بعلبك و بلاد الشرق وقد مرَّ ذكره . ومنهم « يوسف المطران » بن ابراهيم بن ميخائيل بن نقولا المطران الذي كان من اعظم اخصاء الامير جهجاه الحرفوش . وكان مدبرًا له يستنير برأيه المسدَّد . وكان اخوه « ناصيف » امينًا لمال المقاطعة وكاتبًا للامير . وكان يوسف رجلاً ذا بأس ووقار وكثيرًا ما كان يردع افراد الاسرة الحرفوشية عن التعديات التي كانوا يجرونها فاكتسب بذلك ثقة الاهالي وتوفي في سنة ١٨٥٠ . وهكذا قام ابنه « حبيب باشا مطران » ومشى على الخطة التي رسمها له ابوه . ومن ترجمته رحمه الله انه ولد في ٢٥ اذار سنة ١٨٢٩ ولما بلغ أشده ارسله والده الى دمشق فدرس فيها اللغة التركية بفروعها واداب اللغة العربية . ودخل في خدمة الولاة العظام اذ تشرب قلبه عن ابيه محبة الدولة العلية . و بعد ان توفي والده رجع الى بعلبك و باشر بنفسه ترويض اخلاق هولاء الامراء وتخفيف و يلات الاهالي فلم ينجح . حتى اذا حدثت الواقعة المشهورة بين مصطفى باشا والامير محمد الحرفوش في معلولا سنة ١٨٥٠ سعى صاحب الترجمة بتنشيط اولي الامر لوضع حدٍ لمظالم آل حرفوش . فصارت بعلبك وشرقي البقاع قائمقامية واحدة يتولاها حاكم من قبل الدولة العلية فسعدت البلاد وارتاحت الاهالي . غير ان الحرافشة الذين لم يبارحوا الوطن ما زالوا يحركون احزابهم للعصيان الى ان كبحت جماحهم العساكر السلطانية وكانوا يكيدون على حبيب ليقتلوه فلم يفلحوا . حتى اذا كانت سنة ١٨٦٠ اقبل المرحوم فؤاد باشا مفوضاً من قبل الدولة العلية في تدبير شؤون سورية فدخل حبيب افندي بين خاصته وكان يمهد له العقبات بما له من النفوذ في بعلبك وزحلة الى ان صار من معتمدي دولته وظل هكذا حتى استتبت الراحة وتوطد الامن فازاح دولته من بقي من امراء آل حرفوش ورتب شؤون حكومتها . ولما شاء فواد باشا ترتيب و يركو الولاية السورية كلف

حبيب افندي بتعديل ذلك بهيئة مجلس ادارة الولاية فكان تعديله الاصلح فانهى له بالوسام المجيدي الخامس ورتبة قبوجي باشي فكان اول مسيحي في سورية حصل على وسام . ودام صاحب الترجمة منعكفاً على الاعمال الخيرية وساعياً لما فيه نجاح وطنه مما كان له الوقع الحسن لدى الدولة العلية فانعمت عليه في سنة ١٨٩٠ بالوسام المجيدي من الرتبة الثانية . وفي ايار من سنة ١٨٩٢ توجه الى الاستانة العلية فنال الحظوى بشرف المثول لدى الحضرة الشاهانية مع نجله المرحوم يوسف افندي فكان مظهراً لتعطفاتها السنية . واذ رات ايدها الله ما لحضرته من جليل الخدم وقويم الاعمال تعطفت عليه برتبة مير ميران الرفيعة فكان من ثم اول مسيحي ظفر بلقب باشا خارج الاستانة العلية وحسبه بذلك افتخاراً . ثم زايل الاستانة العلية قاصداً باريس فقابل عظماء رجالها ونال منهم مزيد الالتفات وعاد لوطنه معززاً مكرماً . وفي سنة ١٨٩٥ أُنعم عليه ايضاً بالوسام العثماني العالي من الرتبة الثانية ولبث مثابراً على الاعمال الخيرية الى ان لبى دعوة ربهِ في ٢ تشرين اول سنة ١٩٠٠ مودعاً بدموع الحزن والاسف

ومما يسقي هذه الغرسة الكريمة شرفاً الاعمال المهمة التي قام بها نجله المرحوم « يوسف افندي » فقد ولد في سنة ١٨٥٤ وربي في اشد ما يتولى قلب امرءٍ من حب دولتنا العلية . ولهُ في ذلك امور مشهورة تشهد بشدة ولعه بالعرش العثماني منذ صغره فان له من التعصب في ذلك ما تضرب فيه الامثال . ربي من صغره في خدمتها وما زال حتى سار في سنة ١٨٨٠ الى الاستانة لتسوية مهمات له فيها ففاز بمرغوبه ونال التفات اكابر الوزراء وانعمت عليه الدولة العلية بالنيشان المجيدي الثالث ثم عاد الى الوطن ولم يلبث ان : ايله عائداً في سنة ١٨٨٥ الى الاستانة وفيها اندفع ايضاً الى خدمة الدولة والوطن معاً مما اشتهر عند الخاص والعام . واذ تقرر ذكاه وخبرتهُ في الامور نال من مكارم الحضرة السلطانية امتياز مرفاء

بيروت في سنة ١٨٨٨ وهو اول المشروعات المهمة في سورية وبوشر العمل به بعد تمهيد مصاعب شتى لان الاوربيين لم يكونوا ليسلموا اموالهم الى بلاد لم يعرفوا ثمرها ولم يختبروا امرها فاهدته وقتئذٍ الحكومة الفرنساوية وسام جوقة الشرف من رتبة الكافليير . ثم اخذ امتيازاً اخر بترامواي بخاري في دمشق لم يعمل به . ثم نال ايضاً في سنة ١٨٨٩ امتياز الخط الحديدي بين المزيريب في حوران والشام الى ستين سنة وراى مشقات عظيمة لم تثنِ عزمه عن السعي فغير من هذا الامتياز وزاده شروطاً فيها منافع للدولة استحق لاجلها الانعام بتمديده الى تسع وتسعين سنة وبالوسام العثماني العالي من الرتبة الثانية ثم بنيشان الامتياز الذهبي ورقته الدولة الفرنسية الى رتبة اوفيسيه بوسام جوقة الشرف واهدته بعض الدول الاوربية وساماتها

فكان ذلك اعظم منشطٍ لصرف قواه في سبيل خدمة مولاه وولي نعمتنا المعظم فاستدعاه اليه وانعم عليه في شهر حزيران سنة ١٨٩٣ بامتياز الخط الحديدي الكبير من رياق الى حمص وحماه وحلب والبيره جك على الفرات مسافة ستماية كيلومتر وهو من اهم الخطوط العثمانية الشرقية

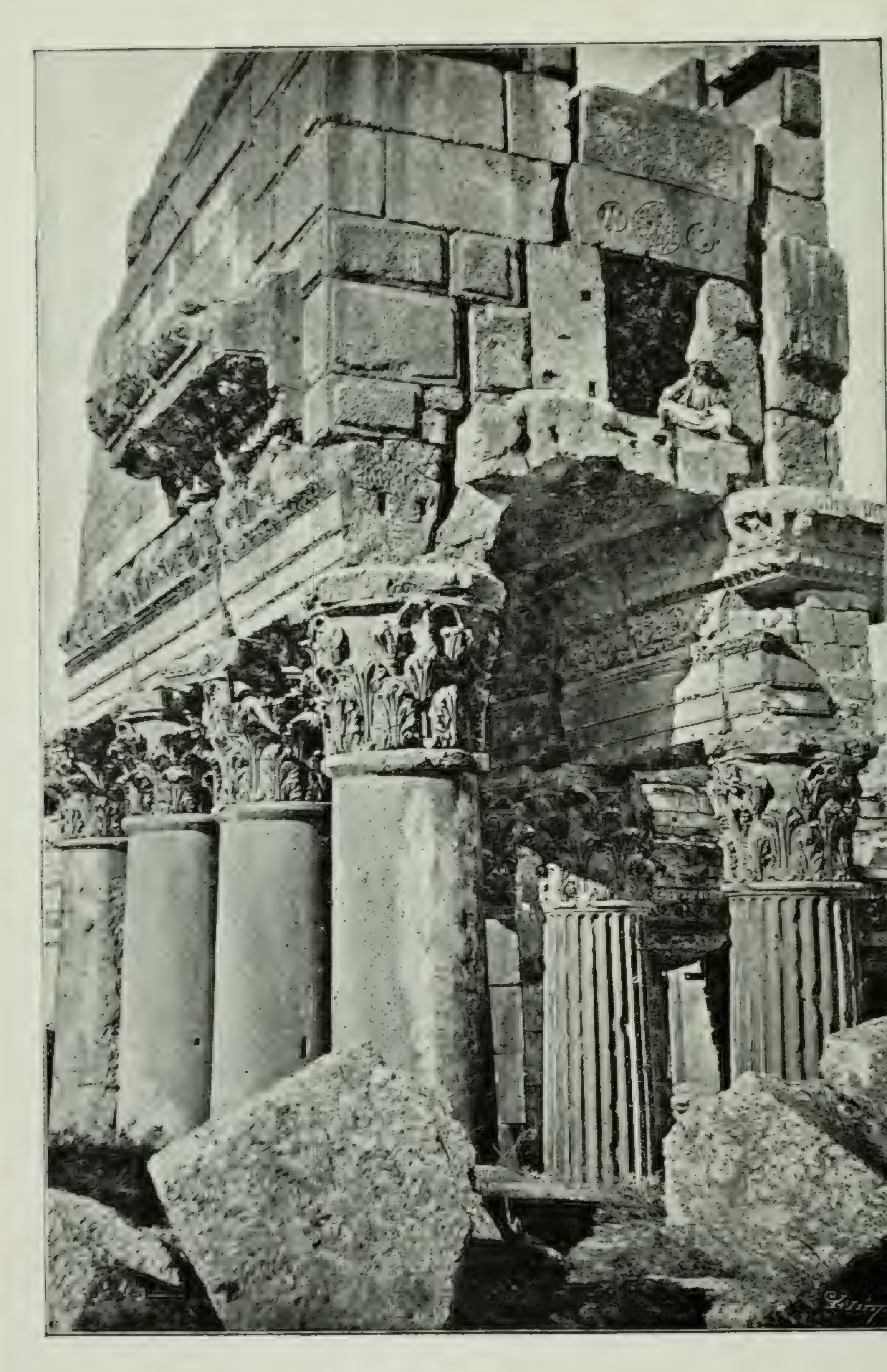
ثم لما ابداه من الحكمة والدراية في كثير من المهمات التي عهدت اليه ازداد تقدماً وجاهاً وتقرباً من المراكز العليا . وعظمت منزلته في البلاط الهمايوني حتى انتهى الى ذروة من المجد الباذخ لم يدركها من قبل احد من اترابه

ولما كثرت اشغاله ووفرت مهماته نتقل الى باريس وسكن تلك المدينة العظمى متوجاً فيها اشغالاً خاصة للحكومة السنية نتقرب من كبار رجال الحكومة الدولة الفرنسية وعظماء متموليهم وكان بيته محط رحال اكابر القوم . ولما رقصت له بلابل السعد عقد له في ٢٩ كانون ثاني سنة ١٨٩٤ على فتاة باريسية نبيلة وهي فاني ابنة الجنرال كارو حاكم بزانسون العسكري

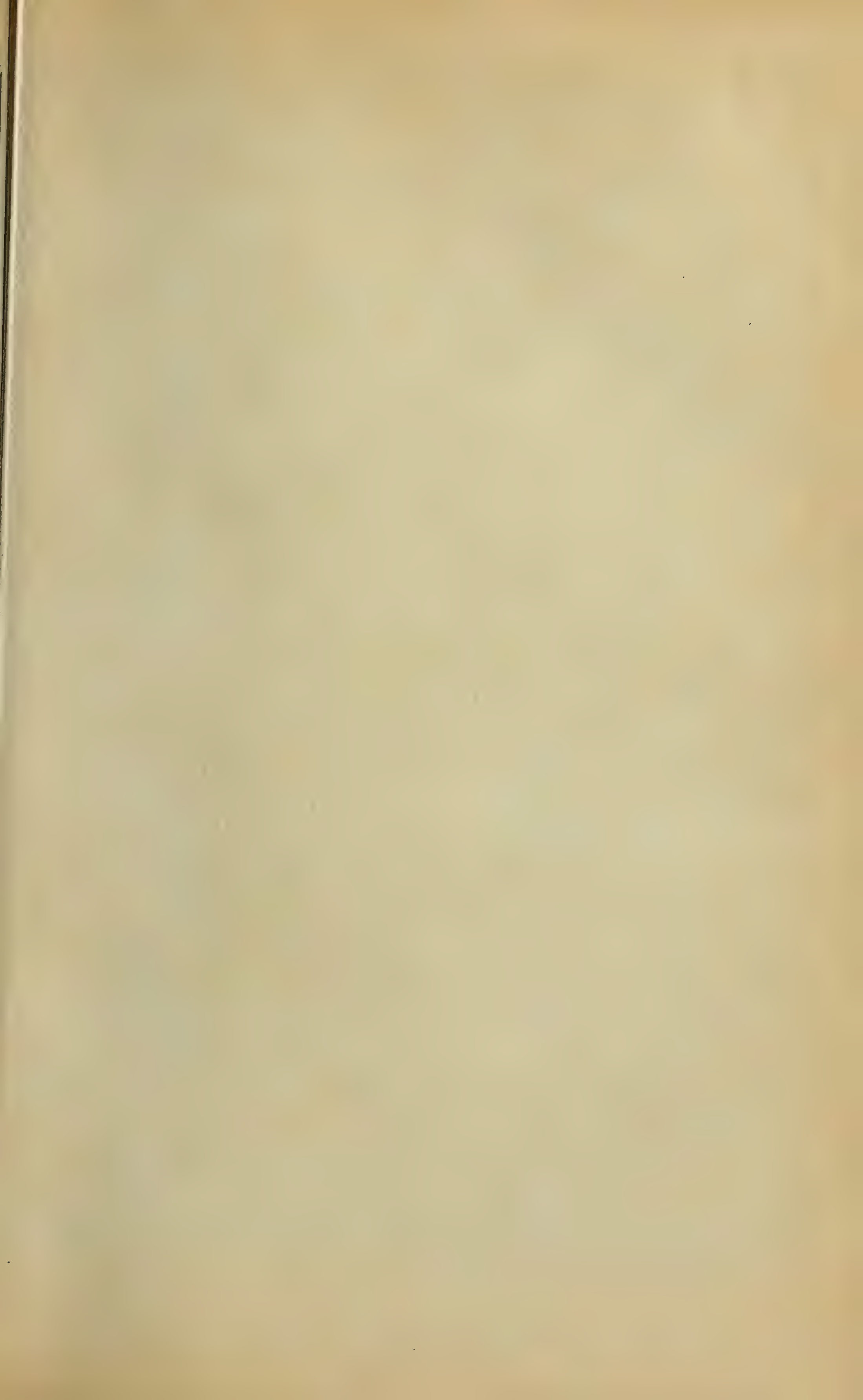
وكان لزفافه يوم نادر مشهود

ولكن الدهر الخؤون لم يصفُ له فلم تمضِ بضعة اشهر من زفافه حتى توفيت قرينته في القاهرة في اثناء رجوعه الى وطنه بعد غربة تسعة اعوام فشقّ عليه الخطب وندب حظَّهُ بعدها اشهرًا وما كان ليتعزى حتى لاقى حتفهُ في ٢٣ نيسان سنة ١٨٩٥ في باريس

فما انتشر نعيه في عاصمة الفرنسيس الا واكبر اعيانها وعظماؤها خطبهُ واشتد لهف واسف الناس عليه فبادروا لغرفة الميت مودعين رجل سوريا وفردها وكتبت جرائدهم المهمة فصولاً طوالاً عددت فيه مناقبه الغراء وما بذلته من الخير اياديه البيضاء · وتعطفت الذات المقدسة الشاهانية بتبليغ المرحوم والده اسفها وبشموله وباقي انجاله برضاها العالي ثم اصدرت ارادتها السنية باحالة الامتيازات التي نالها الفقيد لوالده الثاكل. وبيانًا لرضاها السامي انعمت على اخي الفقيد عزتلو رشيد بك برتبة قنصل جنرال دولتها العلية في ليون وهو من الشبان الاذكياء المتوسعين في العلم ثم قدم رشيد بك الى الاستانة العلية فسكنها وتفرغ لخدمة الحكومة السنية بما أُوتيه من الدراية والفضل · وسكن شقيقه الاصغر نخله بك باريس وبذل همته في الخدمة الصادقة فاكتسب انعطاف الذات المقدسة فانعمت عليه في تشرين الاول سنة ١٩٠١ برتبة مير ميران الرفيعة وهي رتبة المرحوم والده واهدته حكومة ايران الفخيمة وسام المعارف من الدرجة الثانية وما زال في باريس متتبعاً اثار والده وشقيقه باخلاص الخدمة وابتغاء الرضى الاسمى



تيجان اعمدة الهيكل الصغير مكبرة



الفصل السادس
في
قلعة بعلبك وما في المدينة من الآثار القديمة

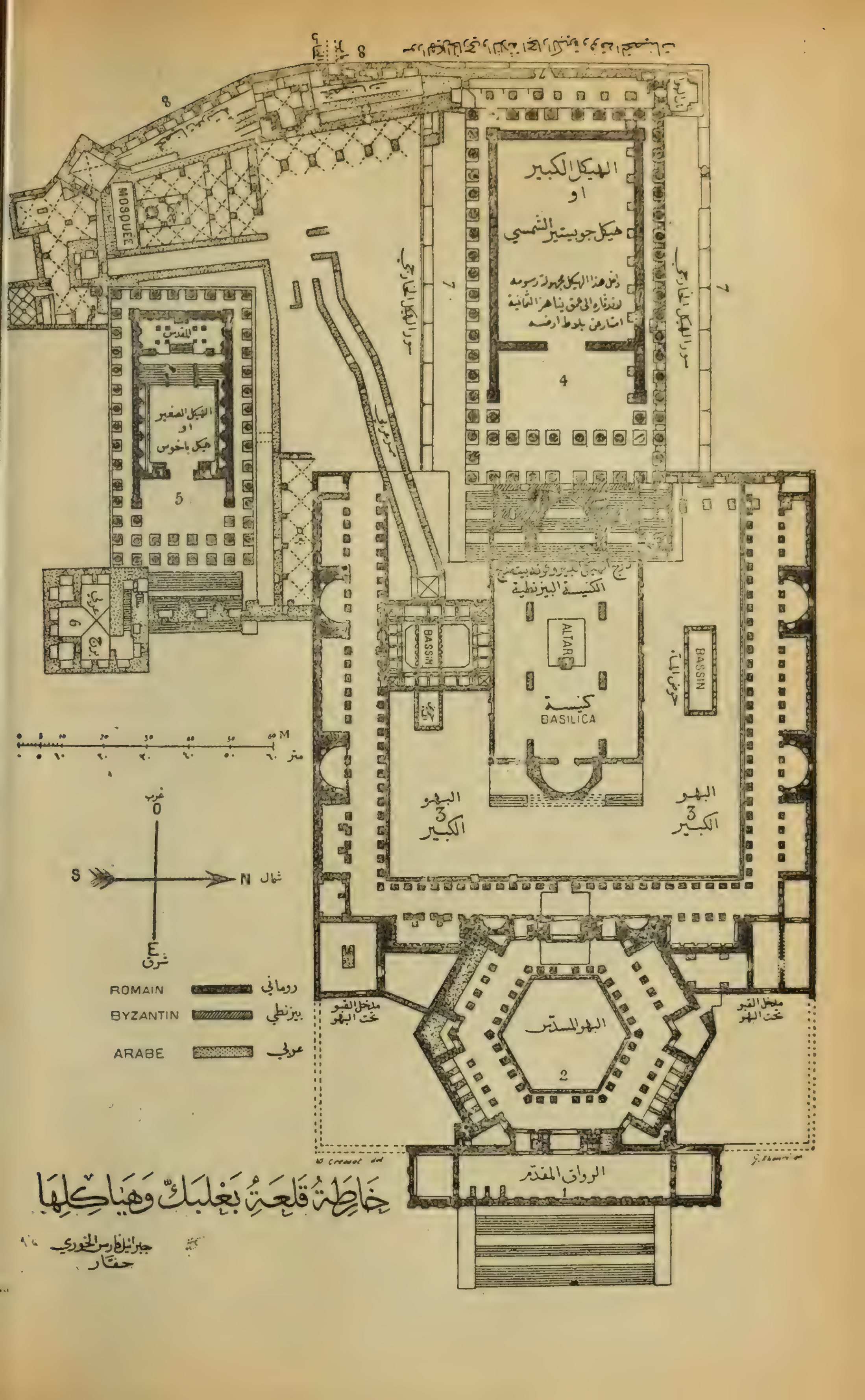
ها قد انتهى بنا القلم الى تلك الخربات الشهيرة وما ادراك ما هيَ . هي هياكل قد غدت تندب الزمان لا بل الزمان يندبها · اذ كانت غرةً في جبينهِ فراحت ولم يبقَ الا الاثر منها

يا قلعةً في بعلبكَ قديمةً وَسَعَتْ جميع الناظرين عجابا
لم يبقها الدهرُ الخؤون محبةً بل قصدهُ أنْ يُتحفَ الألبابا
كي يعلموا أنَّ الأُولى من قبلهم هم فتَّحوا لعلومنا الابوابا[1]

قلعة بعلبك هي خربٌ شهيرةٌ الى غربي البلدة بعضها بقية هياكل بناها الاقدمون لمعبوداتهم على مرتفع صناعي وزيَّنوها بالزخارف والنقوش البديعة وجعلوها حدًا لجموح الاولين وحديثًا مذهلاً للمتاخرين مما دهشت لعظمته عقول أُولي الالباب وعجب له جميع من زارها من السياح فشهدوا بان هياكلها من منتخبات الهندسة اليونانية وانها من اعظم ما بناه الاولون وافخم ما رآهُ المتاخرون وحسبك انذهال الغريب ودهشه عند مرآها

والبعض الاخر هو ما بناه العرب من التحصينات وهو دون تلك فخامةً ونفاسةً وترتيبًا فان الدول العربية لم تمد للهياكل يدًا الا بقصد تحويلها الى قلعة منيعة فمنطقوها بالخنادق والابراج ومرامي السهام · نعليه يكون اشهر ما تضمهُ هذه الخرابات هيكل جوبيتر الشمسي وما يتقدمهُ من الابهية والاروقة وما تحتها من الاقبية والدكة الكبيرة والهيكل الصغير وهو ما يظنونه هيكل باخوس وبناء العرب وسنتكلم عن كل منها بالترتيب مبتدئين من مدخل القلعة الحالي

(١) ابيات ارتجلها الشيخ ابرهيم الاسكوبي المدني لما زار بعلبك مع الوفد الملكي الحجازي



MOSQUÉE
الهيكل الكبير
او
هيكل جوبيتير الشمسي
4
7
8
سور الهيكل الخارجي
الهيكل الصغير
او
هيكل باخوس
المقدس
5
6
الكنيسة البيزنطية
ALTAR
BASSIN
كنيسة
BASILICA
حوض الماء
البهو
3
الكبير
البهو المسدس
2
مدخل القبو
تحت البهو
الرواق المقدم
1
M
متر
غرب
O
S
N
شمال
E
شرقي
ROMAIN
روماني
BYZANTIN
بيزنطي
ARABE
عربي
خارطة قلعة بعلبك وهياكلها
جبرائيل فارس الخوري

« البناء السفلي » : بنيت هياكل بعلبك فوق طابق سفلي مؤلف من اقبية كبيرة كانت بمثابة اساس لما فوقها من البناء وبذلك رفعت الهياكل على علو ينيف على الثمانية امتار عن سطح الارض

فالطابق السفلي المقابل للرواق المقدم والبهو الاول المسدس مؤلف من بضع غرف معقودة بالحجارة الهائلة . وكل ابوابها محكمة السد تحصين من لدن العرب

واما تحت البهو الكبير فبني قبوان متحاذيان ومتلاصقان من الشرق والشمال والجنوب . فالقبو الخارجي من كل جهة قُسم الى غرف جُعلت ابوابها من الخارج . فعلى هذه الغرف ترتكز معابد البهو الكبير وعلى الاقبية الداخلية اعمدة الرواق الذي يتقدم تلك المعابد في الطابق العلوي (انظر رسم القلعة)

ومدخل القلعة الحالي من القبو الجنوبي الداخلي . طوله من الشرق الى الغرب ١٢٠ مترًا وعرضه ٥ امتار و٢٤ سنتيمترًا وعلوه ٦ امتار . وعلى مسافة ٢٠ مترًا من مدخله بهو عرضي طوله ٩٣ مترًا يؤدي الى قبو ثالث مقابل الاول وجميعها متناسبة البناء والهندسة . وفي سقوفها بضعة تماثيل مشوهة . منها في سقف القبو الاول مقابل القبو العرضي صورة البطل هرقل حاملاً نبوته وعلى جانبه كلمتان لاتينيتان (DIVISIO MOSCHI) وهي اسم الفرقة من البنائين الذين شيدوا هذا القبو . ثم على مسافة اخرى صورة ديانا الهة الصيد وعلى جانبي راسها هلالان وذلك من جملة شاراتها والى مسافة اخرى صورة رجل يحمل نبوتًا ولعله هرقل ايضاً . و بقرب مخرج القبو رسم حيوان بحري يكاد يندرس بتأثير العوامل الطبيعية وقساوة اليد البشرية . واظن ان هذه الرسوم نُقشت في ايام كراكلا لان حروف الكتابات الموجودة في هذا القبو تشبه التي استعملت في زمن هذا القيصر وكذلك وجود صورة هرقل مكررةً وهو البطل الذي كان يتمثل به

كراً كلا وينقش صورهُ على ابنيته

وكما اشرنا قبلاً ان على جوانب هذه الاقبية اقبية اخرى قُسّمت الى غرفٍ ربما كانت للحجاج القدماء . فمنها واحدة في القبو الجنوبي يُدخل اليها على درج حديث مقابل القبو العرضي وهي جميلة وسقفها مغشيٌّ بانواع النقوش المسدسة . وفي كل مسدس صورة تختلف رسماً عن الاخرى . وفي جدارها الشمالي الذي فُتح فيه المدخل الحالي ثلاثة مواقف للاصنام تدهش الناظر لما حوتهُ من بديع الصنعة والزينة . وفي اعلى الموقف الاوسط تمثال . وكان لهذه الغرفة ثلاثة ابواب يفصلها عن بعضها عمودان مربعان بارزان في الحائط من نوع الهندسة الدورية وقد سدتها العرب للتحصين ولكن الالمان اعادوا فتح الباب الاوسط . ولا ريب بان هذه الغرفة كانت معبدًا صغيرًا . ويستدل من مواقف الاصنام التي بُدِئ بصنعها في الجدارين الشرقي والغربي بان الرومان كانوا يبنون بناءهم بلا نحت ولا زخرف ثم يزينونه باحكام النحت وبدائع النقوش بعد انتهائهم من البناء وهذا مشاهدٌ في جهات كثيرة في الاقبية والهياكل

وعلى الزائر بعد خروجه من القبو أن يصعد في سلمٍ حديثة الى اليمين وينعطف نحو الشرق ويجتاز البهو الكبير والمسدّس ثم يدخل الرواق حيث منه نبتدي بشرح جميع اقسام هذه الهياكل العجيبة فنقول

«**الرواق**» (انظر خارطة القلعة) : هو مدخل الهياكل القديم الحقيقي يعلو عن سطح الارض الخارجية ثمانية امتار وهو مربع مستطيل طوله من الشمال الى الجنوب ٥٠ مترًا وعرضه ١١ . وله في طرفيه غرفتان مزدانتان بنقوش كثيرة ومواقف للاصنام . طول الواحدة منهما ٩ امتار ونصف . والشمالية منهما اكثر ثباتًا واوفر عمرانًا من الجنوبية . وقد بنى العرب فوق الاثنتين تحصيناتٍ ومرامي للسهام . وكان بين هاتين الغرفتين في مقدم الرواق صفٌّ مؤلفٌ من اثني عشر عمودًا من الحجر المحبَّب (الغرانيت)

وامامها درج عظيم طوله خمسون مترًا وكان بين درجاته ثلاث مساطب فلما ملك العرب البلد وحصّنوا القلعة رفعوا هذه الاعمدة ودكوا الدرج الى اسسه و بنوا بحجارته جدارًا كبيرًا فوق قواعد الاثني عشر عمودًا وفتحوا فيه مرامي للسهام · ولكن الالمان هدموا القسم الاكبر من الجدار الغربي وكشفوا عن هذه القواعد وسيبنون قسماً صغيرًا من الدرج بهيئته الاصلية ليظهر الرواق بمظهره القديم

و يرى من الخارج على قاعدتي عمودين كتابة لاتينية مفادها ان احد قواد جيش الامبراطور انطونينوس بيوس (كرا كلا) وجوليا دومناذهّب تاجي العمودين النحاسيين على نفقته بعد نذرٍ قدّمه لالهة ايليو بوليس العظيمة · ذلك يدل على ان عمودين نحاسيين كانا بين الاعمدة الغرانيتية في هذا الرواق

والجدار الخلفي من الرواق كان مزدانًا بنقوش جميلة ومواقف للاصنام محتها عوامل الطبيعة وفيه ثلاثة ابواب اكبرها اوسطها وكان علوه نحو عشرة امتار وعرضه سبعة وربع وعلو كل من الاثنين الاخرين اربعة امتار ونصف وعرضه ثلاثة ونصف وسمك جدار الابواب ستة امتار لكن الباب الكبير الاوسط والباب الصغير لجهة اليمين سدتهما العرب ففتح الالمان الباب الكبير · و بين هذه الابواب ادراج لولبية يصعد منها الى سقف الرواق والبهو الذي كان يُعبَر اليه من هذه الابواب

البهو المسدس او الدار الاولى (انظر الخارطة) : وهي دار مسدسة الشكل كانت فيها يظن مقام الكهنة وقطرها نحو ٥٠ مترًا ما عدا الابنية المحيطة بها · ولكل زاوية منها غرفة و بين كل غرفة والاخرى معبد مربع الشكل مستطيله مفتوح الواجهة وكان امامه اربعة اعمدة من الغرانيت واكثر هذه المعابد والغرف مشعثة وقد فتح العرب في جدران المعابد مرامي للسهام و بنوا عليها قناطر لتحمي الرماة من حر الشمس

ولما نظَّف الالمان هذا البهو استدلوا على انه كان على بعد ثمانية امتار من كل جهة من هذه المعابد خطٌ مسدس الشكل كالبهو يتالف من ثلاث درجات وفوقه صفٌّ من الاعمدة الغرانيتية ٠ وكان بينها وبين جدار المعابد الداخلي سقف هرمي الشكل ٠ وهكذا كان الشعب يمرُّ امام المعابد تحت رواق من العُمُد مسقوف وساحة البهو كانت مكشوفة للشمس ولا يبعد انها كانت ملعباً يتلاهى به الشعب

ووجد الالمان بين الابواب التي نوهنا بها ادراجاً لولبيةً يصعد منها الى سقف البهو ٠ وبازاء هذه الابواب من الجهة الاخرى كان الابواب التي يدخل منها الى البهو الكبير المربع وقد تهدَّم منها الباب الكبير الاوسط والباب الذي الى جانبهِ على اليسار والثالث الايمن محفوظ وفوقه احدى غرف البهو وقياس هذه الابواب كقياس تلك

البهو الكبير او هيكل كل الالهة[1]: هو بناءٌ مربع الشكل يحيط به اثنا عشر معبد لربما كانت للالهة الاثني عشر العظيمة ٠ اربعة منها بشكل نصف دائرة في الجهة الشمالية والجنوبية وما بقي مربعة مستطيلة وجميعها مفتوحة الواجهة وامامها عُمُدٌ من الغرانيت ٠ وكل معبد منها يحتوي على صفين من مواقف الاصنام الواحد فوق الاخر ويفصل المعابد عن بعضها حايط على واجهته موقف صنمين علوي وسفلي ٠ ونقوش هذه المواقف مختلفة الاشكال ٠ وفوق المواقف العلوية واجهات مثلثة الشكل وحسنة النقش

---

(١) دعونا البهو الكبير وهو ما تدعوه الجنة الالمانية (بهو المذبح) بهيكل كل الالهة لتعدُّد مواقف الاصنام فيه وهي لا تقل عن المايتين وخمسين ٠ ومن المعلوم ان القدماء كانوا يشيدون في المدن المشتهرة للعبادة العمومية هيكلاً لكل الالهة بحيث لا يغيظون هذا ويسرون ذاك في اعتقادهم ٠ فكان هذا البناء الفخيم بهواً للمذبح وتقديم الضحايا وسبيلاً للمرور الى الهيكل الكبير وفي الوقت ذاته مكرساً لعبادة جمع الالهة الاكثر شيوعاً في انحاء المشرق

ويعلو ذلك كله افريز وطَنَف (قفا تخته) بديعان في نقوشاتهما وزخارفهما · وطول هذا البهو من الشمال الى الجنوب ١١٧ متراً مع المعابد وعرضه ١١٢ ما عدا القاعات التي في زواياه

وقد اكتشف الالمان امام المعابد من الجهات الثلاث وعلى بعد ثمانية امتار ونصف منها خطاً مؤلفاً من ثلاث درجات كان فوقه من كل جهة اربعة وعشرون عموداً غرانيتياً وفوقها تيجان قورنطية والعمود من قطعة واحدة طوله ٨ امتار ودائرته ٣م و٨٠ س وعلو قاعدة العمود وتاجه متر و٨٠س وفوق العمد جميعها افريز ثم طنف (قفاتخته) بديعا الصنعة وعلوهما متر و٨٠ س مزدانان برسوم البيض والنبال وحب اللؤلؤ واسنان العجوز واغصان الورود والزهور واوراق النباتات المختلفة وجميعها ناتئة ومفرغة حتى ان الاصبع يمرُّ تحتها بسهولة · وكان فوق هذا الرواق والمعابد الخلفية سقف هرمي · فكانت هذه الاعمدة كرواقٍ امام المعابد مستورٍ من حرارة الشمس وامطار الشتاء وكان البهو ذاته مكشوفاً للشمس · ولم يبقَ من هذه الاعمدة الجميلة سوى بضع قواعد باقية في مراكزها وعمود صحيح في الجهة الشمالية الغربية وكثير من القطع ملقاة على الارض · ووجدوا كثيراً من الافاريز والطُنف البديعة النقش حتى ان المرء ليقف حائراً في كيفية تفريغها ودقة صنعها · فكأنها وُضعت وضعاً على الحجر مع انها واياه قطعة واحدة

واكتشف الالمان في وسط هذا البهو مذبح المحرقات ذرعه عشرة امتار ونصف طولاً وتسعة امتار ونصف عرضاً والى جانبيه على بعد ٢٤ متراً منه حوضان للماء طول الواحد منهما نحو ٢١ متراً وعرضه ٧ امتار وارتفاعه ٨٠ سنتيمتراً · وجدران الحوض من الحجر الاصم مقسمة بين مربعات مستطيلة وانصاف دائرة ومزينة برسوم بديعة تمثل رؤوس البقر وبينها اكاليل الزهور · وكذلك آلهة الحب (Les Amours) حاملة

للأكلة او ترى راكبة على التنانين تصيد الدلفين ورسوم اخرى تمثل ميدوزا وشعرها مسترسل كالحيات . وهناك رسوم من ادق صناعة النقش تمثل التريتون مزمرة بالشبابة وخلفها حوريات البحر (Les Néréides) وهذه تلاعب ملائك الحب

وكانت الجهة الغربية من هذا البهو مفتوحة ولا بناء فيها لئلا تستر مبانيها منظر هيكل جوبيتر العظيم الذي كان في ما يلي هذا البهو وكان امام الهيكل درج ذو ثلاث مساطب طوله ٥٠ مترًا وعلوه الى قواعد عمد الهيكل الكبير ٨ امتار وامتداده في دار البهو امام الهيكل ١٦ مترًا

ويظهر ان قسطنطين الملك بدأ بهدم هيكل جوبيتر المذكور واكمل خرابه ثيودوسيوس ووضعت انقاضه واتربته في وسط البهو الكبير بين الحوضين المذكورين انفًا حتى تعالت فوق مذبح المحرقات وطمرت القسم الاسفل من الدرج العظيم . وعلى هذا المرتفع بنى ثيودوسيوس كنيسة عظيمة لم تزل آثارها ماثلة في وسط البهو . وكان مدخلها من الشرق وهيكلها في الغرب خلافًا للاصطلاح الشرقي وقد أكره البانون على ذلك لان مدخل الهياكل الاصلي من الشرق . وقد هدم القسم الثاني والثالث من الدرج الاصلي لتضع مذابح الكنيسة مكانه . وطول هذه الكنيسة ٦٣ مترًا وعرضها ٣٦ . وهي مقسومة في الداخل بثلاث قناطر واسعة وعالية محمولة على ركايز ضخمة الى ثلاث اسواق تقابل مذابح الخورس الثلاثة . ووجد في جدران الكنيسة بعض الكتابات اللاتينية وكثير من النقوش وقطع من العمد الضخمة والافاريز وكلها من انقاض الهيكل الكبير . والى جانب الخورس للشمال الغربي بحذاء الكنيسة بنى موفد صغير (سكرستيا) وجهة مذبحه الى الشرق . وامام ابواب الكنيسة الثلاثة فسحة يتقدمها درج عظيم طوله كعرض الكنيسة ٣٦ مترًا وضع هناك من انقاض القسم العلوي من درج هيكل جوبيتر الذي ذكرناه قبلاً . ويظهر انه بعد مدة

طويلة من بناء الكنيسة راى البيزنطيون ان اتجاه المذبح للغرب تخالف الرسوم الشرقية فنقلوه الى الشرق حيث كانت الابواب ووضعوها هناك على الفسحة التي يتقدمها الدرج وفتحوا باباً من الغرب مكان المذبح القديم وقد وجدت اثار تدل جلياً على ذلك

ولما استولى العرب على البلد حوّلوا ابنيتها العظيمة الى قلعة ومحوا اثار الديانة المسيحية من داخلها و بنوا في سوق الكنيسة الايمن حماماً وفي صحنها وسوقها اليسرى بيوتاً للسكن وفرشوا ارضها بالفسيفساء الملونة ووضعوا في فناء دورها الحياض المزخرفة وقد ترك الالمان بعض الاثار التي تدل على ذلك

الهيكل الكبير او هيكل جو بيتر : هو الهيكل الذي كانت ولم تزل شاخصة الى عظمته وفخامته عيون جميع زائري بعلبك · وقد جعل الاقدمون امامه البهي والأروقة التي فصّلنا عنها ثم رفعوه على دكة عظيمة ارتفاعاً يبلغ ثمانية امتار بالقياس الى ارتفاع الابنية التي امامه وعشرين متراً عن سطح ارض المدينة المجاورة واحاطوه بالاعمدة الهائلة وزينوه بالزخارف المبسّمة فتصاغرت امامه تلك الابنية مع انها والحق يقال اعجوبة الزمان ومن ابدع ما ولدته فكرة الانسان

طول هذا الهيكل من الشرق الى الغرب ٨٧ متراً و ٥٠ س وعرضه ٤٧ و ٥٠ س بما فيه اعمدته وما عدا سوره الخارجي · وكان يحيط به اربعة وخمسون عموداً من الطرز الكورنثي منها في جهتيه الشمالية والجنوبية اربعة وثلاثون وامامه عشرة وخلفه عشرة اخرى · وكل عمود مركب من خمس قطع مع التاج والقاعدة مجموع ارتفاعها ٢٠ متراً وقطر العمود متران و ٢٣ سنتيمتراً · وفوق العمود افريز علوه اربعة امتار وهو بديع النقش وفي قسمه الاسفل سلسلة من تماثيل الثيران والاسود مرتكزة على قاعدة من ورق الخرشوف · وقد وجد الالمان عدة منها سليمة من التهشيم وفي طنفه الاعلى (القفا تحته) خط من اسنان العجوز والبيض والنبال وحب اللؤلوء وفوقها نقش المفتاح

اليوناني وفوق ذلك كلهُ اوراق مختلفة مجسَّمة يتخللها على خطٍ مستقيم فوق كل عمود رؤُوس سباع فاغرة اشداقها لتصريف ماء المطر من سقف الهيكل · وقد وُجدت قطعةٌ من هذا الطَنَف في جهة الهيكل الجنوبية سالمةً بجميع رسومها وهي تنبئ بما كانت عليه النقوش من الاتقان والبراعة

وكان وراء العشرة اعمدة الامامية صفٌ اخر من الاعمدة يُنْتَهى منه الى فسحةٍ كانت امام باب الهيكل (انظر الخارطة) وكان فوق طَنَف الاعمدة الامامية والخلفية واجهة fronton مثلثة الشكل تماثل سقف الهيكل وتحاذيه وهي مبنيةٌ بحجارة ضخمة وعليها نقوشٌ كنقوش الطنف وتحمل فوقها تماثيل الالهة المتقرّبة للمشتري وقد بقي منها انقاضٌ قليلة وُجدت في جدران الكنيسة البيزنطية

غير انهُ لسوء الحظ جنت يد الجهل على هذا الهيكل فخرَّبت جدرانهُ وقوَّضت بنيانهُ ودكت أُسسهُ الى غور بعيد ولم تترك منه سوى ستة اعمدة في جهته الجنوبية وقد كانت قبل زلزلة سنة ١٧٥٩ تسعة · وهذه الاعمدة الستة الباقية لم تزل واقفةً يغص بها الجو صابرةً على ما فعل باخوانها الدهر الخلاب · وهي اول ما يبدو للقادم الى بعلبك فتمثل له عظمة الهيكل كلهِ لما كان واقفاً بعمده الاثنين وستين · وكان البادئ بهدم هذا الهيكل الامبراطرة البيزنطيون حيث استعملوا انقاضهُ لبناء كنيستهم في البهو الكبير · ثم حذا حذوهم العرب لقرب الهيكل من المحال الضعيفة في القلعة فجعلوه مقلعاً يستخرجون من اسسهِ الاحجار ليحصّنوا بها قلعتهم · وقد ادرك الالمان بحفرياتهم اعماق الهيكل فكشفوا عن اساس الجدران التي كانت وراء الاعمدة الخارجية وعن اسس الابواب · واستدلوا على انه كان فوق العمد والابنية الداخلية سقفٌ درمي يدفع عن الهيكل حرارة الشمس وعواصف الشتاء

ويحيط بالهيكل من جهاتهِ الثلاث بناءٌ هائل قائم بالحجارة

الضخمة (انظر الخارطة) وهو الان اوطأ من قواعد عمد الهيكل الخارجية بتسعة امتار من الجنوب والشمال وبخمسة امتار من الغرب. وكلا الحائطين القبلي والشمالي يتركب من تسعة حجارة فقط يبلغ الحجر منها تسعة امتار ونصف وعلوه ٤ امتار و١٠ س وضخامته ثلاثة امتار و١٥ س وفي الحائط الغربي ستة احجار كتلك وعلى خط واحد معها يعلوها ثلاثة احجار طول الواحد منها نحو العشرين متراً وعلوه ٤ امتار و١٠ س وضخامته ٣ امتار و٦٥ س. وبين هذا البناء والجدران الحاملة العمد فسحة تبلغ ستة امتار عرضاً وهي مرصوفة بالحجارة الكبيرة من الجنوب والغرب فقط. وقد تأكد بان هذا البناء لم يتمّ عملهُ فالحائطان الشمالي والجنوبي كانا معدَّين لمدماك آخر من الحجارة الهائلة على نسبة الثلاثة التي في الحائط الغربي ليتساويا ارتفاعاً وحجر الحبلى الباقي في المقلع كان معداً لهذا المدماك. وفوق ذلك كله من الجهات الثلاث يكون طَنَفٌ (قناتخته) يكاد يحاذي قواعد العمد الكبيرة وهكذا يكون هذا البناء كسورٍ عظيمٍ محدقٍ بالهيكل من جهاته الثلاث وسطحهُ المرصوف كان كممشىً امام اعمدة الهيكل مشرفٍ على المدينة والسهول [١]

وفي الزاوية الشمالية الغربية من الهيكل برجٌ بناه العرب في زمن الملك الامجد بهرام شاه سنة ٦٢٢ هجرية وتدعوه الاهالي الان "باب الهواء". ومنه يرى سور الهيكل الخارجي ذو التسعة الاحجار وعلى يسار باب البرج بابٌ اخر لدرج يُنزَل فيه الى باب في اسفل البرج يؤدي الى ظاهر القلعة. و يشرف هذا البرج على بساتين البلد النضرة المحيطة بالقلعة من جميع جهاتها وعلى سهل بعلبك الخصب وجبال لبنان الشاهقة

---

(١) راجع ما حررناه في مجلة المشرق السنة السابعة عدد ٣ عن تفنيد مزاعمنا السابقة بنسبة بناء هذا السور الهائل الى الفينيقيين

الهيكل الصغير او هيكل باخوس: وتسميه الاهالي « دار السعادة » وهو جنوبي الهيكل الكبير وقد رجَّح رجال البعثة الالمانية انهُ كان مكرساً لاله الخمر ديونيس او باخوس ولم يؤكدوا زعمهم هذا ولم تُعلم الغاية التي حدت بالرومان لبنائه بجانب الهيكل الكبير في منخفضٍ من الارض وعلى طراز يشبه بهندسته ونقوشه ذاك الهيكل دون ان يكون امامه بهوٌ ولا اروقة

اما هذا الهيكل فانه من اجود الاثار حفظاً يفوق في اتقانهِ و بديع نقوشه جميع الهياكل الباقية من عصر الرومان في المعمور كله . وقد بُني على دكةٍ ضخمة بغاية الاحكام في التحام الاحجار بعضها ببعض . ولها افريزٌ من اسفل وطنفٌ علوي . يبلغ طول الدكة ٦٨ متراً وعرضها ٣٤ وارتفاعها ٤ امتار و ٧٠ س

وكان يحيط بالهيكل ٥٠ عموداً منها ١٥ على الجانبين وفي جملتها اعمدة الزوايا و ٦ اعمدة مما يلي الهيكل والباقي قد قام صفين امامه . وكلها من النسق القورنثي الغير المضلَّع ما عدا الاعمدة الامامية فانها كانت مضلَّعة . واكثرها ذو خمس قطع مع التاج والقاعدة . علو العمود مع قاعدتهِ وتاجه ١٨ م و ٢٠ س وثخنهُ من اسفل ٥ م و ٧٣ س ومن اعلى ٤ م و ٧٣ س وفوق تيجانها افريزٌ وطنفٌ يشبهُ بنقوشهِ مثلهُ في الهيكل الكبير وان يكن اصغر حجماً . و بين العمد وجدار الهيكل فسحةٌ تبلغ الثلاثة الامتار مسقوفةٌ بين افريز الاعمدة وجدار الهيكل بالواح حجرية هائلة في الكبر ومغشاة بنقوشٍ لا تقع العين على اجمل واكثر اتقاناً منها . ونقوش هذا السقف مقسمة بمسدَّسات في الوسط ومثلَّثات ومُعيَّنات ◊ حولها حتى كأنَّها نجمٌ مسدَّسُ الاشعة كالرسم المعروف بخاتم سليمان . وفي وسط كل مسدس صورة مجسَّمة لالهٍ من الالهة اليونانية والرومانية . وفي المعيَّنات صور صغيرة لانصاف الالهة او الاشخاص الممتازين . وقد شُوِّهت اوجه كل الصور ولم يبقَ من السقوف الا القليل

فقد بقي في الجهة الشمالية تسعة اعمدة من الخمسة عشر الاصليـة ·
وقد عرفنا من الصور الكبيرة في السقف لجهة الشرق مارس اله الحرب
لابساً الدرع و بعده الانتصار ثم ديمترة ام الارض ثم ديانا الهة الصيـد
و بعدها ڤولكان اله الحديد تميزهُ المطرقة على كتفهِ ثم باخوس اله الخمر
والعنب يحيط براسه و بعده سيرس الهة الزرع وبجانبهـا سنابل القمح
والخشخاش وما بقي فقد ذهبت عنا معرفته · وقد بقي من الستة الاعمدة
في الجهة الغربية ثلاثة واما السقف فساقطٌ كلهُ · ولكن هناك على احد
الالواح الحجرية الساقطة صورة ايريني الهة السلام ترضع بلوتوس اله الغنى
وعلامتها سنبلة القمح لان اساس الغنى الزراعة ولا زراعة بدون استتباب
الامن ووجود الراحة

و بقي من اعمدة الجهة الجنوبية الخمسة عشر عمودٌ ملقىً بفعل الزلزلة
على الحائط وتحته على الارض قطع من السقف يُمثّل احدها جونون ام
الالهة والاخر الزهرة الهة العشق و بين ثدييها تجسّم ولد ذو جناحين وهو
الكوبيدون رسولـــ الحب · وفي منتهى هذه الجهة اربعة اعمدة مائلة
مقابل عمودين مضلعين من الرواق الامامي تحمل بقية سقفٍ محفوظة
نقوشهُ · وفيه للشرق راس ميدوزا والافاعي مسترسلة منه · وهذا السقف
يحمل برجاً عربياً جدد بناءهُ السلطان قلاوون في سنة ٦٨١ هجرية وفتح
فيه مرامي للسهام

وكان امام باب الهيكل في الجهة الشرقية درج عظيم البناء ذو ثلاث
مساطب يبلغ عرضهُ ٣٤ متراً وامتدادهُ امام الهيكل ١٦ متراً ويُصْعَد
منه الى فسحة امام الهيكل كان يزينها صفان من الاعمدة المضلعة في كل
صف منها ستة ووراهما عمودان منفردان من كل جهة قبالة حائط الهيكل
الممتد الى ٧ امتار عن محاذاة الباب · ولم يبقَ من كل هذه الاعمدة الا
اثنان في الجهة الجنوبية

واما باب الهيكل فقد أجمع العالم على أَنَّهُ التحفة التي ابقاها الدهر من اثار الاولين والاية التي تتلو حديث الاعجاب والدهشة للمتأخرين اذ ليس مثله في ما ترك الاول للاخر بحسن البناء ولطافة النقوش وغزارة الممثلات واتقان الرسوم . فعلوُّهُ ١٣ مترًا وعرضه ستة امتار ونصف وقائمتاه احجار مغشاة بنقوش مختلفة بعرض متر وربع متر فاولها نقش « مثنَّى » ثم صف من اوراق النباتات المتنوعة ثم حب اللؤلؤ ثم البيض والنبال ثم ساقية رسم فيها داليتان من شجر الكرمة والواحدة منهما معرشة على الاخرى وبينها الفون (Les Faunes) من الهة البداوة والكوبيدون من الهة الحب والحمام والحواري تحمل عناقيد العنب دلالةً على الخصب وبعد ذلك سلسلة محبوكة ثم ساقية تمثل نقشاً بديعاً يتخلله الخشخشاش وسنابل القمح مما يُمثّل الحياة والموت . وعتبة الباب السفلى حجرٌ واحد وعتبته العليا ثلاثة احجار فوقها ما ذكر من النقوش التي على قائمتي الباب ثم افريز عليه رسوم في غاية اللطافة يتخللها غصن من الاوراق المعرشة بينهــا صور سباع وطيور ولكنها مهشمة وفوق ذلك كلهُ طنفٌ (قفا تحته) عليه رسوم اسنان العجوز والبيض والنبال وانواع الورود والمفتاح اليوناني ثم اوراق متنوعة . وعلى جانبي العتبة زفرٌ بارزٌ تحت الطنف كحرف S الافرنجي يُعدُّ بنقوشه من ادق والطف المصنوعات ولم يزل الايمن سالمًا . واما وجه العتبة مما يلي الارض فقد نقش عليه في الوسط نسر المريخ حامل بمخلبيه الكادوسة وهي قضيب ذو جناحين بلتفُّ حوله حيَّتان وهو رمز التجارة . وعلى جانبي النسر ملاك من كل جهة حامل بينه وبين النسر غصناً من الاشجار فيه ورق وثمار . وقد تكسر منها الملاك الايسر وهذه الصورة تشير الى ما كانت عليه المدينة من سعة التجارة ووفرة الغنى . وقد كان الحجر الوسط قد سقط بفعل الزلزلة وقوة الثقل نحو مترين فدُعم ببناءٍ تحتهُ . وكان نصف الباب مطمورًا بالانقاض والاتربة فردَّ رجال البعثة الالمانية الحجر الهابط

حتى ساوى الحجرين اللذين في جانبيه وثبتوهُ معهما بالتراية النارية والكلس المائي وفتحوا الباب كله ونظفوا المكان من الاتربة المتراكمة . والى جانبي الباب الكبير بابان صغيران يُصعد منهما على لولبين يؤديان الى سطح الهيكل وفوق عتبة هذين البابين نقوش دقيقة الصنع تعد من الطف الرسوم الموجودة في القلعة وبينها صورة عريشة صغيرة تتدلى الى كأس يدوس فيه حيوانان واوراق الدالية على صغرها محكمة الرسم حتى ان الضلوع الصغيرة ظاهرة فيها

وطول هذا الهيكل من داخل من الشرق الى الغرب ٣٥ مترًا وعرضهُ ٢٠ ونصف المتر. فثلثاه الادنيان كانا لوقوف الشعب وهما مزينان من الجانبين بسبعة اعمدةٍ مضلعة بارزة من الجدران ذات تيجان قورنثية يعلوها افريزٌ وطنفٌ حسنا النقش يحيطان بداخل الهيكل وهذه الاعمدة مرتكزة على قواعد بافريزين وتحتها ثلاث درجات باسفل الجدار تحيط بصحن الهيكل . وعلو الجدار كله ١٧ مترًا

وبين كل عمودين من الاعمدة البارزة موقفا صنمين . للاسفل منهما قنطرة بديعة في رسومها وفوقها قاعدة مزخرفة تحمل الصنم في الموقف العلوي وكان الى جانبيه عمودان صغيران متصلان بالواجهة (Fronton) المثلثة الشكل التي كانت فوق راس الصنم العلوي على موازاة تيجان العمد وكل ما ذكر ذو هندسة رائعة وزخرف بديع

وثلث الهيكل الاقصى كان مقدسًا وهو مبني على ارتفاع اربعة امتار من سائر بناء الهيكل وامامه درج يضارع عرضه عرض الهيكل بمسطبتين والدرج مقسمٌ بدرابزينين من الحجر الى ثلاثة اقسام . وينتهي هذان الدرابزينان في اسفل الدرج بركنين مربعين يمثلان على ظاهرهما الباخوسيات الثلاث راقصاتٍ رقص البطن القبيح والمعروف حتى يومنا هذا

وكان فوق مسطبة الدرج الاولى واجهة المقدس وهي كالايقونسطاس

للكنائس وفي طرفيها شبه عمود مضلع يبعد عن الحائط نحو المترين و يتصل به من كل جهة بقنطرة عليها نقوش جميلة من البلوط واوراقه · وكان يتصل بهذين العمودين موقف صنم من كل جهة وتحته افريزان غُشِّي وجهاهما بصور راقصات باخوس وهنَّ متفننات برقصهنَّ الزائغ ولم يبقَ من كل هذه الواجهة سوى العمود الايسر واثار القناطر في الجدران وصور الراقصات مهشمة واثار الدرابزينين وركن واحد عليه رقص البطن · وتحت القنطرة اليسرى درج كان يُصْعَد منه الى مائدة التقدمة في داخل المقدس · وتحت القنطرة اليمنى دهليزٌ يُهْبَط منه على درج الى غرفتين الواحدة بعد الاخري لربما كانت تستخدم لاحتياجات الكهنة ولصَون التقادم الثمينة

و بين الافريزين اللذين ذكرناهما درج يصعد منه الى المقدس وهناك على الحائط مقابل باب الهيكل اثار مرتكز ذي اربع درجات كان عليه تمثال المعبود الاعظم · وفي المقدس بين تمثال الصنم والمدخل الاوسط اثار عمد صغيرة كان بينها حواجز تجعل وسط المقدس حرماً لغير الكهنة · وفي جدار المقدس على الجانبين ستة مواقف للاصنام من كل جهة كالتي في صحن الهيكل

والى جانبي باب الهيكل الكبير درجان لولبيان يُصعد عليهما الى سطح الهيكل وقد ذكرنا ابوابهما الخارجية قبلاً · ولم يزل الدرج الشمالي عامراً اكثر من الاخر و يصعد عليه الى اعلى الهيكل من باب صغير عن يمين باب الهيكل · وعدد درجاته تسع وثمانون وهناك في اعلاه ست عشرة درجة منحوتة مع جدرانها الاربعة في حجر واحد · ومن هذين اللولبين يتطرق الى البرج العربي الذي جدد بناءه السلطان قلاوون فوق اعمدة الهيكل الخارجية

وقد كان الهيكل مسقوفاً سقفاً هرمياً باخشاب تمتد من فوق الطنف

من الجهتين تقابل بعضها بعضاً وقد بقيت اثار تدل على مكان وضع الاخشاب . ومن الاثار المسيحية في هذا الهيكل رسم صليب يوناني تحت قاعدة عمود مضلع في الجدار الجنوبي . ولذا يقال بانه حوّل في زمن ثيودوسيوس او خلفائه الى كنيسة . واما العرب فبنوا في وسطه ثلاثة قبية لم يُعلم الغرض منها . وقد هدمها الالمان ليُظهروا الهيكل بمظهره القديم

قلعة العرب : كان وجود هذه الهياكل المتينة البنيان القوية الاركان اعظم سبب لاغراء العرب الفاتحين على الانتفاع بحصانتها فحولوها الى قلعة منيعة غير محجمين رهبةً عند مشاهدتهم هذه الابنية الباذخة عن مباراة الاقدمين بتشييد قلعة لا تقلُّ عظمةً وقوةً عما سلف من البناء القديم . فبنوا بالحجر الضخم والاحكام في الوضع اسوارًا تطوقها وجعلوا فيها المرامي للسهام بعضها فوق بعض وشيّدوا على جوانبها الابراج والثكنات وزينوها من فوق بالشرفات وقد رفعوا الاثقال ومواد البناء الى ارتفاع شاهق حتى انهم زادوا على علوّ الهياكل علوًا اخر واحاطوها من الخارج بالخنادق الواسعة وجعلوها من امنع القلاع حتى قيل ان من ادلة منعتها ان الصليبيين كانوا يخشون مهاجمتها . واما في داخلها فبنوا بالحجر الصغير مما يشبه ابنيتنا الضئيلة اليوم الجوامع والبيوت والحمامات والايوانات والافران والاسربة . وفرشوا في بعض ابنيتهم الفسيفساء الملونة ووضعوا فيها البرك المزخرفة واجروا اليها المياه من القناة الرومانية القديمة بقنيٍّ من الفخار الصلب وسكنوا القلعة الى منتصف القرن الثامن عشر للمسيح الى ان قوّضتها الزلازل واصبحت انقاضها ركاماً في وسط الهياكل فنظفها الالمان

ومعظم هذه التحصينات ينتهي بناؤه الى السلطان صلاح الدين الايوبي وخلفائه بدليل الكتابات الموجودة على الجدران من الملك الامجد بهرام شاه ابن اخي السلطان . ومن ذلك ما هو للسلطان قلاوون وابنه الملك الاشرف خليل وللسلطان الظاهر برقوق . ولم تظهر كتابات تدل على ان القلعة

اقدم من هذا العهد لولا ان التاريخ ينبئنا عن بعض حوادث حربية جرت فيها على عهد بني طغتكين وايام الاتابك عماد الدين زنكي وذلك قبل عهد السلطان صلاح الدين . فلا يبعد ان العرب الاولين قد حصنوا الهياكل ومدوا سور البلد الروماني اليها واكملوه الى الاحاطة بالبلد منها ثم زاد الايوبيون وسلاطين مصر من المماليك في تحصيناتها ونقشوا اسماءهم على جدرانها

وكان باب القلعة العربي في الزاوية القبلية الغربية ووراءه اقبية وتعاريج تؤدي الى باب ثانٍ ثم ثالث لتزيد العقبات في وجه العدو قبل ان يظفر بالقلعة وبعد الباب الثالث ممشى معقود وراء الهيكل الصغير يتصل بابنية السكن في البهو الكبير واكثره اليوم مردوم . وغربي هذا الممر اثار جامع مبني بالركائز المربعة وفي صحنه بركة مدوَّرة وامامها المحراب وكان على اسم ابرهيم الخليل وقد ذكرهُ زكريا القزويني في اثار البلاد . ووراء الجامع للغرب ايضاً برجٌ ذو ثلاثة طوابق ومرامٍ للسهام يتصل من جهة بباب القلعة ومن الجهة الاخرى بسورها ذو الثلاثة الطوابق من القناطر وفيها مرامٍ للنبال . وهذا السور يحيط بالهياكل كلها على اربع جهاتها والقسم الاكبر منها مبني فوق البناء الروماني القديم تارةً على قواعد عُمُد هيكل جوبيتر الشمسي وطورًا فوق معابد البهو الكبير والمسدس والرواق المقدم الى ان يبلغ امام الهيكل الصغير حيث تراه مبنياً على درج الهيكل ومنتهياً ببرج كبير (انظر الخارطة) مبني على طرف درج الهيكل وهو الان ذو طابقين من البناء وقد كان ذا ثلاثة . وللبرج باب من الطراز العربي المقرنص ووراءه باب صغير للطابق الاول بينهما فراغ يتصل بالطابق الثالث وقد كان لحماية الابواب برمي الحجارة والزفت الغالي كلما تقدم العدو لتحطيمها . ويُهبط الى الطابق الاول بدرج ينتهي امام فسحة بنيت على جوانبها غرف وبينها قناطر وفيها كلها مرام للنبال

وبجانب الباب الكبير باب صغير وامامه درج يصعد فيه الى الطابق

الثاني وفي زواياه الاربع غرف لرجال الحرب فيها مرام للسهام ما عدا واحدة منها عن يمين مدخل هذا الطابق وهي صغيرة ولها قبة جميلة ويدعوها الاهلون حبس الدم · وفي الغرفة شمالي المدخل باب درج يؤدي الى صهريج للماء · وبين الغرف قناطر ذات مرام للنبال · واما الطابق الثالث فيصعد اليه بدرج جدد بناوه حديثاً ولم يبقَ من تحصيناته سوى الانقاض وكان هذا الطابق يتصل بالتحصينات المبنية فوق اعمدة الهيكل الصغير الخارجية وهذه تنتهي الى باب القلعة الذي ذكرناه قبلاً

قد احتفر العرب اباراً في داخل القلعة ليامنوا مضرة انقطاع الماء عنهم وهم في القلعة · من ذلك بئر في البهو المسدس واخرى بقرب حوض الماء الايمن في البهو الكبير واهمها البئر التي احتفروها بين جدار القبو القبلي ودكة الهيكل الصغير مما يلي الدرج ويبلغ عمقها نحو الخمسة والاربعين متراً ولعلها بئر الرحمة التي ذكرها ابن شداد والدمشقي (انظر وجه ٣١ و٣٢) متوهمين نضوبها في ايام الامن وفورانها عند وقوع الحصار وحصول الخطر

الجدران الخارجية والدكة الصغيرة : لا بد للزائر ان يطوف حول القلعة ليستوفي رؤية اثارها من الخارج ويشاهد الحجارة الهائلة في دكة هيكل جوبيتر الشمسي · ولذلك اتيناه بوصف ما هنالك من جليل الاثر

ان من يخرج من القبو الاول الذي دخلنا منه ويتجه نحو الجنوب حيث الفياض الكثيفة يرى جداراً شاهقاً اسفله ينتهي للقبو المذكور واعلاه للبهو الكبير وفوق اثار طنفه تحصينات العرب · وفي اسفله المدخل المثلث للغرفة الجميلة التي وصفناها في القبو الاول · ثم باب غرفة اخرى بقربها كتابة عربية للظاهر برقوق عفا اكثرها · ويرى تجاه الهيكل الصغير جداراً عربياً بني على القسم الاسفل من درج الهيكل وبعده البرج العربي الذي وصفناه قبلاً · ثم الجهة الجنوبية من الهيكل الصغير وما بقي من

اعمدته الشاهقة مبني على دكَّة ضخمة · وبعد ذلك تحصينات العرب متصلةً بباب القلعة المبني على الزاوية الغربية وقدسُدَّ حديثًا وهناك كتابة للملك الاشرف خليل بن قلاوون (انظر الخارطة)

ثم يتجه نحو « الوجه الغربي » فهناك اصيق باب القلعة برج بناه الامجد بهرام شاه بدليل كتابة عليه وتحتها كتابة اخرى للملك الظاهر برقوق مجدد بناء الخنادق · و بعد البرج المذكور تمتد تحصينات العرب الى ثغرة كان فيها احد ابواب القلعة المدعو بباب النحاس (انظر الخارطة)· وكان امامه فوق الخندق جسر نقال يرفع في زمن الحصار وتحته باب مطمور في اسفل الخندق يؤْتى اليه من الداخل بدهليز ودرج · ثم تمتد التحصينات حتى تمس الجهة الغربية من « دكَّة الهيكل الكبير » وفيها الثلاثة الحجارة التي حير نقلها وتركيبها المهندسين واولي الالباب (انظر وجه ١١٥) وقد بُنيت على الاساس المتصل بالصخر وحجارته بالنسبة لما فوقها تظهر حقيرة ضئيلة · والمدماك الاول من الدكة مركب من ستة حجارة يبلغ طول الواحد منها ١٠ امتار وعلوه ٤ وهي على صف واحد مع الجدار الجنوبي والشمالي الذي نوهنا بهما عند وصف الدكة · وقد بُدِئَ فيها بنحت الافريز الاسفل من الدكة · وفوق الستة الحجارة ثلاثة طول الواحد منها ١٩ مترًا ونصفًا وعلوه ٤ امتار و١٠ اس وضخامته ٣ امتار و٦٥س مما يبلغ ٢٩٢ مترًامكعبًا و يزن ٧٢٠ طنًا · ومما يدل على هول وجسامة هذه الحجارة انه لو صفَّ خمسون حجرًا مثلها على خط مستقيم لبلغ طولها كيلو مترًا واحدًا · وهي مع هذه الضخامة محكمة التركيب حتى يستحيل ادخال الابرة بينها · وفوق الثلاثة الحجارة تحصينات العرب و بينها قطع من قواعد الاعمدة وافاريزها المنقوشة وهناك كتابة عربية للملك الامجد بهرام شاه على الزاوية الغربية حيث « باب الهوآء »

اما « الوجه الشمالي » ففيه تكملة الدكَّة العظيمة وهو حائط طوله ٩٤م

و٠٥ س مؤلف من حجارة بنسبة الستة في الحائط الغربي ومقابل التسعة في حائط الدكة الجنوبي (انظر الخارطة) . والفسحة التي بينه وبين الجدار الحامل عمد الهيكل ليست مرصوفة كما في الجهة الجنوبية لان بناء الدكة لم يكمل . وقد ثقب العرب احد الاحجار التسعة وفتحوا فيه باباً صغيراً يدخل منه الى الفسحة الفاصلة بين الدكة والجدار الداخلي واطلقوا عليها اسم المارستان . ويُرى فيها الان بضع قطع من الاعمدة والحجارة المنقوشة الساقطة من اعمدة الهيكل الشمالية حيث ترى قواعدها السبعة عشر وقد بنيت عليها تحصينات العرب

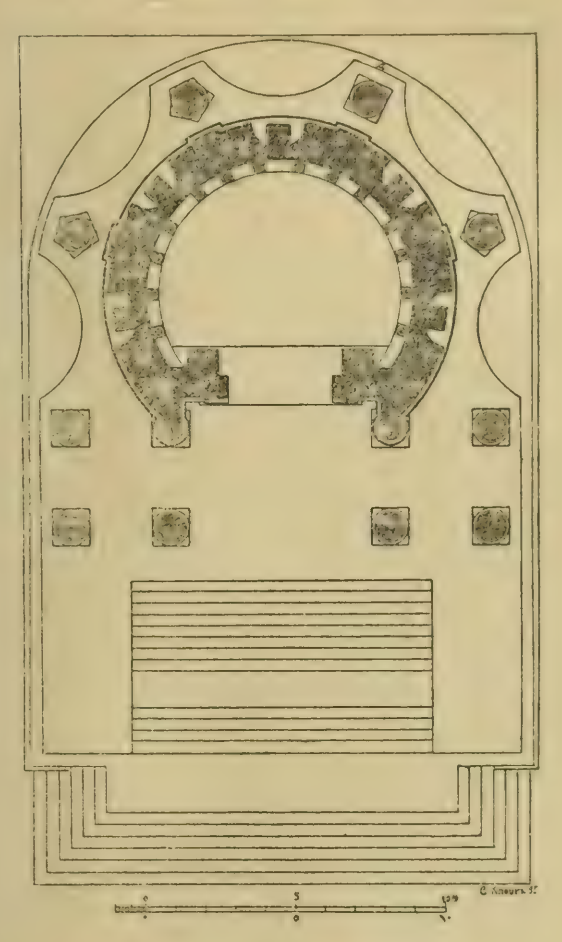
ثم يجتاز الدكة العظيمة الى امام مخرج القبو الثاني وقد سُدَّ نصفه وفوقه تحصينات عربية . وبعده جدار البهو الكبير المبني فوق القبو . وفيه غرفتان للقبو احداهما ذات نقوش ومواقف للاصنام تقابل الغرفة التي في القبو الاول . وبعدها يتخطى الى مدخل القبو الثاني وبجانبه حائط البهو المسدس ثم جناح الرواق الايمن او مدخل الهياكل القديم

وفي « الوجه الشرقي » ترى واجهة الرواق المنوه به وفي مقدمتها اثنتا عشرة قاعدة للاعمدة التي كانت امام هذا الرواق . وكان ممتداً امامها الدرج العظيم ذو الثلاث المساطب وقد عوضت عنه البعثة الالمانية بدرج وهو وان قلَّ عرضاً لكنهُ مبنيٌّ على هندسة ونسق الدرج القديم وعلى امتداده الاصلي . ويرى على القاعدة الثالثة من جهتي صف الاعمدة كتابتان لاتينيتان اتينا على ذكرهما وتفسيرهما في الوجه ٤١ . والبناء الاسفل من هذا الرواق غير جميل ولا منتظم وذلك لانه كان محجوباً عن الانظار بالدرج الكبير . وفيه بعض غرف وامامه اثار قناة الماء التي كانت تسقي القلعة من مياه نبع الوجوج

وفي « الوجه الجنوبي » يرى جناح الرواق الايسر وقد زعزعته الزلازل وهدمت جانباً منه وفي اسفله باب غرفة مسدود وبعده الجهة الاخرى من

البهو المسدس ' وفيه تحصينات وكتابات عربية ثم باب القبو الاول الذي بُديء منه بالطواف حول الهياكل

اثار بعلبك القديمة خارج قلعتها



الهيكل المستديراو هيكل الزهرة (ڤينس) : الى الجنوب الشرقي من القلعة وعلى مسافة ١٥٠ مترًا منها هيكلٌ صغيرٌ مستدير الشكل اتجاهه قبلةً بشرق عُنيَت البعثة الالمانية بفصله عن البيوت التي كانت تحيط به وصانته بسور متين . وهو هيكل رائع الهندسة لا يبلغ شأ و تلك الهياكل بالعظمة والضخامة ولكنه على صغره لا يقل عنها اتقانًا وزخرفًا

بني هذا الهيكل على دكّة طولها مع الدرج المتقدم الهيكل ٢٣ مترًا وعرضها ١٥ وعلوها ٣م و٧٠س وهي تحت الهيكل مؤلفة من خمسة انصاف دوائر يقوم عمود على كلٍ من اطرافها الستة التي تحيط بالهيكل من الخارج على بعد ٦٥ سنتيمترا من جداره وقد بقي منها الى الان اربعة . ويبلغ طول العمود ٨ امتار ودائرته ٣ وهو من قطعة واحدة وله تاج قورنثي الشكل بديع الصنعة . وليس للاعمدة من سقف يصلها بجدار الهيكل . ولكن للجدار افريز وطنف يبرزان منه حتى يمسّا تاج العمود ثم ينحصران و يبرزان الى العمود الاخر حتى كأنهما بين العمودين كنصف دائرة . وهكذا الافريز والطنف يمثّلان من فوق انصاف دوائر الدكّة من تحت . ويقابل كل عمود في حائط الهيكل المستدير عمادٌ مربع (Pilastre) بارز في الحائط له تاج قورنثي بين الواحد والاخر مواقف للاصنام . ويرى في سقف احد المواقف تجسّم طير كبير وفي الاخر رسم الزهرة الهة الهيكل خارجةً من صدفةٍ يحفها ملاكان من الهة الحب

وامام باب الهيكل درج ذات ثلاث مساطب يصعد منها الى رواق قائم على اربع اعمدة تتقدم فسحةً صغيرةً امام الباب الذي كان يبلغ علوهُ ٦ امتار وعرضه ٣ ونصف . وكان كلٌ من قائمتيهِ وعتبتيهِ حجرًا واحدًا سقطت منها العتبة العليا

وليس في داخل الهيكل من الزخرف الا افريز بسيط بارز في الجدار يعلوه في منتصف الحائط افريز اخر كان يحمل خمسة اصنام تعلوها واجهات مثلثة منقوشة نقشاً جميلاً . ولربما كان في وسط الهيكل على قاعدة درجية معبودة الهيكل ڤينس وعلى المواقف تماثيل جواريها . وينتهي جدار الهيكل بافريز وطنف (قفا تحته) عليهما نقوش لطيفة . وكان الهيكل مسقوفاً بقبة حجرية كما يستدل من الحجارة المقوّسة الباقية فوق الطنف

وقد حوّل المسيحيون هذا الهيكل الى كنيسة خصّوها بذكر القديسة

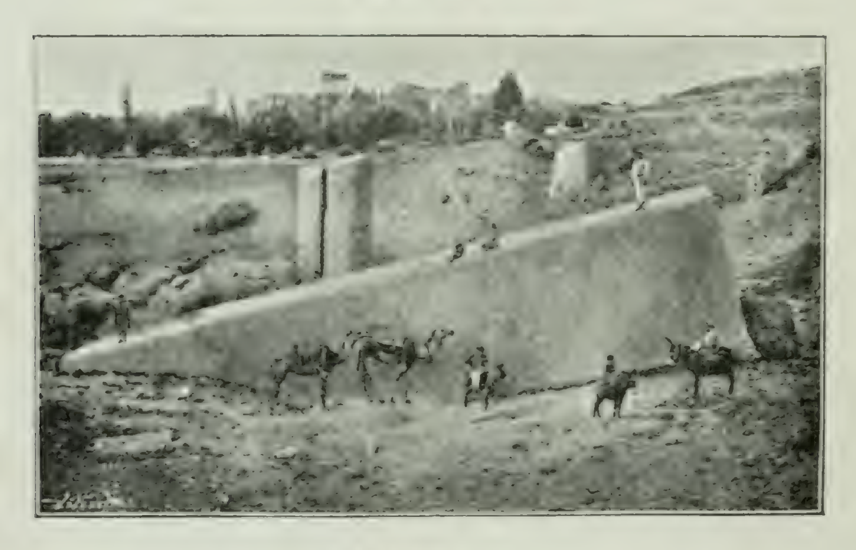
بربارة شفيعة المدينة · ومن تقليدات الاهلين ان هذه الشهيدة ولدت في بعلبك واستشهدت فيها · ولم تبرح الاهالي من الاسلام والمسيحيين يدعون هذا الهيكل « البربارة » الى اليوم · ولم يزل على جدران الهيكل كثير من الرسوم المسيحية كالصلبان ومحل ايقونة على الباب · وفي داخل الهيكل للشرق رسم صليب يوناني بالحبر الاحمر الثابت ضمن دائرة فوقها شعار قسطنطين الكبير TOYTU NIKA « بهذه العلامة تنتصر »

الجامع الكبير : هو للشرق من هيكل الزهرة يوصل اليه من زقاق ضيق · كان في ما سلف من السنين على حسب ما ينصّهُ التقليد وما يرى فيه من الشارات المسيحية كنيسةً للقديس يوحنا فحولها المسلمون الى جامع وكان الجامع الاعظم في عمرانه ولكنه لم يفقد الان غير سقفه · وهو في داخله ذو ثلاثة صفوف من الاعمدة القصيرة بعضها من الحجر المحبّب (الغرانيت) وبعضها من الحجر الاصم وعلى اكثره تيجان قورنثية تحمل اقواساً قنطرية يرتكز عليها السقف · وقد وضعت العُمُد بلا ترتيب ولا نظام فاكثرها وضع على الارض بلا قواعد وبعضها يحمل تيجاناً لا تناسب حجمها · ويرجَّح بان العرب نقلوها من اعمدة البهوين في القلعة بعد ان قطعوا شيئاً من طولها · ويفصل الجامع عن الدار التي بجانبه صف من الركائز المربعة ذات اقواس · وهناك على ركيزة في الوسط ضمن الجامع جرن للماء عليه نقوش عربية وكان تحته حوض لقبول الماء ويظنُّ بان الجرن اخذ من الكنيسة القديمة حيث كان للمعمودية

والى جانب الجامع دار فسيحة مربعة يحيط بها رواق من القناطر من الشرق والشمال والغرب لم يبقَ منه سوى قنطرتين في الجهة الشمالية · ووراء الرواق من الشرق غرف كانت للتدريس وعلى ابوابها كتابات عربية تجد نسختها في الفصل السابع · وفي وسط الدار بركة للماء كان على جوانبها الاربعة اعمدة تحمل قبةً ولم يبقَ من ذلك الا الاثر · وفي زاوية الدار



هيكل الزهرة



المقلع وحجر الحبلى



الشمالية مأذنة . وعلى جدار الجامع من الخارج عدة كتابات عربية لا تخلو من الفائدة ونسختها في الفصل السابع

ملعب المدينة القديم (التياترو) : اول من ظن بوجود ملعب المدينة في مكان نزل بلميرا هو الاب جوليان اليسوعي [١] . وقد رجّحت الحفريات الالمانية ظنّهُ . وكان صاحبهُ الخواجه بركلي ميميكا كي قد وجد عند بنائهِ النزل جدراناً مشتبكة فهدمها ووجد قطعاً من الاعمدة وبضعة تماثيل وكتابات يونانية لم يزل بعضها عندهُ ومنها ما أُرسل للاستانة العلية فبقي في بيروت . ووجد ايضاً مطموراً وراء النزل للقبلة مدخلاً عرضهُ خمسة امتار وفوقهُ قنطرة تعلوها صورة امرأة مهشّمة . وعلى بعد نحو عشرين متراً يُرى على الطريق الممتد امام النزل بقية جدار مبني بحجارة ضخمة فبحثت اللجنة الالمانية تحت هذا الجدار فوجدت على عمق متر ونصف من سطح ارض الطريق باباً كبيراً متجهاً للقبلة وعليهِ عتبة ذات نقوش وقائمتاه من الجانبين كنصف دائرة ويُظَنّ أنّ على جانبيهِ بابين اخرين مثله . ولم تتمكن اللجنة من اجراء حفر مدقق في تلك البقعة لما عليها من الابنية ولكنها قالت اذا كان هذا البناء ملعب المدينة فهذه ابوابهُ وقد يكون المدخل القنطري في الداخل لمرور المصارعين والممثلين الى الملعب . وبعد الحفر رُدِمَ الباب والمدخل القنطري

النكروبوليس او المدافن القديمة : في بعلبك مغاير كثيرة تحتوي على مدافن منحوتة في الصخر ويستدل من اثار نحتها على أنّ منها ما يمكن نسبتهُ للفينيقيين ومنها ما هو يوناني وروماني وبيزنطي . ويُرى في جبل الشيخ عبد الله كثير من هذه المغائر واشهرها ديماس كبير في المحلة البرانية وراء دير الراهبات . ومما يؤسف عليهِ ان اصحاب تلك البقعة ردموا مداخلهُ حتى لا ينزل اليهِ ولم يتركوا سوى بضع مغائر لا تنفذ الى الديماس .

(١) بعلبك . الفصل الخامس . وجه ٦٧ — Baalbek, ch. V, p. 67.

وكنت قد زرته قبل ردمه فوجدته سرداباً يوصل الى مغائر منحوتة بالصخر وفيها مدافن كثيرة وينفذ من كثير من هذه المغائر الى غيرها على مسافة بعيدة ونتمنى ان يعنى ابناء القرون المقبلة بهذه المغائر الجزيلة الفائدة فلا يغادروها دفينة الجهل والاهمال

ومما يستحق الزيارة المكان المعروف « بالشراوني » الممتد في بقعة واسعة من الارض في شمالي شرق القلعة واجلّ ما يدعو فيها للنظر اغوار واسعة منحوتة باليد شرقي القلعة وعلى مسافة خمس عشرة دقيقة منها وراء الاسوار . وهي تحتوي على مغائر في كل منها ثلاثة مدافن في الوسط وعن الجانبين . وهناك على الصخر كتابتان يونانيتان لم يبقَ منها سوى بضعة حروف . و يا حبذا لو نُظّفت كل هذه المغائر واُظهرت للعين . و بين الصخور الممتدة الى مسافة بعيدة كهوف ومغائر عديدة تحتوي على قبور تُعَدّ بالالوف وتنبئ عن قدرة الانسان في عصور متوغلة في القِدَم توصّل فيها الى اعمال عجيبة دون آلات تُعرَف او وسائط تُوصَف

المقلع القديم وحجر الحبلى : أُخذت حجارة الهياكل والاسوار القديمة من مقالع متفرقة تحيط بالمدينة منها « تل الابيض » في الشمال «والكيّال» للغرب . وفي الاثنين مغائر ومدافن كثيرة . وفي صخورها اثار قطع الحجارة ونرجّح بان حجارة النقوش اخذت من الكيّال لجودة حجره . واما المقلع الاكبر والاكثر شهرة فهو جنوبي القلعة في اول البلد عن يمين طريق العربات وترى فيه آثار الاحجار المقطوعة واكثرها قطعت عمودياً . ولا يزال في ارض المقلع حجر كبير يسمّى « حجر الحبلى » لخرافة ترويها الاهالي عنه . وطوله ٢١ متراً وعرضه من اسفله ٥ امتار و٣٠ س ومن وسطه ٤ م و٧٥ س ومن اعلاه ٤ م و٢٠ س وعلوه ٤ م و٢٠ س . وقد قُطع ونُحت وجُهّز ليبنى في دكّة هيكل جوبيتر العظيمة حيث تقوم امثاله الان ولكن ترك لسبب لا يعلمه الاّ الله . وقد قدّره احد المهندسين بار بعمائة

متر مكعب زنته الف طن و يلزم لرفعه قدماً واحدة عن الارض قوة عشرين الف حصان . فهذا ما يقضي بالعجب العجاب و يستوقف الفكر حائراً عند الطريقة التي توصل بها القدماء الى نقل ورفع وتركيب مثل هذه القطع الهائلة كما يشاهد الآن في الدكة حيث الثلاثة حجارة التي يكاد يعادل كلٌ منها ثقلاً وجرماً هذا الحجر . ويرى بقرب حجر الحبلى صخرة مقطوعة عمودياً الى حجرين متساويين يبلغ طولها نحو عشرة امتار

ويمتد هذا المقلع قبلةً الى مسافة بعيدة وهناك تشاهد صخور قائمة واغوار في المكان المدعو بالوادي الجواني

ولا يبعد ان ما يشاهد في المقالع من المدافن كان للفعلة التي ذهبت حياتها ضحيةَ الاشغال الشاقة فيها . وقد روى لنا ثيودوره وسوزومن المؤرخان بان حكام الاسكندرية كانوا يرسلون في زمن يوليانوس الجاحد المسيحيين من مصر الى بعلبك الشهيرة بسلطة وتعصب كهنتها ليفسدوا ايمانهم واذ لم يكن فيها مسيحيون قادرون على اعالتهم كان الحكام يشغلونهم في المقالع

طريقة البناء وجز الاثقال

اما كيفية نقل الحجارة الضخمة الى الهياكل ورفعها وتركيبها باتقان فهي من المسائل التي طالما تباحث فيها مهندسو الاجيال ولم يتفقوا على حلها . فقال قوم بانها نُقلت ورُفعت ورُكبت بآلات فقدت . وقال اخرون انما وضعت في مراكزها بتعلية الارض على خطٍ منحنٍ من المقالع الى مكان البناء فكانوا يدحرجون الحجارة الكبيرة على هذا الخط مستعينين بقضبان حديدية تزلق عليها الحجارة ومن تحتها اسطوانات من حديد لمنع

الاحتكاك · وعند ذلك كانوا يدفعون الحجارة بالامخال والعتلات · وأيَّد قوم من المهندسين هذا الرأي وقالوا بانهم عند ما يشأون نقل الحجارة الى ارتفاع شاهق كالتي في رؤوس العمد كانوا ينصبون لها المرتفعات (الصقالات) من جذوع الاشجار الكبيرة ويرفعون الحجر من مرتفع الى اخر بالمخل آلة ندعوها اليوم بالونش حتى يصل الحجر الى مركزه · ويُرى في كل الاحجار والاعمدة ثقوب منها ما هي مربعة ومنها ما هي مستطيلة وواسعة من الداخل فالمربعة كانت لتقبض عليها كلاليب الالة الرافعة والمستطيلة كانت لوضع حلقات فيها يُفتَح مغرَزُها في داخل الحجر فتثبت الحلقة فيه ويعلَّق فيها الزرد او الحبال لتجر او ترفع الحجر · غير اننا لو سلمنا بنجاحهم في النقل والارض امامهم ممهَّدة ومتَّسعة فكيف اوصلوا تلك الحجارة الهائلة الى العلو الشاهق في رأس البناء واحكموا وضعها الى حدٍ لم يتركوا عنده مغرز ابرة بين الحجر والاخر غير مستعملين لضبطه كلساً وغيره من المواد ذلك مما لا يد لنا في تأويله

واما الاعمدة الغرانيتية فقد جلبوها من مقالع اصوان في مصر لانه لا يوجد مقالع من جنس هذا الحجر في سورية · فلا بد من انهم كانوا ينقلون القطع على أرماث (اطواف) يقيدونها بالمراكب فتقطرها في النيل والبحر المتوسط الى سواحل سورية · وقد اكَّد الاثري المدقق الاب لامنس اليسوعي وجود اثارٍ لطريق روماني بين جبيل وبعلبك صادعٍ بالعاقورة واليمونة [1] · فلا بدَّ اذاً من انهم كانوا يرفعون قطعة العمود على عجلات متينة تقطرها الثيران القوية على هذا الطريق الى ان تبلغ بها بعلبك بيدَ أن استبداد الحكام القدماء ومعاملتهم اسراهم وكثرة المستعبدين عندهم كان من اكبر الوسائل لتشييد هذه الابنية العظيمة · والله اعلم بالصواب

(١) المشرق · السنة الثانية · وجه ٤٢٩

*
* *

هذا ما اتينا به من وصف هذه الاثار العظيمة الشان · الهائلة البنيان · ولكنَّ الخبر ليس كالعيان · فمن رأى ذهل · ومن نظر وجل · ومن كحلت مقلتاه هاتيك الطلول · أيقن بان لسان حالها يقول

تخلَّفُ الاثارُ عن اصحابها   حيناً ويدركها الفناء فتتبعُ

*
* *

ملحةٌ اثرية

كتب احد ايمة اللغة العربية على حائط قلعة بعلبك

يا بعلبكُّ غريبة الأَزمانِ   والعهد والصنَّاع والبنيان
لم تبقِ الايام في حدثانها   الا لتظهر قدرة الرحمنِ

فقرا ذلك اديب عصري فانشد

يا هيكلاً فيه العقول تحيَّرت   يا معقلاً لمفرّق الاديانِ
لم تبقكَ الايام في حدثانها   الا لتظهر قدرة الانسانِ

فسمع اديب اخر بما قيل فانصف بين الاثنين فقال

يا بعلبك غريبة الازمان   بعجائب الصنَّاع والبنيانِ
قدانشأوك غريبةً كي يعربوا   عن قدرة الرحمنِ بالانسانِ



الفصل السابع

في

ما وجد في بعلبك من الكتابات القديمة

عدد ١ «نسخة المؤلف». كتابة لاتينية على حجر وجد بين انقاض سور المدينة وهو اليوم في نرتكس كنيسة الروم الكاثوليك الكاتدرائية. واظنها من عصر بيزنطي

PIÆ MATRI C. TERENTIVS VERECVNDVS

LEG XXI.

وتفسيرها «الى امي پيا . كايوس ترانتيوس ڤركوندوس من الفرقة الواحدة والعشرين»

عدد ٢ «نسخة المؤلف» كتابة يونانية على حجر ملقى في دار المدرسة السورية الانكليزية في بعلبك

KTICMAΠYP

CYNΘШΓΨMA

KEΔШNШN

INΧΘTΞMA

وهذه الكتابة من عصر بيزنطي ايضاً

عدد ٣ . « نسخة المؤلف » . كتابة على دمية امراة وجدت في نزل بلميرا

ΙΟΥΛΙΑ ΕΔΝΑ ΧΑΙΡΕ

عدد ٤ . « نسخة المؤلف » كتابة يونانية على تمثال مقطوع الراس وجد في نزل بلميرا

ΕΡΜΗC ΚΑΙΑΜ [μια]
ΠΛΙΑΤΟCΕ ΠΟΙΗC [εν]

عدد ٥ . « نسخة المولف » كتابة يونانية على عمود في النزل المذكور

ΚΛΛΓΛΙΟC ΑΝΘΙΩΝΟC ΜΑΓΝΟΥ

عدد ٦ . « نسخة المؤلف » كتابة يونانية على الاربعة اوجه من قاعدة عمود مسدسة الزوايا في النزل المذكور

ΩΚΑΛΗC ΗΜΕΡΑC	ΕΝΠΕCΩΝΕ ? C ΜΕΙΡΑ ? ΚΙΟΝΑ ΝΕΥΦΡ ? ΑΝΤΟC
ΕΧΡΟΝΙCΕCΕΑΘΕ ? ΜΕΝΕ ? ΚΕΙΝ Α ΒΕ	S ΑΠΛΗCΤΙΑΝΟΛΕΙΑΝ ΚΕΙΝΕΙ Ο T

عدد ٧ . « نسخة المؤلف » كتابة يونانية على حجر مربع مستطيل في النزل المذكور . طول الكتابة ٦٦ س وعرضها ٥٥ واحرفها جلية واضحة . وقدوجدت بين انقاض اعمدة مطمورة على عمق ٦ امتار عن سطح الارض وهي تأبينية من عصر القياصرة الرومانيين .

ΤΟΥϹΔΥΟϹΥΝΚΡΕΙ
ΝΩΝΔΙΟΝΥϹΙΟΝΚΑΙ
ϹΕΘΑΝΟΝΤΑϹΚΑ
ΚΕΙΝΟΝΖΗΤΩΚΑΙ
ϹΕΠΟΘΩ
ΛΙΒΑΝΕ

ΑΜΦΟΤΕΡΟΙΠΙϹΤΟΙ
ΦΙΛΟΚΥΡΙΟΙΑΛΛΑΝΑΝ
ΚΑΙΟϹΛΙΒΡΑΡΙΟϹϹΥ
ΜΕΝΗϹΙΟΥΡΕΥϹΛΗΝ
ΟΤΑΛΑϹ

عدد ٨ . « نسخة المولف » كتابة لاتينية في نزل بلميرا وجدت بجانب الكتابة السابقة

T. V. IBVI
LIVS.T.F.T.
NM.P.N.FAB.
CORN...... D
. . . .

ϹΤΟΥϹ
ΟΚΥ

عدد ٩ . « نسخة المؤلف » كتابة لاتينية على جهتي حجر كبير مربع مستطيل طوله ٣ امتار وعرضه متر واحد وهو ملقى بقرب الطريق الآخذ من بتدعي الى اليمونة على بعد خمس دقايق من القرية الاولى احرفها طويلة وجلية وهي من عصر القياصرة (انظر وجه ١٧)

FORT | INHIS
AFELICI | PRAE
AIN U | dISMd
TRAQUE | CORNE
PARTE | LIANIET
CYRILLAE
EIUSINU
(صورة غصن) TRAQVEPA
///// TE

عدد ١٠ « نسخة موسيو دي سولسي »[1] وقد قال « انها كتابة يونانية على قطع افريز بقرب سور المدينة جنوبي الهيا كل في حضن الاكمة (الشيخ عبدالله) ·وقريب منها في السور برج بني من انقاض البنا الذي منه هذا الافريز وغالباً يوجد بهدمه كتابات اخرى» . انظر مجموعة الكتابات اليونانية عدد ٤٥٢٣

..... ΟΥ ΓΥΝΗ..... ΘΥΓΑΤΗΡ ΖΗΝΟΔΩΡΩ ΛΥΣΑΝΙΟΥ ΤΕΤΡΑΡΧΟΥ ΚΑΙ ΛΥΣΑΝΙΑ..... ΚΑΙ ΤΟΙΣ ΥΙΟΙΣ ΚΑΙ ΛΥΣΑΝΙΑ..... ΚΑΙ ΤΟΙΣ ΥΙΟΙΣ ΜΝΗΜΗΣ ΧΑΡΙΝ ΕΥΣΕΒΩΣ ΑΝΕΘΗΚΕΝ

فالكلمة الاولى اسم امراة لم يبق من اسمها غير حرفين و بعدها اسم رجل مجهول ومعنى الكتابة « فلانة امراة فلان ابنة فلان بنت هذا لذكر اعزائها اولاً لزينودورس ابن ليسانياس رئيس ربع ثم لليسانياس بن زينودورس ابن ···· ولاولاده ثم لليسانياس ابن ···· ولاولاده

وقد ذكر الموسيو وادنكتون هذه الكتابة في مجموعته وقال « بان العلامة رنان E. Renan ارجع هذه الكتابة الى الاصل كما ترى اعلاه»

(1) *Voyage* II, *pl.* 53.

وقدمها بتقرير منه عن حكام ايلين الى اكادمية الكتابات القديمة · وفيه ترى الادلة والمباحث عن كل النصوص وعن كل الاثار المنسوبة الى زينودورس واسرته المذكورين في هذه الكتابة »(١)

وقد علّق الاب جوليان اليسوعي (٢) تفسيرًا بغاية الاهمية لهذه الكتابة فقال انها اوضحت امرًا مهمًا في انجيل القديس لوقا ص ١ عدد ٣ حين يذكر ليسانياس رئيس ربع على ايلينة (البلاد الكائنة على مجرى نهر بردى) في زمن طيباريوس قيصر · مع ان المؤرخ يوسيفوس يذكر فقط ليسانياس رئيس ربع ايلينة الذي قتل بايعاز كايو بترا قبل زمن طيباريوس باثنين وستين سنة فهذه الكتابة ذكرت ليسانياس المنصوص عنه في تاريخ يوسيفوس وابنه زينودورس واوضحت بان من ذريته كان رجال دعوا باسم جدهم واحدهم عاصر طيباريوس وكان رئيس ربع ايلينة

واما هذه الكتابة فقد اندثرت ولم يبقَ لها اثر وكذلك السور والبرج قد تهدما وقد ذكر لي حقيقة وجودها كثيرون من المسنين واظنها كانت من البناء الذي بنيت بانقاضه قبة الامجد فان فيها افاريز ومنقوشات كثيرة وهي في جهة السور القبلي · انظر وجه ٩

عدد ١١ · « نسخة الاب جوليان اليسوعي » (٣) · كتابة لاتينية على مذبح تقدمة وجد في الارض مقابل خرابات هيكل في نيحا في سنة ١٨٩٣ (انظر وجه ١٩) وهي تُعرب بان المذبح كان مكرسًا للاله السوري هدران الذي كانت تخدمهُ العذارى النادمات · وهي على احد اوجه المذبح بين صورة ذبيحة ثور

HOCMEA VIRGO DEI HADARANIS, QUIA ANNIS XX PANEM NON EDIDIT (كذا) JUSSU IPSIUS DEI, Votum Libenti Animo Solvit.

---

(١) وادنكتون Wadington مجموعة الكتابات اليونانية واللاتينية · عدد ١٨٨

(٢) بعلبك · الفصل الخامس · وجه ٧٣ و ٧٤ (٣) كذلك · الفصل السادس وجه ٨٤

« من هوكمه (او حشمة) العذراء المكرسة ذاتها للاله هدران تذكاراً لقيامها بنذرها القاضي عليها بامر الاله هدران بعدم اكل الخبز مدة عشرين سنة . قد وفت نذرها »

وعلى وجه اخر من المذبح هذه الكتابة :

DEO HADARANI HOCHMAEA Votum Solvit

« حشمة وفت نذرها للاله هدران » وتحتها صورة راس عذراء وهو لا شك صورة حشمة

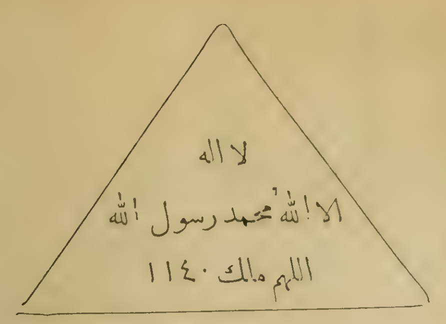
عدد ١٢ . « نسخة المؤلف وفان برخم وسوبرنهم [1] » كتابة عربية

---

(١) نأتي في هذا الفصل على ما نسخناه بذاتنا من الكتابات العربية وعلى بعض كتابات نسخها بعض علماء الاثار في بعلبك فانه جزيل فائدة . ولم نتعرض للكتابات التي وجدها العلماء الالمان في حفرياتهم فانها كثيرة ولهم الحق في نشرها . واما الكتابات العربية فكنا قد نشرنا منها في مطبوعاتنا السابقة ما هو تحت العدد ١٩ و٢٢ و٢٣ و٢٨ و٢٩ الا انهُ وقع بعض اغلاط في قراتها فصححناها في الطبعة الالمانية سنة ١٩٠٠ . ثم زار بعلبك في سنة ١٨٩٦ المستشرق الشهير فان برخم Max Van Berchem فنسخ منها ما هو تحت العدد ١٢ و١٤ و٢١ و٢٢ و٢٣ و٢٤ و٢٨ و٢٩ باغلاط زهيدة وما هو تحت العدد ١٣ و٢٥ و٢٦ و٢٨ و٢٩ و٣٠ و٣١ و٣٢ و٣٣ و٣٦ و٣٧ و٤٠ و٤١ بنواقص واغلاط كثيرة لانهُ لضيق وقتهِ وقلة مكثهِ في بعلبك لم يتمكن من قراتها بتدقيق ولمعرفتهِ ذلك لم ينشرها في مجموعتهِ فلما قدمت البعثة الالمانية الحفر سلّم الموسيو موريس سوبرنهيم Maurice Sobernheim المناطة اليه قراءة الكتابات العربية نسخة ما كان قراءه . فعند وصول الموما اليهِ عهد الينا بمساعدتهِ في ذلك وقراءة كل الكتابات العربية في بعلبك ونسخها بدقة واتقان فقمنا معهُ بهذه المهمة مدة شهرين اعدنا فيها النظر على ما سلف مما قراناه وقراءهُ العلامة فان برخم . فاصلحنا ما كان مغلوطاً وتيسر لنا حل رموز كثير مما تعذرت قراءتهُ قبلاً وقرأنا ايضاً كتابات اخرى لم ينظر فيها احد قبلنا . وبعد سفر الموسيو سوبرنهيم اعدنا النظر في مواضع الريب من بعض الكتابات فحققنا منها ما كان مبهماً وقرأنا بالتأني عبارات لم نتمكن من حلها قبلاً

ومما يذكر ان بعض الجهلاء رآنا نجهد النفس بحل الكتابة الواردة تحت العدد ٣٠ واننا عدنا اليها بعد سفر الموسيو سوبرنهيم مراراً فظن ان في الامر شيئاً وهشمها تهشيماً فلم يبق لها اثر

على باب مأذنة جامع صغير بقرب هيكل الزهرة (انظر وجه ٦)



(١) امر بعمارة هذه المأذنة المباركة في ايام مولانا السلطان (٢) الملك الصالح عماد الدنيا والدين ابي الفدا اسمعيل (٣) العبد الفقير الى الله تعالى ابو الحسن علي عفا الله عنه (٤) بتولي العبد الفقير الى الله عبد الرحمن بن حسان غفر الله له في سنة ثمان وثلثين وستماية

عدد ١٣ « نسخة المؤلف وسوبرنهيم » كتابة عربية مندثرة يمين باب جامع راس العين. كلمات الكتابة مشتبكة وهي عسرة القراءة

(١) بسم الله الرحمن الرحيم بتاريخ ثامن المحرم سنة ثمان وتسعماية .... [امر امير] الامرا (٢) قانصوه بن احمد ... اعز الله انصاره بمنع .... من الجامع ..... الوقف ..... المراسيم الشريفة (٣) برزت باعفائه من مغرم كشف الاوقاف فزيادة عما ...... وعن التعرض الى وقف جهات .... (٤) ومغرم الكشف من الاوقاف ولا طرح واعفائه .... كشف الاوقاف وان ينقش ذلك على بلاطة فمن بدله (٥) بعد ما سمعه فا[نما اثمه] ع[لى الذين يبد]لونه وعليه لعنة [الله] والملايكة والناس اجمعين وصلى الله على سيدنا محمد

والحمد لله وحده

عدد ١٤ « نسخة فان برخم » كتابة عربية في راس العين من زمن الظاهر بيبرس البندقداري ٦٥٨هـ ١٢٦٠م — ٦٧٦هـ ١٢٧٧م)

(١) بسم الله الرحمن الرحيم · عمر هذا المسجد المبارك العبد الفقير الى الله سبحانه (٢) وتعالى بلبل (او بليل) الرومي الدوا دار الظاهري السه [ـ] لدي ابتغا (٣) رضوان الله تعالى والقربة اليه ليكتسب الاجر والثواب وهو ذخر لهُ عند الله سبحانه وتعالى وكمل ذلك في شهور سنة ست وسبعين وستماية (٤) بمباشرة العبد الفقير الى الله ابن حسن محمد الملكي الظاهري السعيدي ونظر العبد الفقير عباس

عدد ١٥ « نسخة المؤلف وسوبرنهيم » كتابة عربية من زمن الملك السعيد بن الملك الظاهر على حجر فيه اربع حنايا وهو مرتكز على حجر اسود في بركة راس العين · والكتابة مقلوبة وهي على اربع جهات الحجر

(١) بسم الله الرحمن الرحيم جدد هذا الـ | · · · · · · · الملك السعيد ناصر الدنيا والدين · · · · · · المؤيد | · · · · · · · · | · · · · · · · · · · |
(٢) · · · · · · · · · | · · · · · · الله · · · · · | العبد الفقير · · · · · ·
محمد · · · · الظاهري متولي قلعة بعلبك المحروسة | يومئذٍ وذلك بتاريخ مستهل ذي الحجة [سنة] سبع وسبعين وستماية

عدد ١٦ · « نسخة المؤلف وسوبرنهيم » كتابة عربية من زمن السلطان الملك الناصر فرج فوق باب قبة السعادين

(١) انشا هذه التربة المباركة المقر الاشرف الشيخ كافل المملكة الشامية (٢) اعز الله تعالى انصاره وجعلها وقفاً محبساً على المقر الاشرف المرحوم يسمك (٣) تغمده الله برحمته ومن جاوره المقر المرحوم جركس وكان الفراغ في سنة اثنين وعشرة وثمانمية

وكان · · · شيخ القوم هلال (او جلال) (كذا)

عدد ١٧ « نسخة المؤلف وسوبرنهيم » كتابة عربية على افريز عمد قبة دورس للغرب

امر بعمارة هذا الموقع (او الموضع) المبارك عيسى (٢) ابن حسن · · ·

في سنة احد واربعين وستماية

عدد ١٨ « نسخة المؤلف وسوبرنهيم » كتابة عربية فوق باب قبة الامجد على راية الشيخ عبد الله

(١) انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر و(٢) امر بعمارة هذا المسجد المبارك الامير الاسفهسلار الكبير (٣) صارم الدين ابو سعيد خطلخ بن عبد الله المعري الملكي الامجدي (٤) ضاعف الله له الثواب وغفر له يوم الحساب في سنة ست وتسعين وخمسماية

عدد ١٩ « نسخة المؤلف » كتابة عربية كانت على باب دمشق احد ابواب سور بعلبك (انظر الطبعة الاولى العربية والافرنسية الثانية)

(١) بسم الله الرحمن الرحيم . امر بعمارة هذا الصور (كذا) (٢) المبارك مولانا الملك العادل المجاهد نور الدين ابو (٣) القاسم محمود بن زنكي بن اقسنقر ضاعف الله له الثواب (٤) وغفر له ولوالديه يوم الحساب ابتغاء مرضاة الله (٥) وتقربًا اليهِ في سنة ثلاث وستين وخمسماية

عدد ٢٠ « نسخة المولف وسوبرنهيم » كتاية عربية على باب نحلة احد ابواب سور بعلبك

(١) بسم الله الرحمن الرحيم . جدد فتح هذا البرج المبارك في ايام مولانا السلطان الاعظم شاهنشاه المعظم [مالك رقا]ب الامم سيد ملوك (٢) العرب والعجم الملك الناصر ناصر الدنيا والدين ابي الفتح بن السلطان السعيد الملك المنصور قلاوون الصالحي خلد الله [نصره او ملكه] الاشرفي (٣) . . . . . اعلا وبجز في تاريخ نهار الثلثا سابع ساعة سابع عشرے (كذا) صفر سنة سبع عشرة وسبعماية وهو اليوم الذي فيه [حضر] السلطان الى هذا المكان

عدد ٢١ « نسخة المؤلف وفان برخم وسوبرنهيم » كتابة عربية في الجامع الحنبلي للسنَّة

بسم الله الرحمن الرحيم . جدد هذا المكان المبارك في ايام مولانا السلطان الاعظم شاهنشاه المعظم (٢) مالك رقاب الامم سيد ملوك العرب والعجم والترك والديلم الملك المنصور سلطان الاسلام والمسلمين قامع الكفرة (٣) والمشركين محيي العدل في العالمين ملك البحرين خادم الحرمين الشريفين ابي المعالي قلاوون قسيم امير المومنين خلد الله سلطانه وشد ازره ببقاء ولده وولي عهده مولانا السلطان الملك الصالح علا الدين وادام [نصر]هما (٥) وجعل البسيطة ملكهما بتولي الامير نجم الدين حسن نائب قلعة بعلبك المحروسة ومدينتها ونظر القاضي بهاء (٦) الدين بن خلكان وذلك في العشر الاخر من جمدى (كذا) الاول سنة اثني (كذا) وثمانين وستمئة والحمد لله وحده

عدد ٢٢ « نسخة المولف » كتابة عربية في الجامع الكبير نصّها كنص الكتابة السابقة باختلاف زهيد . ابتداوها « جدد هذا الحائط المبارك والشبابيك في ايام الخ » وليس فيها ذكر للقاضي بن خلكان وتاريخها مثل السابقة

عدد ٢٣ « نسخة المؤلف » كتابة عربية فوق التحصينات المبنية على سطح اعمدة الهيكل الصغير الخارجية (انظر الطبعة العربية سنة ١٨٨٩ والافرنسية الثانية ١٨٩٦)

(١) بسم الله الرحمن الرحيم استجد عمارة هذه القلة في ايام مولانا ا (٢) لسلطان الاعظم شاهنشاه المعظم مالك رقاب الامم سلطان العرب (٣) والعجم المؤيد من السما المنصور على الاعدا الملك المنصور سيف الدنيا (٤) والدين غياث الاسلام والمسلمين مبيد الطغاة والملحدين قاهر الخوارج والم[تـ]ـمر[د]ين (٥) ملك البحرين خادم الحرمين قلاوون قسيم امير المؤمنين خلد الله ملكه (٦) بتولي العبد الفقير الى الله مملوك دولته وغرس صدقته حسن بن محمد (٧) المتولي يومئذٍ ووافق الفراغ من ذلك في

مستهل رجب المبارك سنة احدى وثمانين وستماية

عهد مولانا الملكي

المراد بالقلة هنا البرج العالي فان قلة الجبل اعلاه كما ذكرها الهمذاني

عدد ٢٤ « قراة المؤلف وسوبرنهيم » كتابة عربية من زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣ هـ — ٧٤١) على حائط البهو المسدس من الخارج

(١)عمر هذا الصور (كذا) المبارك في ايام مولانا السلطان الملك (٢) الناصر عز نصره في نيابة المقر الناصري برلاقوش سنة اربع وتسعين (وستماية)

عدد ٢٥ « نسخة المؤلف وسوبرنهيم » كتابة عربية على نفس الحائط المذكور من زمن الملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ٧٤٨ هـ — ٧٥٢)

(١) عمر هذا المكان في ايام مولانا (٣) السلطان الملك الناصر بن الملك الناصر محمد بن قلا (٣)ون في ايام ملك الامرا . . . . (٤) . . . . (٥) . . . .

عدد ٢٦ . « نسخة المؤلف وسوبرنهيم » كتابة عربية تكاد ان تكون محيةً على حائط غرفة في القبو القبلي مقابل الخندق . وهذه الكتابة تفيد تجديد الخندق في زمن الظاهر برقوق ٧٨٤ هـ — ٨٠١

(١) جدد هذا الخند[ق في ايام مولا]نا السلطان الملك الظاهر العالم . . . (٢) . . . . اعز الله انصاره باشارة المقر الكريم (٣) السيفي تنكز بغا الظاهري نائب السلطنة الشريفة ببعلبك المحروسة عز نصره (٤) . . . . . . وتسعين وسبعماية ونظر المعلم عبد الله ابن العزيزي المهندس

عدد ٢٧ . « نسخة المولف وسوبرنهيم » كتابة عربية على باب القلعة في الزاوية القبلية الغربية

(١) بسم الله الرحمن الرحيم . عز لمولانا السلطان الاعظم شاه شاه (كذا) المعظم ما | لك | (٢) رقاب الامم سيد ملوك العرب والعجم الملك الاشرف صلاح الدنيا والدين رافع [لواء] (٣) الامان قامع عبدة الصلبان فاتح الثغور الساحلية محيي الدولة العباسية ابو الفتح | (٤) خا[ـ]ل بن السـ[ـلطا]ن | الملك المنصور اعز الله نصره وذلك في نصف العبان سنة تسعين وستمية بولاية عبد دولته الشريفة . . .

عدد ٢٨ . « نسخة المؤلف وسوبرنهيم » كتابة عربية باسفل حايط برج بجانب باب القلعة للغرب تجاه الخندق

(١) جدد هذا الخندق المبارك في ايام مولانا السلطان الملك الظاهر العالم (١) العادل المجاهد [المؤ] يد المنصور ابي سعيد برقوق اعز الله انصاره باشارة (٣) المقر الكريم العالي [السيفي تنكز] بغا نائب السلطنة الشريفة ببعلبك عز نصره في سنة ست وتسعين وسبعماية

عدد ٢٩ . « نسخة المؤلف وسوبرنهيم » كتابة عربية على حائط البرج فوق الكتابة السابقة

(١) بسم الله الرحمن الرحيم (٢) هذا ما امر بعمله مولانا السلطان الملك الامجد العا (٣) لم العادل مجد الدنيا والدين بهرام شاه بن فرخشاه بن (٤) شاهانشاه بن ايوب عضد امير المؤمنين اعز الله سلطانه (٥) وشد بالنصر شانه في سنة احدى عشرة وستماية (٦) بولاية الامير تقي الدين بن عبدالله الملكي الامجدي

عدد ٣٠ « نسخة المولف وسوبرنهيم » كتابة عربية تحت شباك في برج باب الهواء من الخارج تكاد تشبه الكتابة السابقة ولكن تاريخها سنة ٦٢٢ ولا ذكر فيها للامير الوالي

عدد ٣١ « نسخة المؤلف وسوبرنهيم » كتابة عربية من زمن السلطان قايتباي (٨٧٨ — ٩٠١) على جانبي باب الجامع الكبير القبلي

١ برزت المراسيم الشريفة لو اقبل والملك
٢ بان لا يؤخذ من فلاحي قرية حربتا حطباً ولا
٣ قمحاً بغير ثمن يوماً من الدهر نادر
ذلك رسم شريف بمدة ذلك بتاريخ ثمان
الدو [ادار] مرسوم وسبعين وثمانماية والحمد لله

(حربتا قرية في قضا بعلبك مشهورة بكثرة احراشها وجودة حطبها)

عدد ٣٢ . « نسخة المولف وسوبرنهيم » كتابة في دار الجامع الكبير فوق باب في الجهة الشرقية

(١) بسم الله الرحمن الرحيم بتاريخ حادي عشر شهر ربيع الاول عام واحد وتسعين وثمانماية (٢) برزت المراسيم الشريفة من حضرة مولانا السلطان الملك الاشرف قايتباي خلد الله ملكه الى كل واقف عليها من الحكام والنواب وولاة امور الاسلام (٣) بدمشق و بعلبك با (كذا) بابطال ما كان يأخذه النواب ببعلبك والمح . . . . بها من اسواق الجامع الكبير ببعلبك من قدم او من مشا او من بلص او قطع مصانعة هذه السطر المنوثة (كذا عوض المنقوشة) (٤) في صحائفنا الشريفة فعرضت المراسيم المشار اليها على الجناب الكريم الجما [لي] يوسف السيفي فجاس (او قجاس ؟) كافل المملكة الشامية اعز الله انصاره فقابلها بالسمع والطاعة و بادر الى (٥) امتثالها واشهر الندا بما تضمنته المراسيم الشريفة وامر بكتابتها في هذا المكان رغبةً في هذه المثوبة العظيمة وفي ابطال هذه المظلمة المشومة (٦) ومن اعاد ذلك او سعى في اعادته فعليه لعنة الله والملايكة والناس اجمعين والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

بيعلبك

عدد ٣٣ . « نسخة المولف وسوبرنهيم » كتابة اخرى بجانب السابقة فوق باب

(١) بسم الله الرحمن الرحيم . لما كان بتاريخ ثاني شهر الله المحرم الحرام سنة سبع وتسعين وثمانية (كذا) ورد المرسوم الكريم (٢) العالي المولوي المالكي الامرا مولانا ملك الامرا قانصوه اليحياوي الاشرفي الكافلي كافل المملكة الشريفة الشامية اعز الله تعالى انصاره (٣) على الجناب العالي المولوي الامير الكبير السيفي نائب السلطنة الشريفة ببعلبك اعز الله تعالى نصرته مضمونه اولاً بعد البسملة الكريمة انه . . . . . (٥) . . . يتضمن . . . وامرنا برفع الكلف والمظالم عن الجامع الاعظم بمدينة بعلبك المحروسة وجهات وقفه وان لا يكلف الجامع المذكور ووقفه الى ما قيمته الدرهم (٥) الفرد لا بسبب كشف ولا طرح ولا غرامة . . . يوم . . الوفاة لمجلس يتقدم بالعمل بما برزت به المراسيم الشريفة ومنع من يتعرض لوقف الجامع المذكور . . . . . . (٦) ونقش بلاطة والصقها بالجامع المذكور والحمد لله وحده

عدد ٣٤ « نسخة فان برخم » كتابة اخرى فوق الكتابة السابقة

(١) بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما وقفه وحبـ ـه وا[بـ]ـده في ايام [مولانا السلطان (٢) الملك الصالح ابي الفدا اسماعيل بن الملك العادل ابي بكر بن ايوب العبد الفقير الى رحمة ا (٣) لله سبحانه ابو الحسن المتطيب على الفقهاء والمتفقهة على مذهب الامام الشافعي وعلى القراء (٤) بالضريح بالتربة المباركة وغيرهم مما هو مذكور في كتاب الوقف وذلك في شهور سنة سبع [وثلاثين وستماية]

عدد ٣٤ . « نسخة المولف وسوبرنهيم » كتابة عربية على حجر موضوع وضعاً مقلوباً في حائط الجامع الكبير الغربي من الخارج

(١) استجد مرسوم شريف ظاهري تاريخه ثامن عشر شهر الله المحرم سنة سبع وتسعين وسبعماية الى المقر العالي (٢) تنكز بغا نائب السلطنة الشريفة ببعلبك المحروسة مضمونه انه قد اتصل بمسامعنـ ا ان ببعلبك (٣) تتفق منها في كل سنة مظلمة لم تتصل في مسامعنا الشريفة الا في هذا

الوقت وهو ان جماعة من البلاصين يطوفون في كل سنة على البساتين يطلبون من اهلها التفاح اللبناني و يقولون (٥) ان ذلك برسم ... الشريفة .... فليس لنا احتياج الى ذلك

عدد ٣٦ . « نسخة المؤلف وسوبرنهيم » كتابة بقرب السابقة في اسفل الحائط المذكور اكثرها مطمور . بعضها محفور و بعضها لم يكمل حفره

(١) لما كان بتاريخ ذي القعدة الحرام سنة سبع وسبعين وثمان ماية ورد المرسوم الشريف السلطاني الملكي الاشرفي (٢) قايتباي خلد الله ملكه وادام...وسلطا[نه] ..الملك..اللغة..ومن الجارية......وكف (٣) الاذى والضرر عنهم وعدم... عليها الضمان اخبر في ..... البلاد عنه ... (٤) الشريفة........ والحمد لله (٥) وصلى الله على سيدنا محمد ..... كثيراً

عدد ٣٧ . « نسخة المؤلف وسو برنهيم » كتابة اخرى بقرب السابقة من زمن الملك المظفر بن الملك المؤيد وهي صعبة القرأة

(١) لما كان بتاريخ شهر جمادي الاخر سنة اربع وعشرين وثمانماية حضر سيدنا الشيخ الصالح الزاهد العابد الاجل المحترم (٢) شمس الدين محمد الهادي (او الهنى او الملكى) بن ابو الحجاج الاقصري المصر[ي] المعروف شيخ السحمية ناظر الحسبة الشريفة وعلى يده مرسوم (٣) بابطال حق المستمر (او المشتهر) الذي جدد على الطحانين .... للسوق .... وغير هذا لا تجدد عليهم مظلمة وملعون بن ملعون (٤) من يجدد عليهم مظلمة وذلك في ايام النائب حسن قدمر (او قدمز) المظفري

عدد ٣٨ « نسخة المؤلف » كتابة بجانب السابقة (انظر الطبعة الافرنسية في سنة ١٧٩٦ وجه ١٥٨)

(١) بتاريخ شهر شعبان سنة اثنين وثمان ما[ية] ورد مرسوم شريف سلطاني الملك ا (٢) لناصر فرج ابن مولانا السلطان الملك الظاهر برقوق

خلد الله ملكه ورحم (٣) والده بابطال مظلمة المزازة والشحنكية عن البساتين ببعلبك المحروسة وانشا (٤) المرسوم الشريف المقر السيفي جنتمر الناصري نائب السلطنة بها اعز الله انصاره فمن (٥) سعى في اعادة هذه المظلمة او اعان عليها فاولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين

عدد ٣٩ « نسخة المؤلف » كتابة بجانب السابقة (انظر الطبعة الافرنسية وجه ١٥٩)

(١) بتاريخ العشر الاخر من شهر رمضان المعظم سنة اثنين وثمان مائة (٢) رسم المقر السيفي جنتمر الناصري نائب السلطنة ببعلبك المحروسة (٣) بالكشف عن سمسرت (كذا) القطن فكشف ان على كل راحلة شمالية درهم

عدد ٤٠ « نسخة المولف وسوبرنهيم » كتابة بجانب السابقة مهشمة عسرة القراءة جداً

(١) لما كان بتاريخ شهر ربيع الاخر| سنة | سبع عشر وثمانمية ورد مرسوم شريف مولانا السلطان الملك (٢) المؤيد خلد الله ملكه ومرسوم نجيم مولانا ملك الامرا اعز الله انصاره بان لا يوخذ من (٣) الحرفية ببعلبك تبناً ولا غيره ولا يلزمون ٠٠ بعمارة وجد ان الميزان ولا ٠٠٠٠ منهم (٤) نائب السلطان ٠٠٠ ولا ينبغي ٠٠٠ ولا ٠٠٠ ولا يوخذ منهم بغياب ٠٠٠٠٠ (٥) عند قدوم نائب السلطان ولا تجدد عليهم مظلمة ٠٠ ٠٠٠ بغير ٠٠٠

٤١ « نسخة المؤلف وسوبرنهيم » كتابة بجانب السابقة على الزاوية الغربية مهشمة وعسرة القرأة جداً

(١) [لما كان] بتاريخ شهر شعبان من سنة سبع وخمسين وثمانمائة برزت المراسم الشريفة السلطانية (٢) مولا[نا] الملك الاشرف اينال خلد الله تعالى ملكه ان يمكنوا الرعية بمدينة بعلبك من بيع (٣)

[الا]قطان في ... المكا .... في ذلك واستخرج الفنان (كذا) من الوكالة (٤) التي بمدينة بعلبك من وكلة المرحوم ... عبد الباسط والمرحوم ......(٥) ذالك من اهل بعلبك وان .... ومن خالف ذلك فعليه لعنة الله (٦) والملايكة اجمعين

عدد ٤١ « نسخة المولف وسوبرنهيم » كتابة تحت السابقة كلماتها مشتبكة وعسرة القراءة وهي من زمن الملك الاشرف ابو السعادات (٨٢٥ — ٨٤١)

(١) الحمد لله ورد وقبل بالحمد مرسوم شريف الى دمشق المحروسة يتضمن ابطال ما كانوا...... (٢) نظار الحسبة الشريفة بالشام واعمالها من السوقة با ... بارث المحابيس انعام من ... وغيره واشهر وقوبل المرسوم (٣) الشريف المشار اليه شرفه الله تعالى بالاقبال ورد مرسوم مولانا ملك الامرا عز الله انصاره ا (٤) لى غير ذلك مما ورد به المرسوم الشريف المشار اليه بابطال جميع ما كانوا يشتادونه (٥) الى .... من الشهر وقطع ...... المراسيم الشريفة (٦) وذلك بتاريخ منتصف شهر ربيع الاول سنة اربعين وثمان ماية

عدد ٤٣ . « نسخة المؤلف وسوبرنهيم » كتابتان فوق سبيل الزغبرية بحارة ... الاولى منهما مهشمة جداً وقد تيسر لنا منها قراءة

(١) لا اله الا الله محمد رسول الله (٢) لما كان بتاريخ اول شهر الله المحرم سنة سبع وسبعين (٣) وثمان ماية حظر المعلم ابو ...... وله (٤) ....

والتي تحتها هذا

(١) لا اله الا الله محمد رسول الله (٢) امر بتجديد هذه السبيل المبارك (كذا) (٣) العبد الفقير الى الله تعالى الاميري (٤) الناصري ...... الجمالي المظفري (٥) نائب السلطنة [الشريفة] ببعلبك المحروسة

وعلى جانب الكتابة الشمالي تاريخها باربعة سطور « وذلك بتاريخ سنة ثمان واربعين وسبعماية » وعلى جانبها الايمن كلمات ما امكن قراءتها وقد نقشت هذه الكتابة في ايام السلطان المظفر سيف الدين وملكه من سنة ٧٤٧ — ٧٤٨ هـ (١٣٤٦ - - ١٣٤٧ م)

عدد ٤٤ « نسخة المؤلف وسوبرنهيم » كتابة فوق محراب تكية الشيخ محمود بقرب السبيل المذكور

(١) جدد هذه المنارة بمباشرة (٢) العبد الفقير يحيى التاجي سنة ١١١٨

. . . .

ووجد في بعلبك كتابات كثيرة يونانية ولاتينية نسخها كارلوافيدوا (١٨٢٠) وموسيو دي سولسي (١٨٥١) واثبتها وادنكتون مع ما نسخه في مجموعته « كتابات سورية اليونانية واللاتينية » واكثرها قد فُقِد . وقد وجدت كتابة لاتينية في البستان المجاور حجر الحبلى نشرتها في طبعة سنة ١٩٠٠ الالمانية . وفي بعلبك كتابات عربية اخرى مما لا طائل لاثباتها



فهرس الكتاب





منظر بعلبك العمومي وقلعتها



